سِلْسِلَةُ تُرَاثِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ ١

شَرْحُ كِتَابِ الرِّقَاقِ مِنْ شَرْحِ صَحِيحِ البُخَارِيِّ

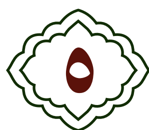


لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ العلامة

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحِ الْقُصَيِّرِ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

النسخة الأولى



شرح

كتاب الرقاق

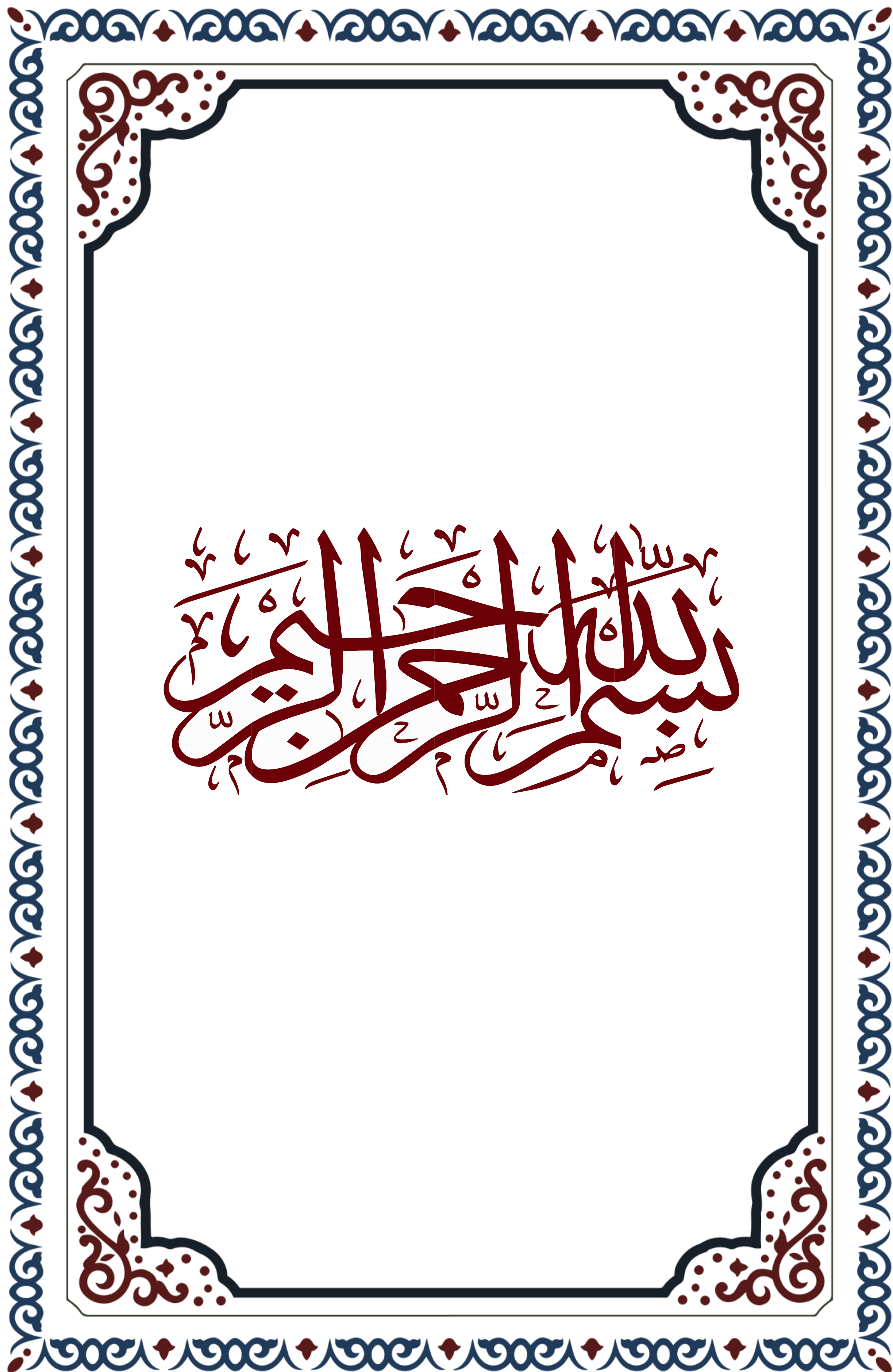
من صحيح البخاري

لفضيلة الشيخ

عبد الله بن صالح بن محمد القصير

حفظه الله

النسخة الثانية


بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الأول

القارئ: الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشيخ: اللهم صلى وسلم على محمد.

القارئ: اللهم اغفر لشيخنا ولنا وللحاضرين.

قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه:

كِتَابُ الرِّقَاقِ

بَابُ مَا جَاءِ فِي الرِّقَاقِ

الشرح:

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فلما كان الإنسان، والإنس والجن، مُسَيَّرُون في الأمور الكونية القدرية، فهم منذ خلقهم الله ﷻ وهم يسيرون في الأمور الكونية القدرية باتجاهٍ إجباريٍّ، إلى الغاية التي كُتِبَتْ لهم، والمنتهى الذي ينتهون إليه: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧] -جعلنا الله جميعا من أهل الجنة وأجارنا من السعير- وكانوا في هذا الطريق وفي هذه الرحلة مكلفين بما خُلقوا له، من عبادة الله -جَلَّ وعَلا- وحده بما شَرَع، وعلى الوجه الذي شَرَع، ولا يتأتى ذلك إلا باجتناب الشرك والأهواء والبدع.

كان من فضل الله ﷻ ورحمته بهم أن نبههم على طبيعة هذا الطريق، وهو الابتلاء بالخير والشر فتنةً واختبارًا، ومن ذلك أن الله ﷻ تعبَّدهم بما شرع في جميع الأحوال: في الصحة والسَّقم، في الغنى والفقر، في الشبيبة والهَرم، في العُسر واليسر، في الأمن والخوف، في سائر الأحوال، تعبَّدهم الله ﷻ بما شرع بحسب ما يستطيعون، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، فما من مقامٍ ولا حالٍ يكون للإنسان إلا لله ﷻ عليه فيه عبودية، فلينظر ما عبودية الله -جَلَّ وعَلا- عليه، وليؤدها إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أكمل وجه يستطيعه، وهذا هو التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخشى عقاب الله؛ فلا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

فجعل الله ﷻ تنبيهات للعباد حتى ما يغفلوا، وحتى لا يضلوا يمنةً ولا يسرةً عن الصراط المستقيم، ولذا قال -سبحانه-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فأنت خُلقت من غير موافقة منك على خَلْقِك، وأنت تسير من أمر الكون والذي خلقت من أجله، والغاية التي حُدِّدت لك اتجاهًا إجباريًّا، ما تستطيع أن تقف ولا أن تتأخر ولا أن تتقدم.

وأنت في نفس الوقت مكلفٌّ بالأمر الديني الشرعي حسب ما استطعت، مَوعودٌ بالمدد والإعانة والهداية كلما اهتديت، وكلما تمسكت بالأمر الشرعي واستعنت بالله -جَلَّ وعَلا-، ومُحَذَّرٌ من أن تُوكَلَ إلى نفسك إذا خالفت الشرع، مُحَذَّرٌ أنك إذا خالفت الشرع تُوكل إلى نفسك فتضل بعد الهُدى، وتكون من أهل الغي عند الرشاد، وتَهْلِك في أي مَهْلَكٍ لا يبالي الله بك، فإن هداك الله وأرشدك، ففضلٌ منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن وَكَلَك إلى نفسك فعدل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنت المتسبب.

هذا الطريق وهذه طبيعته، فالمُشْغِلات كثيرةٌ، والقواطع متنوعةٌ، والسوارق أصناف، ولا حول لك ولا قوة إلا بالله -جَلَّ وعَلا-، فألح على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بطَلَب الهُدى، قل: «**اللهم اهدني وسددني**» اللهم اهدنا وسددنا، «**واذكر بالهُدى الطريق، وبالسِّداد ريشة السهم**» يعني الإصابة، هذا إرشاد النبي ﷺ.

وقبل ذلك وأجل من ذلك: قوله -جَلَّ وعَلا-: «**يا عبادي كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني يهدكم الله**»، فاللهم اهدنا فيمن هديت.

فهذا هو الشأن وهو الحال، وأنت في طريقك إلى الموعد الذي جعله الله لك، والغاية التي تنتهي إليها.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦] ، والمعنى ساعٍ إليه سعيًا حثيثًا، فوَاصِلٌ إليه، وموقوفٌ بين يديه، ومسؤولٌ منه، ومُتَحَدِّدَةٌ النهاية التي تنتهي إليها، سبق في علم الله وجرى به قلم الله بما ستنتهي به، ولكن الله ﷻ ابتلاك بالتكليف بشرع؛ لأجل أن يظهر صدق الله ﷻ وصدق عِلْم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيك ويتحقق.

فالواجب عليك أن تهتدي بهُدى الله ﷻ، وأن تمضي في سبيل الله لصراط الله المستقيم، مُستعينًا بالله ﷻ، مفتقرًا إليه، ومضطرًا إليه، معتصمًا به، لائذًا به، لاجئًا إليه، ولهذا عند النوم يقول الإنسان: «**اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبة إليك، لا ملجأ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت**»، فإذا كان هذا عند النوم والانقطاع، الاستسلام لله -جَلَّ وعَلا-، فالاستسلام في اليقظة أعظم وأجل وأكبر وأخطر؛ لأن اليقظة هي مجال هذه النوازع والسَّوارق والشواغل والقواطع، والتَّعَرُّض لأنواع الابتلاء، فلذلك يحتاج الإنسان إلى تنبيهٍ وتذكيرٍ وترغيبٍ وترهيبٍ، حتى أنه في كل مناسبةٍ وحالٍ يَذْكُر من هذه الأشياء التي جاء بها

الشرع ما يكون عونًا له على الثبات على الهدى، والمُضِيِّ الطريق على بصيرةٍ، وجعل الله ﷻ له أسوةً بالنبي ﷺ، فما تَمُرُّ أشياء بالإنسان أو بالمكلف إلا وقد مرت بالنبي ﷺ: من ضعف الخِلقة، ومن اليتُم، ومن الفقر، ومن السقم، ومن الخوف، ومن الأمن، ومن كذا وكذا، إلى غير ذلك، تجد لك أسوةً بالنبي ﷺ، وبأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهم المهاجرين والأنصار، حتى أنك لا تغفل ولا تنسى ولن تنقطع.

فإذًا الاتجاه إجباريٌّ؛ أنك متجهٌ من صُلب أبيك، إلى رحم أمك، إلى خروجك إلى هذه الدنيا، إلى انتقالك إلى دار البرزخ، إلى خروجك من دار البرزخ، إلى عرصات القيامة، إلى أن تنتهي إلى مستقرك الذي مضى به العلم، وجَرَى به القلم من الله -جَلَّ وعَلا-، وأنت في هذا مُوَظَّفٌ وظيفةً حتميةً وهي العبودية لله -جَلَّ وعَلا- في حياتك، ويأتيك من ثواب هذه العبودية من الخير أو من ضده أنموذجًا في حياتك وفي البرزخ في قبرك ويوم حشرك ونشرك، وكمال ذلك في دارك التي تستقر فيها، فيأتي الإنسان من الثواب الكريم من الله -جَلَّ وعَلا- في هذه الدُّور، ويأتيه -والعياذ بالله- من العقوبة والعذاب الأليم في هذا الدُّور أنموذجًا إلى أن ينتهي إلى الدار الكاملة التي فيها أكمل الثواب بالتكريم، والأخرى فيها أكمل الثواب بالعذاب الأليم.

ولذا كان النبي ﷺ يتخول أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو تَخَوُّل للأمة بالتذكير والموعظة، والترغيب والترهيب في المناسبة، فلا تأتي مناسبةٌ إلا ذَكَر النبي ﷺ فيها ما يشحذ الهمة في الخير، ويُثبطها على الشر، وما يُقوي العزيمة في المُضي بما يرضي الله ﷻ، والانكفاف عما يُسخط الله -جَلَّ وعَلا-، وما يهون في هذا الطريق وقع الابتلاء ويُعَرِّف العبد الغاية منه، والنتيجة التي تترتب عليه.

وكان ذلك من النبي ﷺ في مناسباتٍ، منذ بعثه الله -جَلَّ وعَلا- وأوحى إليه إلى أن لقي ربه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لقي ربه -جَلَّ وعَلا- والتحق بالرفيق الأعلى، سأل الله اللحاق بالرفيق الأعلى، والنبي ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة بالتذكير بالبشارة بالنذارة بالتنبيه على العوارض ذات الشأن، وما ينبغي عندها، وما ينبغي لها، وما ينبغي بعدها، كل هذا ثابت عن النبي ﷺ.

ومن ذلك: من أول ما جرى للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنهم واجهوا من الكفار شدةً: من التعذيب والإيذاء، فشكوا إلى النبي ﷺ ما يلقون، وقالوا: ألا تدعو لنا، ألا تستنصر لنا، يعنون: إلى متى الصبر؟، فقال ﷺ: «**إن من كان قبلكم يؤتى بالرجل فيجعل في الحفرة، فيجعل المنشار على مفرق رأسه فيجعل نصفين**» يشق شقين، «**ويؤخذ بأمشاط الحديد ما دون عظمه من اللحم، ما يصرفه ذلك عن دينه، والله لَيُتِمَنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من بصرى إلى صنعاء، ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه**».

ومر النبي ﷺ على أصحابه فقال : «**أين المشمرون**»، قالوا: نحن المشمرون؛ فحضهم على الاستعانة وبشرهم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالجنة.

وهكذا عند موته ﷺ، يقول: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبياءهم وصالحيهم مساجد، إلا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**».

ويقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد؛ ألا فلا تتخذوا القبور مساجد**»، ويوصيهم ﷺ بالصلاة، وبالأمانة، وبما ملكت أيمانهم، إلى غير ذلك.

فمواقف ومناسبات يذكر فيها ﷺ ما يُرغب وما يُرهب، في الطريق، وفي النهاية عند الأجل، وفي البرزخ، وفي موقف الحشر، وفي الدار الجنة أو النار.

هذه المتفرقات التي قالها النبي ﷺ في مناسباتها، وهدف من قوله غاياتها، ونفع الله عز وجل بها من قبلها، وقامت بها الحجة على من أعرض عنها، جَمَعَها أئمة الحديث – رحمة الله عليهم – في هذه المُصَنَّفات: كتب الرقاق، الرقائق، كتب الزهد، كتب كذا، من أجل أن يهتدي بها المرء؛ ما تضيع، ويجدها، ويجد ما يناسب الحال التي هو فيها.

ومن أصح، بل أصح ما كُتُب في هذا بعد كتاب الله – تعالى – هذا الكتاب الذي معنا، كتاب «**الرقاق**» للإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، فهو أصح –صحيح البخاري في جملته– كتاب بعد كتاب الله – جل وعلا – لشدة شرط البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولِما عُرف من أمانته وإخلاصه وحرصه وصِدقه وبصره بالحديث سندًا ومتنًا، وما يرد على ذلك من النصوص الأخرى، ومعرفته بأحوال تلك النصوص التي تَركها، إما لأنه كَتَبَ ما هو أصح منها، وإما لأنه أشار إلى مَضْمُونها في الترجمة لأنها على غير شرطه، أو لأنها واهية ولا تقبل فأعرض عنها، ويُنبه على ذلك في التراجم، إلى غير ذلك من فن التأليف الذي وفقه الله ﷻ له، وأبدع فيه، وحير أهل العلم الذين جاؤوا في زمانه ومن بعده بهذا الفقه العظيم العجيب – رحمة الله عليه رحمةً واسعةً –. **نعم**.

بَابٌ: لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ

الشرح:

يعني **الرقاق**: الأمور التي ترقق القلوب؛ تلينها؛ لأن القلوب مع الغفلة تُبتلى بطول الأمل، ومع الأعمال المخالفة للشرع تَقسو، فتستحكم الغفلة، ويتمكن الران، ويَحْدُث النسيان لِمَا على الإنسان من حق الله -جَلَّ وعَلا-؛ فلذلك جُمِعت هذه الأحاديث التي تُبين الآيات في هذا الشأن، والآثار التي تتعلق بهذا الموضوع، فالدنيا ممرٌ وعند الله المُستقر، ولا عيش حقّ كامل إلا عيش الآخرة، فعيش المؤمنين كرامةٌ ونعمةٌ وسرورٌ، وعيش المنافقين الكفار الفجار شرٌّ وعذابٌ مستمر -والعياذ بالله- وذلٌّ وإهانةٌ، فلا عيش إلا عيش الآخرة؛ لأن عيش الدنيا مهما طال فهو منقطع؛ وأن العيش عيش الآخرة.

وأعظم عيش الآخرة أمران:

- **النظر إلى وجه الله الكريم**، جعلنا الله وإياكم من الناظرين إليه.
- **والتلذذ بخطابه والثناء عليه**؛ «**اللهم انت السلام ومنك السلام، حينا يا ربنا بالسلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»، «**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**»، ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠] ، **نعم** ...

٦٤١٢ - حَدَّثَنَا المَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعِيدٍ هُوَ ابْنُ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**».

قَالَ عَبَّاسٌ العَنْبَرِيُّ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عِيسَى، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ.

الشرح:

والمعنى: إن من إحسان الله عز وجل إلى من يشاء من عباده، الإحسان بالصحة، بالعافية من السقم، والفراغ من الشغل، فينبغي أن تُستعمل هاتان النعمتان في طاعة الله عز وجل بشَرْعه؛ بالمناسبة:

إن أُذِّن للصلاة المتعين في حق الرجال التطهر والمضي للمسجد.

وإن عُرضت الفتنة فالمتعين في حق المسلم: غض البصر والإعراض عنها والاشتغال بما يرضي الله -جَلَّ وعَلا-.

وإن عُرضت الشهوة المحرمة: فالإعراض عنها وأن يأباها الإنسان.

وإن دُعِي إلى الخير فيستجب بما يستطيع أو يقل خيرًا.

ففي كل مقام لله عز وجل عبودية، اغتنم الصحة والفراغ في ذلك.

ومن الأمثلة: أنك يوم من الأيام عندك فراغ في وقت صلاة الظهر، تعرف أنك ما عندك دوام مثلًا، تغتنم الفرصة أنك تروح تصلي، في مسجد الراجحي أو غيره من المساجد التي يُصَلَّى فيها على الجنائز، تُرقِّق قلبك، وتُحسن إلى أخيك، وتُحَصِّل القيراط، وتشهد مَجْمَع المسلمين في اجتماعٍ مهيبٍ، هذا من اغتنام الفراغ، فأنت صحيح ومعك سيارةٌ أو تجد وسيلةً، وتعلم أنه فيه جنائزٌ -في الغالب-، وفي نفس الوقت فاضي ما فيه شغلٌ، ما تركت

واجبًا، فتجعل -مثلًا- في الأسبوع يوم يومين ثلاثة بحسب حالك أنك تشهد الصلاة في هذا المسجد من أجل الجنائز، هذا من أيسر الأمور، والأجر كبيرٌ كما قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**فرطنا بقراريط**» يوم سمع الحديث؛ غفل لأنَّا ما عملنا بالحديث هذا، نَدِمَ على ما مضى؛ لما حدثته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بهذا الحديث أن «**من صلى على الجنازة له قيراط، ومن شهد الجنازة له قيراطان**» ، فهذا مثال من الصحابة.

كذلك وقت الضحى: صار لك فراغ، وقت الظهر بين الظهر والعصر صار لك فراغ، وأنت في صحةٍ وأمنٍ، في الليل بين العشاء والمغرب، تصلي ما كتب الله لك، وتَزُور ذا رحمٍ منك، تزور أحدًا من أهل العلم، تحضر مجلسًا من مجالس الذكر، يصير الإنسان ما عنده فراغ؛ يغتنم الفراغ فيما يقربه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ويغتنم الصحة والعافية والغنى والأمن فيما يقربه إلى الله -جَلَّ وعَلا-.

فكثير من الناس لا ينتفعون من هاتين النعمتين، غُفْلٌ؛ كالأنعام سارحة راعية، لكن ما يفكرون في الاستزادة لِمَا خُلقوا له، والعناية بما خُلقوا له، والاستعانة بنِعم الله عَزَّ وَجَلَّ على ما خُلقوا له.

وبعضهم -والعياذ بالله- يغتنم الفرصة الصحة والفراغ في العصيان؛ ضد ما خلقوا له، فيما يُشقيه في الدنيا والآخرة، وحسبك أن تمر بمكانٍ فيه استراحات، لترى مظاهر الغفلة، صار الناس الآن عندهم الفراغ والنعمة في الغفلة إلا من رحم الله؛ رحمنا الله وإياكم.

هذه تنبيهاتٌ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمُناسباتها، والمناسبات تتكرر على الناس، فالناس هم الناس، والزمن هو الزمن، وسنة الله في الخلق هي سنة الله في الخلق.

الآن كلمة بَعَثَ الله ﷻ بها جميع رُسله، وأنزل بها جميع كتبه، وكَلَّف بها عباده، وجعلها آية الدخول في الإسلام، وأثقلَ شيءٍ في الميزان، وخير الذكر والدعاء، ومفتاح الجنة، وسبب التثبيت في القبر، وسبب النجاة من النار، وسبب الخلود في الجنة، «**لا إله إلا الله**» تقولها عن عِلمٍ بمعناها، أن لا معبود بحقٍّ إلا الله، وعمل بمقتضاها: أن لا تعبد إلا الله، وتعتقد أن لا معبود حق إلا الله، وبراء مما يضادها وينافيها، وما يُنقص كمالها الواجب.

وما يضادها وينافيها: الشرك والكفر والنفاق الاعتقادي.

وما ينقص من كمالها الواجب: الفسق والمعاصي.

هذه الكلمة تقولها في الدقيقة بعدد ثوانيها، كم ثواني الدقيقة؟ ستين، على الأقل ماذا لو اغتنمت فراغك بهذا كم تقولها من مرة؟! مثال هذا: تقول هذه الكلمة، التي يقول النبي ﷺ فيها : «**خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي، لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو على كل شيءٍ قدير**».

ويخبر ﷺ: أنها مفتاح الجنة، وأنها أثقل ما يُوضع في الميزان، وأنها ذِكْرٌ ودعاءٌ إلى غير ذلك، هذا مثال. **نعم**.

قال ﷺ: «**لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله**»، في جميع أوقاتك وفي جميع حالات سكوتك، استغفار وذِكْرٌ، كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**» حروفها مضمرة، جوفية بالفم، تقولها من غير أن تُحَرِّك شفتيك، حتى لا تُرائي ولا يفطن لك. **نعم** ...

٦٤١٣ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ، فَأَصْلِحِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ».

الشرح:

هذا قاله النبي ﷺ متى؟

في المناسبة؛ وهم يحفرون الخندق، فربما وَجَدَ منهم ﷺ تَعَبًا بسبب الجوع؛ لأنهم بحال ضيق عيشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، في غزوة الأحزاب، تعبًا من الجوع، وبسبب البرد؛ لأنه كان في يومٍ باردٍ، مثل بردنا الآن في يومنا هذا؛ وملَلٌ من طول الوقت؛ لأنه رُؤِيَ النبي ﷺ وهو معهم ويشاركهم، كل واحدٍ من الناس في بطنه حجرٌ، مربوط الحجر على البطن، يَضُم أمعائه حتى يُخفف الجوع، والنبي ﷺ في بطنه حجرين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلما رأى هذا من المهاجرين والأنصار، أراد أن يرفع معنوياتهم، ويُذكرهم بما لهم عند الله -جَلَّ وعَلا-، ويُكافئهم على همتهم وجهادهم، فكانوا يقولون: «اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ، فَأَصْلِحِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ»، ويُردد النبي ﷺ بعد ذلك، دعاءٌ من النبي ﷺ وهم يؤمنون، نعم.

هذا مثالٌ بالمناسبة: لأن النبي ﷺ رأى حالهم؛ فَرَقَّ لهم، فقال لهم كلامًا ينفعهم، فيجعلهم يحتسبون وينشطون ويصبرون، ويعلمون أن المستقر ما هو في الدنيا، في الآخرة، وأن العيش الحقيقي في الآخرة، ومع ذلك أعطاهم الله ﷻ وفتح عليهم من أبواب الخير وخزائن الأرض ما لم يكونوا يحلمون، كما حدثوا عن ذلك، قالوا: ما منا أحدٌ إلا أينعت له ثمرته أو شجرته، فهو يهدبها، إلا مصعب بن عمير وفلان وفلان ممن ماتوا قبل ذلك، فخاف الصحابة من انفتاح الدنيا عليهم، حتى قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **نخشى أن تكون عُجِّلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا. نعم.**

هذا إنسان الآن، بعض الشباب يقرأ في التفسير في الحديث، ثم يجوع، يضرب الكتاب على جهة، ويروح المطعم هناك، طيب أنت جعت في دقائق وثواني، وبيتك مليان الخير، والمجتمع مليان الخير، ما تذكر أحوال الأنصار والمهاجرين في الخندق؟

ما تذكر أنه كانت تُوَزَّع عليهم التمر كل واحدٍ تمرةً وهم غازين في سبيل الله، سرية مرسلةٌ للغزو في سبيل الله؟، كل واحد يُعطى تمرة فقط، ما في غيرها، جراب: كيس يسير فيه تمرٌ أعطاه النبي ﷺ قائد السرية، يوزع عليهم كل يومٍ تمرةً، حتى غاب أحدهم فلما جاء وجد أنه قد قُسِّم التمر فطالب بتمرته، فقيل له: أُعطيت، في جملة الناس، فقال: لم أُعط، وجاء بشاهدين أنه ما أُعطى، فأعطي تمرة.

وكانوا يأكلون ورق الشجر، حتى قرحت أشداقهم من الداخل وأمعائهم، وقَيَّض الله لهم حوتًا في آخر الأمر وجدوه طافيًا على البحر في سرية سيف البحر.

وإذا إن الإنسان ما جاءت الأمور على هواه في وظيفته أو في عمله، يحرق نفسه، يشعل نفسه أو يلقيها من فوق الجسر أو السطح، وين اليقين، وين الإيمان، وين الخوف من الله، وين الاستعداد للقاء الله، تلقى ربك قاتلًا لنفسك؟، يعجل بك الله إلى النار، هذا من آثار الغفلة، من أعراض الغفلة. **نعم**.

٦٤١٤ - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ المِقْدَامِ، حَدَّثَنَا الفُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ، حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الخَنْدَقِ، وَهُوَ يَحْفِرُ وَنَحْنُ نَنْقُلُ التُّرَابَ، وَيَمُرُّ بِنَا، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ**» تَابَعَهُ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ.

الشرح:

فاللهم اغفر لهم واغفر لنا معهم؛ فإنا نحبهم، ونتقرب إليك بحبهم، ونرجوك أن تحلقنا بهم.

بَابُ مَثَلُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرُۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد:٢٠].

الشرح:

هذه مظاهرها، وهذه أحوال وغايات كثيرٍ من الناس فيها، لكن أهل الإيمان لأ، يعتبرون الدنيا طريقًا للآخرة، ومعونةً على عمل الآخرة، ووسيلة تشغل عما يضر، وهكذا؛ فيستعملونها على هذا القدر. **نعم**.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد:٢٠] ، يعني مظاهرها نوعٌ من العبث، ولهوٌ يُشتغل به، والذي يشتغل بها بظاهرها عن أمر الله فهو من العابثين الغافلين، لكن الآن تمر على بيتٍ مفتوحٍ إلا باب، تجد راعيه يسكره ويفتح بابا آخر، وبعد كام سنة تمر تجده يسكر ذاك ويفتح هذا، وهكذا غرس الشجرة وقلع الشجرة، ولا تدري ما الغاية، ترى هذا ضرب من العبث، أنك ما تدري ما حكمته هو في هذا؟، وهو ورائه مصلحة؟، هذا مظهر.

وكذلك له ينشغل بذلك الإنسان، ولذلك تجد واحدًا من الناس وقت صلاة الظهر يرش الصَّبَّة [(١)]، الناس يصلون وهو يرش الصبة، ما ورائك آخرة؟! ما يحتمل أن يجيك الأجل وأنت ترش الصبة وأنت غافل عن الصلاة؟

هذه مظاهر لهو، فلا تغتر بهذه المظاهر، اعرف قيمة الدنيا وأن الله -عز وجل- جعلها طريقًا للآخرة، ومعونةً على عمل الآخرة، وابتلاءً للناس، من يقصد الآخرة ومن يغفل عن الآخرة، هذه الغاية منها، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾

(١) يرش الصبة: أي يصب الاسمنت ليكون أساس البيت.

اختاروا ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٠ - ٢١]، انظر كيف التمهيد، وانظر التنبيه على النتيجة، اشتغل للآخرة واعمل للآخرة، لا تغفل عن الآخرة، فكن من الدنيا على حَذَرٍ، وخُذْ منها بقَدْرٍ، هكذا ينبغي.

نعم.

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد:٢٠].

فتشتغل بهذه الأمور وتنسى النار، تشتغل بهذه الأمور وتنسى الجنة؟،

لا؛ استعمل هذه الأمور فيما ينجيك من النار ويوصلك إلى الجنة؛ فإنها عارضةٌ وزائلةٌ بسرعةٍ، لها رونقٌ جذابٌ لكنها تروح، تروح من بين يديك؛ لأنها ما هي لك أصلًا، هي عاريةٌ عندك، ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣].

﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾[الأنعام:٩٤] فهي عارية عندكم.

فستذهب مثل ما يُنزل الله ﷻ المطر، ويُنبت النبات، ويَنمو يهيج، ويَذهب، فرونق النبات تدري أنت ما بعده، أخضر رطب مُزهر رَوائح جذاب مُنعش، لكن بعد ذلك ماذا ترى؟ ثم يهيج ثم تراه مصفرًا ثم يكون حطامًا.

فالدنيا ستذهب من بين يديك، بشتك اللي عليك قد يكون سترة لكفنك أمام الناس في جنازتك، اشتريته بكم؟، والنتيجة أنت تخليه، وهكذا اللباس، وهكذا المتاع، وهكذا الزوجة، وهكذا الأولاد، أنت عاريةٌ عندهم، وهم عواري عندك، والعارية هم مُستردةٌ ومن استرد عاريته فما ظلم.

لكن لماذا خلقت؟ وإلى أين أنت ذاهب؟ وعم تسأل؟ وما نتيجة السؤال؟ تذكر هذا حتى تكون جادًّا في حياتك لا هازلًا، ذاكرًا لا غافلًا، شاكرا لله ﷻ مطيعًا لا ناسيًا كافرًا. **نعم**.

﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]

اللهم اغفر لنا وارض عنا ولا تعذبنا.

الغرور الذي يَغُر صاحبه من متاع، متاع الغَرُور: المُغْتَرُّ، والمتاع الذي يُزينه الشيطان لك ليَغُرك، فهذا هو؛ النتيجة واحدة. **نعم**.

٦٤١٥ – حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَو رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

الشرح:

فتشتغل في الدنيا وما فيها عن الجنة التي موضع سوطٍ منها خير من الدنيا وما فيها؟، كم في الدنيا من المُتع! كم فيها من الأموال! كم فيها من النساء! كم فيها من الحرث والأنعام! كم فيها من مناظر البهجة وغير ذلك، من تساوي سوطًا في الجنة، تشتغل بما هو أقل من قيمة السوط في الجنة عن الجنة، التي عرضها السماوات والأرض، كيف؟!

قارن: المؤمن له في الجنة زوجتان يعني من نساء الدنيا، كل زوجة في خيمة مجوفة كذا وصفها، غير الحور العين؛ لأن نساء الدنيا الصالحات القانتات الحافظات للغيب يَكُنَّ في الآخرة أفضل وأجمل وأكمل من الحور العين، تكون الحور العين بمثابة الوصايف، ولذلك استدل أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالحديث على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، يعني كثيرات في الجنة وفي النار.

فالمقصود من هذا: أنك تذكر الجنة، اذكر ما فيها من النعيم، حتى ترخص عليك الدنيا، وحتى لا تنشغل بها، وحتى تنشط في طاعة الله –عز وجل –.

وأيضا: اذكر الأجل، والله –يا جماعة– ما جعل الله موعظة للإنسان في الدنيا مثل الأجل، من الأحداث اللي تمر في الدنيا مثل الأجل؛ لأنه يأتيك فجأة، تنقضي؛ لحظة وتلقاك ممددًا على الأرض، أتدري متى هذ اللحظة؟ فإذا جاءك وأنت على طاعة الله تعالى، فهنيئًا لك، وإذا جاءك وأنت على معصية لله، فيا ويلك؛ لأنه يبعث كل عبدٍ على ما مات عليه، نسأل الله حسن الخاتمة.

فالذي مات في عرفة مع النبي ﷺ سقط عن جمله، فوقص الجمل سقط على عنقه فمات، فقال النبي ﷺ: غسلوه وكفنوه في ثوبين، ولا تمسوه طيبًا، ولا تخمروا رأسه، وجهه -في رواية-؛ فإنه يبعث يوم القيامة ملبيًا.

وأهل الربا يقوم أحدهم ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥]، فَرْقٌ بين الصورتين.

فالموت، الموت، الموت؛ كفى بالموت واعظًا، اذكروا هازم اللذات؛ لأنه أنت في غاية الفرح والسرور، ينزل عليك الموت، أنت في غاية الحزن والكآبة والضيق، ينزل عليك الموت، فيفاجئك الموت، فتموت على غفلةٍ -والعياذ بالله- إذا كنت في غفلة.

وتموت ويكون موتك راحةً لك من الدنيا وتعبها إذا كنت على طاعةٍ وذكرٍ، فتنتقل بالموت إلى الجنة، بل تُرى مقعدك من الجنة وتُبشر به قبل أن تفيض روحك، ليُسَهَّل عليك خروج الروح.

فلا تغفل عن الموت.

أحدٌ مات وهو يأكل، وأحد مات وهو يشرب، وأحد مات وهو نائم، وأحد مات وهو ينتظر الإشارة، ما فيه مقدمات، إذا أراد الله فلا راد لحكمه؛ فانتبه واحرص على أن تلزم الحال التي تحب أن تلقى الله ﷻ عليها، حتى إذا بُعثت بُعثت على حال سارة، نسأل الله حسن الخاتمة. **نعم**.

عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:...

في كلام يقال: رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

تؤجر ونؤجر نحن، وهو مقابل إحسانه إليك أن ذكر لك سنة النبي ﷺ.

من دون الصحابي يقال: رَحِمَهُٱللَّهُ، والصحابي يقال: رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لأنه جاء في نص القرآن.

والحي يقال: وفقه الله، ثبته الله، حفظه الله، تدعو لك ولنفسك والحاضرين مع الناس.

هذا لو ما يجينا من المجلس إلا الدعاء للصحابة يكفي، لو ما يجينا من المجلس إلا الصلاة على رسول الله ﷺ يكفي.

هذه غنائم، لو ما يجينا إلا دعاء ندعوا به عند المناسبة يكفي؛ وهذه من بركة مجالس الذكر.

عَنْ سَهْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أو رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

يعني موضع السوط، قدر الشبر، طوله قدر الشبر، خيرٌ من الدنيا وما فيها، هذه المساحة في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، من ينشغل بالدنيا عن أمر الآخرة إلا مغفلٌ محرومٌ نسأل الله العافية.

مع أنك تستطيع الذكر، تشتغل بالدنيا في حاجتك ومصالحك، وتقوم بعمل الآخرة، ميسرٌ الأمر؛ لأن المباحات إن اقترنت بالنيات الصالحة صارت عباداتٍ، والعبادات إن اقترنت بحسن الأداء صارت الأجور عليها أضعافًا مضاعفةً، نعم أنت مستفيد. **نعم**.

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عَابِرُ سَبِيلٍ»

الشرح:

والمعنى: لا تشتغل بالدنيا أكثر مما يشتغل به صاحب الطريق لو مَرَّ بأشياء من الدنيا، فإن صاحب الطريق المُسافر هَمُّه أن يصل إلى غايته، ولا يُريد أن يأخذ شيئًا يُثقله عن غايته ويُؤخره عنها يقطعه عنها.

فأنت الآن في طريق، الدنيا طريق، أنت تمتطي الأنفاس، ما صعد من نفسك فلن يعود إليك، وما مضى من لحظاتك فلن يُرَدَّ إليك، فالدنيا نفسٌ معدودٌ، وأمدٌ محدودٌ، والمعدود إلى فناءٍ، والممدود إلى انقضاءٍ؛ لا بد، فلا تغتر.

فاشتغل من الدنيا بما يعينك على الغاية التي أنت ماضٍ إليها، لا تغرك المظاهر لأنك لست مخلدًا فيها، وإذا اشتغلت فيها بما يُثقلك ويُشغلك، كَسلت عن أمر الآخرة، أو تأخرت عن أمر الآخرة، أو حُرِمت السعادة في الآخرة، انتبه؛ فخذ حذرك من الدنيا.

ولذلك قال بعض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ قال: **إني كنت تاجرًا في الجاهلية، فلما أسلمت لم أستطع أن أجمع بين التجارة والإسلام، فتركت التجارة.**

وقال الآخر: ما يسرني أن لي **دكانًا في سُدة المسجد، أكسب منه كل يوم ألفين وخمسمائة دينار، أُنفقها في سبيل الله**، انظر كيف! ينفقها صدقة، قال: لا؛ لأن الدنيا حساب، وهذه مسؤوليةٌ خطيرةٌ جدًّا، الدنيا حساب، فتُكَثِّر وتشتغل بما يكثر حسابك ويشغلك! لأ. **نعم**.

٦٤١٦ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو المُنْذِرِ الطُّفَاوِيُّ، عَنْ سُلَيْمَانَ الأَعْمَشِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُجَاهِدٌ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَو عَابِرُ سَبِيلٍ**» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: **إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.**

الشرح:

والناس الآن يقولون: لا، لا تذكرونا بالموت، تقطعونا عن المشاريع وعن علو الهمة، نحن نريد مشاريع واستثمار، وهو ما يدري؛ لأنه مغيبٌ، مشكلة هذه، الغفلة مشكلة، حتى ذِكْر الموت لا يريدونه، أثقل شيء عليهم أن يُذكر الموت في الدرس أو في الخطبة، ما يريدون، تُكدر عليهم الحياة. سبحان الله.

كان ﷺ يكثر ذكر الموت، ويُذكر أصحابه بالموت، حتى لا تكاد تخلو خطبة من خطبه الرسول ﷺ من هذا.

فإذًا الأمر: إذا أصبح لا تنتظر المساء؛ لأن الموت والأجل ما هو بيدك، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصبح، والمعنى: خذ استعدادك، استعد، خذ احتياطك للقاء الله، في هذا النهار وفي هذا الليل، ولذلك جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قاله موقنًا به حين يُمسي فمات من ليلته، دخل الجنة، ومن قاله موقنًا به حين يصبح فمات من يومه، دخل الجنة**»، فالذي عنده همٌّ للموت، لا بد يحافظ على

هذا ما استطاع، والذي ما عنده هم الموت، ومنشغلٌ في الاستثمار والاستغفار في الدنيا يغفل عن هذا وينسى.

اللي يكدح في الدنيا كدح متعب مغري، إذا انتهى الوقت ينام عن الصلاة، ينام عن الخير، لا يريد أحدًا يُذكره بالخير، مرهقٌ مسكينٌ فهذا هو الكدح.

«**إن رزق الله لا يجلبه حرص حريصٍ، ولا ترده كراهية كاره، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**» لا تكلفون تتعنتون، أجملوا ما تيسر لكم، «**أجملوا في الطلب، ولا يحملنكم طلب الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته**»، هذا المنهج الذي ينبغي أن تكون أنت عليه، ومن ذلك أنك لا تمد حبال طوال؛ لأن الآجال مغيبة، والتدبير عند الله - جل وعلا - ما هو عندك، فأنت خليك في الدنيا في النهار مستعد للموت لو جاءك، وفي الليل مستعد للموت لو جاء.

فلذلك كان بعض السلف يقول عنه أخوه: **والله لو جاءه الموت ما زاد عمله.**

يعني مستعد كان على منهجه، ما يُحدث عمل.

لو الإنسان الآن قيل له أن أجلك مؤكدٌ قبل غروب الشمس، لانقطع للمسجد، إذا كان عنده إيمان بالآخرة.

يقول: هذا ما يزيد عمله، مشغول لسانه بذكر الله، قلبه متعلق بالله، يشتغل بالدنيا يستعين بها على طاعة الله، هذا حاله يتعفف بها عن منة الخلق؛ هذا حاله، ما يكون لاهثًا، فهكذا ينبغي على الإنسان، من لم يكن عنده احتمال راجح أن الأجل اليوم ما تراه غافل، الأجل الليلة تراه غافل؛ لأن هذا مؤكدٌ هذا غيب عند الله ﷻ، والتدبير لله ما هو لك، ليش تغفل. **نعم**.

بابٌ: فِي الأَمَلِ وطُولِه

وقوله تعالى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

الشرح:

الأمل: هو الرجاء، رجاء تحقق المطلوب، واندفاع المكروه أو السلامة من المكروه.

الرجاء مع مباشرة السبب، هو **معنى التوكل**، فالرجاء مع تعاطي السبب لتحقيق المطلوب، وباتقاء المرهوب، فهذا هو الأمل.

والناس أحدٌ أمله في الدنيا، وأحدٌ أمله في الآخرة، وأحدٌ جمع بين الدنيا والآخرة.

إذا خلى الرجاء من السبب، فهو تمني.

والتمني: رؤوس مال المفاليس، يتمنى من غير عملٍ من غير أسباب فهو مفلس، وإذا كان معتمدًا على الأسباب دون التمني، فهو مشركٌ دون دعاءه وأسبابه في تحصيل المطلوب فهو مشرك؛ لأنه ما استعان بالله ﷻ على حاجته.

فالأمل الذي هو بمعنى التوكل في أمر الدنيا والآخرة، بعض الناس يكون عنده أمل الدنيا وما عنده توكل على الله ويباشر الأسباب، فأنت أملك ينبغي أن يكون في الآخرة، وأن تجعل كل ما جاءك من الدنيا عونًا وبُلغَةً للآخرة، لا مُشغلًا عن الآخرة، لا تشتغل بطول الأمل؛ فإنه يُقسي القلب ويُلهي ويُثبط عن الطاعة، ويحمل على مجاراة أهل الدنيا، وربما أغرى بالمعصية مواقعة المعصية، وهكذا، تحتاج إلى ما يقسي القلب؟! لا، تحتاج إلى ما يشغلك عن الآخرة؟! لا، تحتاج إلى ما يثبطك عن الطاعة؟! لا، تحتاج إلى ما يُجرئك على المعصية؟! لا.

انتبه؛ فإذًا لا تجعل أملًا طويلًا إلا أن تكون على طاعة الله، تتأمل من الله أن يزيد في عمرك اليوم وغدًا وبعده لطاعة الله -جَلَّ وعلا-، ولذلك تحذر من الفتنة، وِدِّك طول العمر والعيش لكن تخشى الفتنة.

ولذا من الدعاء المشروع في الصلاة الفريضة أن تقول: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي، اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنا، وأسألك نعيما لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت**»، فهكذا؛ الإنسان يكون أمله في الدنيا ومن الدنيا أن يبلغ درجةً عاليةً عند الله -جَلَّ وعلا-، ويسأل الله ﷻ العفو والعافية والمُعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة في نفسه ودينه وأهله وماله وولده، وإذا أنك قُلْتَ هذا الدعاء في صلاتك من قلبك، وجاء الموت فحيهلا لك، ليش؟ لأنك جعلت الخِيرةَ لله -جَلَّ وعلا-، والله تعالى أرحم بك من أمك، نعم؛ بل من نفسك، وخصوصًا إذا أنت سَلَّمْتَ قيادتك له، واستسلمت له طواعيةً واختيارًا، عبوديةً وتذللًا، ثقةً وتوكلًا، فابشر؛ فالمؤمن إن جاءه الموت يستريح من عناء الدنيا وتعبها إلى الجنة، والفاجر يستريح من العباد والبلاد، فهذا مطلوب، خصوصًا الفجر والعصر كل يوم في الصلاة أن تقول هذا الدعاء يكون في مناسبةٍ؛ لأن الملائكة الحَفَظَةَ والمُعقبات محيطين بك، ويصعد الذين كانوا بك بعد صلاة الفجر، وينزل الذين يستلمونك بالليل في صلاة العصر، فإذا هذا عبارة أنه تفريغ صحف أو خَتْم صحف، ومقادير تجري، ففي النهار: اللهم أحيني ما علمت الحياة خير لي، في الليل: أحيني ما علمت الحياة خير لي، ويكون هذا ديدنك، فتكون مُستسلمًا لله -جَلَّ وعلا-، راضيًا بقضائه وقدره، ما عندك اعتراضٌ؛ لا على الحياة ولا على الممات، فإن مَدَّ الله في العمر شكرت؛ لأنها فرصة لتستزيد

من صالح العمل، وتعتذر من التقصير والذلل، وإن قضى الله في أجلك، فمعناها أن الله عصمك الفتنة؛ لأنه توفاك حيث كانت الوفاة خيرًا لك، وهو أعلم -سبحانه- بالغيب، وأنت لا تعلم، وأنت سلمت أمرك له، ولو ما في هذا إلا إجابة الدعاء، تفطنون لهذا ولا ما تفطنون؟

لأنك إذا قلت: أحيني ما علمت الحياة خيرًا لك، فعشت بعد النهار، معناها أن الله استجاب لك، ترجو أن تكون الحياة خيرًا لك، وفي النهار كذلك، إذا هذه نعمة؛ لأن دعاء المسلم في الجملة مستجاب ولا سيما بمثل هذا الدعاء، الذي فيه تجردٌ وعبوديةٌ، ما هو من أجل الدنيا! من أجل الدين والآخرة، فهو حَرِيٌّ بالإجابة، وإذا تكرر تدعو الله كل يومٍ وليلةٍ، وتبشر بكذا؛ أتظن أن الله يرد الدعاء؟، لأ، وأنت مضطر إلى الله؛ لأنك ما تملك لنفسك شيء، والله تعالى يجيب المضطر إذا دعاه، ترى لو ما في الدرس إلا هذه الفائدة تكفي؛ صحيح؛ لأنها تنبيه على نقطة -كما يقولون- حساسة، أنك تكون مستسلمًا لله ﷻ، ومفوضًا أمرك إلى الله ﷻ راضيًا بقضاء الله وقدره، وقصدك من هذا الدعاء الخير، خير الدنيا والآخرة، ما تبغي الشر، فهذه نعمة من الله، مسكين اللي ما يعرف هذا، وأكثر منه مسكنة الذي يعرفها ولا يقول. **نعم**.

بَابٌ فِي الْأَمَلِ وَطُولِهِ

وقوله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، وقوله: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر:٣].

الشرح:

الله أكبر.

يعني انظر كيف الخطاب الرباني- جَلَّ علا-، أيش فيه من التذكير، فمن زحزح عن النار؛ اذكر الصراط، وهم الصراط عند المؤمنين، اذكر أن سُترتك من النار نورُ عملك، فإن سترتك من النار بحسب عملك، ولذلك نبه النبي ﷺ على ذلك فقال: «**الصلاة نور، والصدقة برهان**» شعاع شارقٌ يعني، «**والصبر ضياء**»، فإذًا نورك على الصراط هو السترة بينك وبين النار.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد:١٢].

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ [التحريم:٨].

يعني إن كان في عملنا خروق في نوره؛ لأن الخروف فيه خروق في نوره، تتسلل منها ألسنة اللهب، تصلك، فهم أشفقوا وهم على الصراط، يقولون: ﴿أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم:٨] إنك على كل شيء قدير.

فإذا الكلمة ﴿زُحْزِحَ﴾ هو ما يِزَحْزح نفسه، هو يُزحزح نفسه في الدنيا بالعمل: بالاعتقاد الصحيح والقول السديد والعمل الصالح والخلق الحميد، وترك ما يضاد ذلك وينقصه، لكن على الصراط في الآخرة ﴿زُحْزِحَ﴾، الله يزحزحنا وإياكم.

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾، هذا الفائز حقًّا.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾، لا تشتغلوا بالحياة الدنيا بما يضركم، بما يَخْرِق سترتكم من النار، بما يُلقيكم في النار، بما يُخلدكم في النار، لا تغتروا بالدنيا فإنها تَغُرُّ، تخدع بزينتها وزخرفها، الشيطان يغر فيها، مُجاراة الناس تغر المرء فيها، لا تغتروا.

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾.

وشوف الآية الأخرى الله تعالى يتوعد أهل الغفلة في الدنيا ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾، فلا تكن ممن يُلهِهم الأمل، يلههم الأمل عن صالح الأعمال، هذا المراد؛ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ النتائج، الأمر كبيرٌ وخطيرٌ جدًّا، هذا وعيدٌ، فلا تكن من هؤلاء، لا يشغلك الأمل عن صالح الأعمال، استعن بصالح العمل على تحقيق صالح العمل، هذا الذي ينبغي.

نعم.

شوف العمل الصالح كيف يحقق صالح الأمل:

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ من الضيق ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢ – ٣].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٤].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥].

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [مريم:٧٢].

﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم:٦٣].

كل الأمور دارت على التقوى، والتقوى هي في كل مقامٍ بحَسَبِه، وانتبه: لا يراك الله حيث نهاك، ولا يَفْقِدك حيث أمرك -ما استطعت-، ومع ذلك أنك إذا أخطأت وغفلت وعصيت، فتب إلى الله يقبلك الله. **نعم**.

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ارْتَحَلَتِ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً، وَارْتَحَلَتِ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اليَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلاَ عَمَلٌ.

الشرح:

هذا في حكم المرفوع.

فيكون عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِع من النبي ﷺ.

وهذا كلام الصحابة جملته كله من هذا؛ لأنهم تلقونه من النبي ﷺ؛ لأنهم حضروا التنزيل، وشاهدوا الرسول ﷺ، وسَمِعوا كلامه، وعَرَضُوا عليه ما أشكل عليهم، فعندهم علمٌ عظيمٌ، أوعية علمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فكلامهم حكمةٌ وسَدادٌ، وهكذا التابعون الذين اتبعوا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نفس الشيء، كلامهم نور؛ التقوى: **أن تعمل الطاعة وأن تعمل بطاعة الله -جَلَّ وعلا- على نورٍ من الله، ترجو ثواب الله وتترك معصية الله على نورٍ من الله، تخشى عقاب الله،** فكله حكمةٌ. **نعم.**

﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ [البقرة:٩٦]: بِمُبَاعِدِه.

نعم.

٦٤١٧ - حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الفَضْلِ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ مُنْذِرٍ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

الشرح:

إذا قيل عبد الله المراد: ابن مسعود، ابن أم عبد.

وإذا أُريد غيرُه يُضاف إلي أبيه.

فعبد الله أو ابن أم عبد معروفٌ هذا ابن مسعود، وهو قال فيه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **كُنَيِّفٌ مُلِئ علمًا**، كُنَيِّفٌ: يعني وعاء.

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **حفظت من فِي رسول الله ﷺ سبعين سورة** -يعني تلقيتها مباشرة-، **وما أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله ﷻ، ما نزلت سورةٌ في كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت، وأين نزلت، ولو أعلم أن أحدًا أعلم مني بكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تبلغه الإبل، لركبتها إليه.**

فهو كُنَيِّفٌ مُلئ علمًا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه-. **نعم**.

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: «هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ ...»

الشرح:

يعني الإنسان هو الخط الذي في الوسط، متجهٌ إلى أحد أضلاع المربع، فهذا الإنسان متجهٌ أملُه إلى أحد أضلاع المربع، فيخترق الضلع ويخرج، والأجل محيط به من كل الجهات، وجَعَلَ الخطوط الأخرى عَوَارِضَ دون اختراق ضلع المربع.

تمضي الأنام إلى الحاجات في نهبٍ ... وربما كانت الآجال في رصدِ

كم من حديث الخطى يومًا لحاجته ... فلم ينلها وأمسى الليل في لحدِ

في الحديث: «**إذا أراد الله أن يقبض روح عَبْدٍ بأرضٍ، جعل له فيها حاجة**».

وبعض الناس مر في الموضع موضع الأجل وتمكن؛ فَرُدَّ إلى وراءه، ثم أتاه ثانيةً وقضي الأجل فيه، بحادث سيارة، يمشي في الطريق متجه لغايته، فوصل هذا المكان ومُقَرَّر أنه يُقبض فيه، فذكر حاجةً في بيته ورجع، ساعتين أو ثلاث وبعدين جاء لنفس المكان، وصار عليه حادث وتوفي، نفس المكان الذي رجع منه، «**إذا أراد الله أن يقبض روح عبد بأرض، جعل له فيها حاجة**».

ذكر أن ملك الموت كان يحضر عند سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في مجلسه، وهو في فلسطين في مجلسه، ويدير المملكة الواسعة، فقام رجلٌ من المجلس أو جاءه في المجلس وهمس في أُذنه يطلب منه حاجة كَلَّمه، فوعده سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ خيرًا بأن تُقضى الحاجة، فلما انصرف

الرجل قال ملك الموت: ما يريد هذا؟، قال: يريد أن آمر الريح أن تحمله إلى جزائر الهند، وقد أمرتها، قال: عجيب أنا أعلم أني أقبض نفسه هناك، ورأيه عندك فعجبت، كيف يصل إلى جزائر الهند، وإذا هو جاء يطلب منك المساعدة حتى يذهب لآجله.

ولهذا قال الله -جَلَّ وعلا- في كتابه في نهاية سياق آيات الحج في سورة البقرة: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:٢٠٣]، فخذوا العبرة من اجتماعكم في مِنى بحشركم يوم القيامة، وبصدُوركم منها بصدووركم يوم القيامة، يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم، فأنتم الآن مُنصرفون من منى إلى وين؟ إلى أهليكم، وربما كان الواقع والمُحقق أنكم منصرفون إلى آجالكم، فكم من واحدٍ انصرف عن الحج ولم يصل إلى أهله، واقعٌ ولا ما هو واقع؟!، واقع.

فكلُّ إنسانٍ مات بأرض سيُحشر منها إلى المحشر، واضح، فاتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون، وهكذا؛ فلا بد للإنسان أن يذكر هذا الأمر، فالأمل عريضٌ لكن الأجل محيطٌ، والأجل يحول دون الأمل في كثيرٍ من الأحيان، لكن المؤمن إذا جاءه أجله، فإنه على أمله؛ ومن أمله أن يعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما عاش، لو عاش آلاف السنين فأمله أن يعبد الله، ما يترك عبادة الله أبدًا، فلذلك يجزيه الله عَجَّلَ على نيته، فتكون نية المؤمن خيرٌ من عمله، والنية عمل القلب، فيُعطيه الله عَجَّلَ على نيته، وهو الكريم -جَلَّ وعلا-، هذا مهمٌ جدًّا أن الإنسان ينوي استدامة الخير:

فعندك مشروعات:

الأول: نية الخير:

لا تُفَرِّغ قلبك من نية الخير، متى ما تيسر لك؛ جاءت مناسبةٌ وتيسر سببه، انو الخير في كل شيءٍ، ما يصدر منك من كلام، من حركة اليد أو حركة الرجل أو كذا، نظرة عين، سماع أذن، انو الخير في كل شيء، فهذا واحد.

والثاني:

انو استدامة الخير، أنك ما عشت فأنت على هذا، يحصل لك عَمَلٌ، يكتبه الله لك قد لا تُحققه لو عملته، فنية المؤمن خير من عمله. **نعم**.

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: **«هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا»**.

واحدٌ أعرفه أنا توفي -الله يغفر له- قبل ثلاثة أيام، عانى من المرض: من مستشفى إلى مستشفى طيلة ثلاث سنوات، وعُوفي وشُفي ومات بحادثٍ في طريق البيت نفسه، شارع ما هو برئيسي، شارع الحي في الفجر، يُرجى له خاتمة حسنة، لكن انظر كيف؟ ما مات في المستشفى! ولا مات طول هذه المدة ولا شيء! مات بأجله فقط، فلذلك:

كم من صحيحٍ مات من غير علةٍ وكم من سقيمٍ عاش حتى آخر الدهر

فالآجال مغيبةٌ ولها مواعيد، مُؤجلةٌ بأجل؛ لا تتقدم ولا تتأخر.

من نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء

وأبلغ من ذلك قول الحق -جَلَّ وعلا-: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤]، نسأل الله حسن الخاتمة للجميع. **نعم**.

٦٤١٨ - حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا، فَقَالَ: «**هَذَا الأَمَلُ وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الخَطُّ الأَقْرَبُ**».

الشرح:

فالآجال قواطع الآمال.

هذه كلمة أهل العلم - رحمة الله عليهم -، فاستعدوا للقاء الله عز وجل. **نعم**.



بَابُ مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً، فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي العُمُرِ

الشرح:

يعني من أخره الله فمد عمره إلى هذه المدة الستين سنة، ستين سنة هذا هو عُمُر الإنسان من هذه الأمة، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين».

فإذًا هذا استكمل عُمُره؛ لأنه النبي ﷺ بَيَّن ذلك، استكمل عمره؛ هذا المُعَمَّر وإلا من يُؤخذ قبل الستين أكثر، ولا لأ؟ نعم، من يؤخذ قبل الستين أكثر؛ لكن هذا العمر في الجملة.

ولذلك تجد في المسجد شائبين ثلاثة، وين الأخرون؟

كلهم أُخذوا، الذي مات في رحم أمه، والذي مات عند ولادته، والذي مات في طفولته، والذي مات حُلُمه وبلوغه، والذي مات في شبابه، والذي مات في كهولته، فهذا المُعَمَّر الذي بلغ الستين، وما زاد فهو قليل، هكذا قال: أقلهم من يجوز هذا، طيب أنت عندك بينةٌ أنك من الأقل؟ وماذا بعد هذا، ما بعد هذا إلا الشيخوخة ومعاناتها.

فإذًا اذكر هذا؛ اذكر أن العمر كذا، وانو الخير في عمرك؛ تعمل في طاعة الله وفي هداه، وتشتغل بهداية عباده بعلمٍ وبعملٍ وبأسوةٍ حسنةٍ، وبمجادلةٍ، ومجاهدة، هذا هو.

وإذا بلغت الستين ماذا بقي لك؟ ما تطلب من الله شيء، أعطاك الله، وحقيقة يعني أن الإنسان ينبغي أنه كلما يذكره يشكره، سبحان الله، بَصَرك ستين سنة وأنت تتمتع به، هذه أبلغ الأنعام، سمعك ستين سنة وأنت تتمتع به، قُواك ستين سنة وأنت تتمتع بها، فإذًا اشكر الله؛ لا تلوم الله على هذا، فإذا وصلت الستين معناها استكملت العمر، فما جاءك بعد هذا فهو صدقةٌ من الله عليك، كن أَشْكَرْ لله من قبل، وأَذْكَرْ لله ﷻ من قبل، وانتظر الأجل، فإذا بلغت الستين فأنت دخلت المُعترك معترك المنايا، إن زادك الله إلى السبعين، دخلت معترك الشيخوخة، الذي تتعرض فيه لفقد البصر، فقد السمع، ضعف القوى، كذا وكذا، حتى تكون

في البيت من المتاع، وتعاني من أمورٍ نفسيةٍ لأجل أنك ما تُعطى على قدرك، ويُغفل عنك، وتُشعر بالهون، فإذًا هذا ينبغي على الإنسان أن يعتني به، أنك اشتغل بطاعة الله في شبابك؛ لأن ذلك أعون لك وأيسر لك على الطاعة عند كبرك؛ لأنه اعتياد؛ إذا اعتدت الطاعة، ولهذا كان أحب العمل إلى الله ﷻ أثبته، وكان النبي ﷺ إذا عمل عملًا أثبته، ويخبر أن أحب عمل إلى الله ما دام عليه صاحبه، فهذا هو؛ فإذا وصلت للمرحلة هذه خلاص، اعتبر كل يومٍ من الله صدقة عليك، لا تشتغل بغير ما خُلقت له، إلا لضرورة، هذه صدقةٌ من الله عليك، ما بعد ذلك خِف من العوارض ومن الأمور التي تَشعر فيها أنت أنه يُهضم جانبك، ويستهان بك، ولذلك دعاء النبي ﷺ اللطيف: «**اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في داري، وبارك لي في رزقي، واجعل أوسع رزقي عند كِبر سني**»، حتى ما يمن عليك أحدٌ، تُشَغِّل الناس بالأجرة، ما يَمُنُّ عليك أحد، يصير كلٌّ يخدمك ويرجوك، فهذه لطيفةٌ جدًّا، «**اجعل أوسع رزقي عند كبر سني**»، ما أكون عند كِبر سني مشتغل بهَمِّ معيشتي، فهكذا ينبغي للإنسان أن يعتني بهذه الأمور. **نعم**.

لقوله ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧].

الشرح:

هذا الخطاب الرباني: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾؛ للكفار هذا، والمؤمنون يأخذون من هذا العظة، أولم نعمركم يعني: عمرًا كافيًا يُبين نتيجة ابتلائكم، ويُبين صِدق عبوديتكم لله -جَلَّ وعلا- من عدمها.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾: أدنى هذا البلوغ، بلوغ الرشد أن يبلغ خمس عشرة سنة، فهذه هي سن التكليف، أو يبلغ قبله إذا أَمْنَى أو إذا نَبَتَ الشعر الخشن في العانة فيعني أنه بلغ، حتى لو كان دون ذلك، فمن بلغ بأي واحدةٍ من هذه الأمور أَعْذَرَ الله إليه، فإنه قبل البلوغ كان لا يُؤاخذ، رُفع عنه قلم التكليف، ويُؤمر بالعبادات والطاعات على وجه التربية والتأديب والتعليم، حتى تسهل عليه بعد ذلك، يُؤدب حتى ينكف عما يُؤثر في الطاعات والعبادات.

فإذا بلغ خلاص عَقَل وعرف وأتم رشده.

فإذا مُدَّ في عمره إلى الأربعين، التي هي أوج الكمال والنضج، وبلوغ الأشد، فقد أَعْذَر الله إليه أكثر؛ لأنه في الأربعين غالبًا يكون قد تزوج، وغالبًا يكون قد وُلد له، وغالبًا يكون قد تَرَسْمَلَ، صار له مال، إما في تجارةٍ سبب رزقٍ يعني، وإلا في وظيفةٍ، وإلا في صنعةٍ، وإلا في كذا وكذا، فيكون في هذه الحالة استقر، مَرَّ به من التجربة ما يكفي، وجاءت المرأة تُعينه على مُهماته، حتى يتفرغ لمشاغله، تُعينه في البيت، وصار له أولاد، يُدرك تعلقه بهم وتعلقهم به، فيذكر تعلقه بوالديه وتعلق والديه به، وما بُذل من والديه بشأنه، ويكون قد استقر له عملٌ، اتضح له سبب الرزق، ويرى أن الله كفاه في المدة الماضية، كم المدة الماضية؟ ثُلثا العمر،

باقي الثلث إن عمره الله ستين، بقي الثلث عشرين سنة، فالذي أنعم عليك بالأربعين يُتم عليك النعمة إلى الستين، لا تشيل هم، واضح.

ولذا قال الله -جَلَّ وعلا-: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف:١٥]، فيها فك ولا ما فيها فك؟ إي نعم؛ ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾، يعني مدة الرضاعة عامين، ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة:٢٣٣] ، فإذا أُرضع حولين، بقي ستة أشهر عن الثلاثين شهر، معناها أنه قد يوضع الحمل لستة أشهر، فإذا وضعت امرأةٌ الحمل لستة أشهر فما عليها شبهة.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ [الأحقاف:١٥] قيل الأشد هو البلوغ، وقيل هو ثمان عشرة سنة، وقيل هو الأربعين، والغالب أنه الأربعين؛ لأن الله وصف بذلك رُسُله الذين أوحى إليهم:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [يوسف:٢٢].

وفي آية أخرى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [القصص:١٤].

فدل على أن الأربعين هي غاية الأشد، كمال النضج، فما بعدها يكون فيه نقص، ﴿ بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ [الأحقاف:١٥] ، مَرَّ به من التجارب ما يكفي، ومَرَّ به من ألطاف الله ما يُرقق قلبه، كم تعرض لهلكةٍ ونجاه الله منها، كم مرض من مرةٍ وعافاه الله.

جاء في الحديث الصحيح أن الله – تعالى – يقول إذا مرض العبد: «**إني قد قيدت عبدًا من عبادي بقيدٍ من قيودي، فإن أشأ أقبضه وإن أشأ أطلقه**»، المرض قيدٌ وتذكيرٌ أن يحاسب المرء نفسه، فإذاً كم قيده الله وأطلقه خلال الأربعين سنة، لو قلنا إنه مرةً في السنة واحدة، كما مرة؟ أربعين، ما تكفي هذه عظة؟، فإذاً يذكر لطف الله ﷻ به، يذكر إحسان الله ﷻ إليه، ثم يذكر

حُنُوَّ والديه عليه، يوم كان لا يستطيع أن يسعى ولا يكسب، ولا حتى يُفَرِّق بين التمرة والجمرة، من الذي كان يليه؟، والداه، فإذًا قال: ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ وفقني وأعني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾، جنس النعمة، ما هي واحدة؛ لا، الجنس؛ نعمًا كثيرةً، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨]، ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ الذين أحسنا إلي، فإذًا هو عقل الآن ونضج، وبانت وسيلة كسبه، ورأى الولد، وحنانه على الولد ذَكَرَه بحنان والديه، وحاجته إلى أبيه، وحاجة ولده إليه، وهكذا ومضى ثلثا العمر ولا يدري ما الباقي، فإذا يريد أن يستقر، ويفرغ للعبادة، وينقطع عن الشواغب، ﴿أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾، يعني اخلُفني في ذريتي بصلاحٍ، وأرني صلاحهم قبل مفارقتهم؛ ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣].

فأمتع شيء في حياة الإنسان المؤمن أن يرى ولده يتردد على المسجد وهو حي؛ لأنه يكون اطمئن أنه على الجادة على الطريق، واطمئن أن عمله هو مستمرٌ؛ لأنه إذا عَمِل ولده فعمله مستمر؛ يدعو له ويثاب على ذلك، فإذا هذه مهمةٌ، ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ خلاص أنا سفهت، وأنا غشمت، وأنا غفلت، وأنا تعمدت، وأنا كذا وكذا، والآن -يا ربي- أسلمت نفسي إليك، ورحلي بين يديك، واتجاهي إليك، فأريد منك -يا ربي- هذا، ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، تبت إليك مما جنيت، واستمريت على إسلامي لك، إني من المسلمين، ما جزاء هذا؟ ما مكافأته؟ هذا عنده أمل عريضٌ؟! لأ، هذا متفرغ، قلبه ما هو مشغول بالدنيا وهموم الدنيا، قلبه متعلق بالآخرة؛ همومه الآخرة؛ لأنها

مستقبله، فمستقبلك الحقيقي: هو الآخرة ما هو في الدنيا، الدنيا مضمونة، ومهما جدِّيت واجتهدت لن يأتيك إلا ما كُتب لك، ولن تموت حتى تستكمل رزقك، ولو كان في جوف صخرةٍ صماء لفلقها الله لك، وما لم يُكتب لك لن تذوقه أصلًا، يُحال بينك وبينه، فإذًا الآن أنت مقبلٌ على الله ﷻ، فهذا يكون استسلامٌ اختياريٌّ منك لله ﷻ، واعترافٌ اختياريٌّ بفضل الله -جَلَّ وعلا- عليك، والتماسٌ منك لله ﷻ أن يُسبغ النعمة عليك وعلى والديك وعلى ذريتك.

وفي دعوة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **فقرة زيادة:** ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩]، فهذا من الذكر الذي ينبغي للإنسان أن يردده بين وقتٍ لآخر، ما يروح يوم ولا ليلة إلا قُلْتَهُ، خصوصًا بعد العمر هذا؛ بعد الأربعين، لكن قبل الأربعين وطن نفسك لهذا حتى يسهل عليك: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩] ، ردد هذا؛ لأن الله ﷻ ما ذَكَرَ لنا هذا في القرآن إلا لأجل أن نعتبر به ونتأسى بمن قاله؛ لأن هذا ما هو بخصوصي، هذا لكل أحدٍ، فلذلك احفظ هذا الدعاء، ورِدده، واعقله، وأن تقوله تعقل معناه والمراد منه، قال تعالى؛ أيش الجزاء؟ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف:١٦] ، هذا واحد، أحسن العمل يكون معيار الجزاء على العمل الأحسن، لا الأوسط ولا الأدنى، من كَرَم الله -جَلَّ وعلا-، نعمةٌ كبيرةٌ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾، نعفو عن خطاياهم وسيئاتهم؛ لأنه استسلم لله -جَلَّ وعلا- أقبل على الله، فالله يُقبل عليه أكثر، ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾.

نسأل الله الكريم فضله؛ ربنا أوزعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمت علينا وعلى والدينا، وان نعمل صالحا ترضاه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، وأصلح لنا في ذرياتنا، إنا تبنا إليك وإنا من المسلمين.

وصلى الله وسلم وبارك على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ملاحظة:

ربما أن بعض الإخوان كانوا يتوقعون منا السرد على أساس ينتهي الكتاب، ينظرون إلى آخر الكتاب، وإذا كان الكتاب «**كتاب الرقائق**»، فينبغي أن نكون نحن أرق؛ لأن المراد العظة وتحريك القلوب، والتنبيه على المهمات.

هذا ما يسمى «**درس علمي**»، هذا «**درس وعظي**»، هذا يُذكر بمواعظ السلف ومواعظ الأئمة الذين كانوا يتخولون طلابهم من يأتيهم بالموعظة، وهم يَعظون بها أنفسهم -أولًا-، فهذا طبيعة الدرس، هذا درسٌ وعظيٌّ، تنبيهات، ولفت النظر لبعض الأمور، وذكر الشيء بمناسبته، هذا يرقق القلوب هذا، ويهدي إلى صالح العمل، ويُجَمِّل السمت والمظهر، فطالب العلم ينبغي أن يكون سمته على العبادة، ومَظْهَرُه مظهر عبودية وذل لله ﷻ، مظهر تواضع، مظهر وقار وجلال، ولن يكون هذا إلا بطاعة الله، والعلم يراد منه العمل، فهذا درسٌ وعظيٌّ؛ لأن هذا موضوع الكتاب.

ونحن بحاجةٍ إلى هذا؛ لأن أمور الدنيا اليوم كلها تُعين على الجفاء، وتفتح باب الجفاء، وقَلَّ ما يجد الإنسان أحدًا يجلس إليه يُذاكره في أمر الموت والقبر والآخرة، قليل جدًّا هذا، وربما يُوجد من هو على غير طريقة السنة في هذا.

فإذًا نحن في حاجة إلى المذاكرة في هذا الأمر الذي يُرقق القلوب، وينشط الهمم للعمل الصالح، ويحمل النفس على الانزجار والتوبة من القبائح، ويتذكر أمر الآخرة، ويتذكر حال

السلف، ويرى حقارة الدنيا، وأنها من البلايا والسَّوارق والشواغل، إذا لم يعتصم المرء بالله -جَلَّ وعلا- ويلجأ إليه، ويكون من الدنيا على حذرٍ، هذا أمرُ مهمُ جدًّا ينبغي التنبه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدرس الثاني

الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشيخ: اللهم وصل وسلم على نبينا محمد، اللهم اغفر لشيخنا ولنا وللحاضرين.

قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري – رحمه الله تعالى – في صحيحه في «**كتاب الرقاق**»:

بَابُ مَنْ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً، فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي العُمُرِ

لقوله ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧] يَعْنِي الشَّيْبَ.

٦٤١٩ – حَدَّثَنِي عَبْدُ السَّلاَمِ بْنُ مُطَهَّرٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ مَعْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الغِفَارِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً**» تَابَعَهُ أَبُو حَازِمٍ، وَابْنُ عَجْلاَنَ، عَنِ المَقْبُرِيِّ

٦٤٢٠ – حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَبُو صَفْوَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ**» قَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، وَابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدٌ، وَأَبُو سَلَمَةَ.

٦٤٢١ – حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ المَالِ، وَطُولُ العُمُرِ**». رَوَاهُ شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ.

الشرح:

الحمد لله.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فسبق الكلام على قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾، والمعنى أن الإنسان إذا أعطاه الله عمرًا يتذكر فيه مَنْ تذكر، بحيث بَلَّغه مرحلة البلوغ: بلوغ الرشد، أو الثلاثين، أو الأربعين، أو الستين، فقد أعذر الله إليه؛ لم يترك له حجة؛ لأنه أمهله ما يكفي ليزداد أو ليوجد العمل الصالح ويزداد منه، ويتوب من القبائح، فلم يترك له عذرًا، لا حجة له عند الله -جَلَّ وعلا-، فالإنسان يَعْتَبِر بهذا ويغتنم عمره في طاعة الله -جَلَّ وعلا-، والبعد والنهي عن معصيته، فإن اقترف شيئًا من الآثام فليتب إلى الله ﷻ، وليرد المظالم إلى أهلها، وليُحاذر أن يفجعه الأجل في حال غِرَّةٍ على غير استعداد.

ولذا جاء الحديث تفسيرا للآية: «**أعذر الله إلى امرئ بلغه ستين سنة**»، يعني لم يترك له عذر، وفي الحديث الآخر الذي يليه: تنبيه أن الإنسان كلما تقدم به العمر، ينبغي أن يعتني بالمجاهدة، مجاهدة نفسه؛ لأن النوازع إلى الدنيا ستؤثر عليه، وقد تغلبه، فيشب معه خصلتان: حب الدنيا، وطول الأمل، فإذًا كلما شاب وتقدم به العمر ينبغي أن يكون أشد حذرًا من الافتتان والتعلق بالدنيا؛ لأنه هو منها في حال إدبار، فكيف والآجال مغيبةٌ، لا يُدرى هل يبلغ المرء كمال العمر وغاية الستين سنة أم لا؟، فليحذر من طول الأمل، وليحذر من حب الدنيا، فإنهما يحملان المرء على اللهو والغفلة، وعلى قلة الاستعداد للموت، وعلى نسيان الآخرة، أو الذهول عما ينبغي لها، وعلى الاشتغال بالدنيا، والتأسيس لها، بسبب الحرص وطول الأمل، فليكن الإنسان كلما تقدمت به السن أشد حذرًا، ومجاهدةً لنفسه، والله تعالى قال: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣]، وفي آخر السورة قال

سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩] ، بل العقل الصحيح، والحكمة السديدة، ودلالة الشرع، على أن الإنسان يكون أكثر استقامةً كلما تأخر به العمر؛ لأنه أوشك على الانقطاع عن العالم، وأوشك على لقاء الله -عز وجل-، فليكن كُلَّما تقدم به العمر أحسن حالًا منه من سابقه؛ لأن العلم يزداد ولأن التجربة تكفي؛ لأن وفاة الأقران ومَنْ دونه عظة، ولأن الإنسان يُختم له بآخر عمله، بما كان عليه، فليكن في آخر عمره أكثر إقبالًا على الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وانشغالًا بعبادته، وما يُرضيه، وبعدًا عما يسخطه، هكذا ينبغي، هذه الحكمة، رجاء أن يلقى الله -جَلَّ وعلا- على أحسن أحواله، وعلى أكمل أعماله، نسأل الله حسن الخاتمة للجميع. **نعم**.

بَابُ العَمَلِ الَّذِي يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ

فيه سعدٌ.

الشرح:

فيه سعد يعني فيه حديث سعد، متفق عليه، سعد بن أبي وقاص -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه - أنه مَرِض واشتد به المرض فعاده النبي ﷺ، وقد أيس من نفسه، فاستفتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني ذو مالٍ وليس لي عيال، فهل أتصدق بمالي كله، فقال له النبي ﷺ: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالة يتكففون الناس**»، فهو يستفتي النبي ﷺ في ماله؛ لأنه ما له في ذلك المرحلة من العمر إلا بنت واحدة، فالنبي ﷺ قال له هذا الكلام: «**إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالةً يتكففون الناس، وأنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله، إلا ازددت بها درجة ورفعة**»، ففهِم سعدٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من ذلك أنه سيمتد به العمر، كانت هذه الحادثة في حجة الوداع، فقال: يا رسول الله، أُخَلَّف بعد أصحابي؟، قال: «**لعلك أن تُخلَّف، فينتفع بك أقوامٌ، ويضر بك أخرون**»، فخلّف سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقاد حرب القادسية على الفرس، ونصر الله الإسلام وأهله، فبين له النبي ﷺ أنه يُحسن إذا ترك شيئًا لولده، يعني أنه ينبغي أن ينفق ماله في حياته في مرضاة الله -جَلَّ وعلا- وما أباحه، ولا يخرج المال ولا يُفنيه بالإنفاق أو الوقف، بل يترك لورثته شيئًا؛ لأنه في مثل هذه الحال -خصوصًا عند الموت - يُتَّهم بالجور في الوصية، أنه أراد أن يُحرم أحدًا من الميراث، ولأن المال عند اليأس من الحياة، وغلبة الظن بالموت يكون رخيصًا على صاحبه، فلا يكون بَذْلُه مثل لو بذله في حالة صحته وأوج قوته، ولذلك لما سئل النبي ﷺ عن أفضل الصدقة قال: «**أن تَصَدَّق وأنت صحيح شحيح، تأمن الغنى وتخشى الفقر، ولا تُمْهل حتى إذا بلغت الحلقوم، قلت لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان**»، والمعنى أنفق من مالك في وجوه الخير، واعلم أن ما

أنفقته هو الذي لك؛ لأنك قدمته بين يديك، باختيارك ورغبتك، ويدل على رغبتك للخير، ولكن لا تضر بورثتك؛ فإن المسلم أو المسلمة يعبد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ستين سنة، فيجور في وصيته، فيدخل النار بذلك.

المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشار إلى حديث سعد، والشاهد منه قوله: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في فِيِّ امرأتك**»؛ أي حتى النفقة الواجبة والمباحة إذا اقترنت بالنية الصالحة للقيام بالواجب الشرعي، وإغناء الأهل، وإعفافهم عن الحاجة، فإنك تُؤجر على ذلك، وترتفع به درجاتك عند الله. جاء في الأحاديث الأخرى: «**إن أفضل دينار ينفقه المرء دينار ينفقه على نفسه**»، يعني أفضل من الدينار الذي ينفقه على رحمه أو على الجهاد في سبيل الله، **نعم** ...

٦٤٢٢ - حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ - وَزَعَمَ مَحْمُودٌ أَنَّهُ عَقَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: وَعَقَلَ مَجَّةً مَجَّهَا مِنْ دَلْوٍ، كَانَتْ فِي دَارِهِمْ -.

الشرح:

يعني أن محمود بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ معدودٌ من صغار الصحابة؛ لأنه أدرك النبي ﷺ ومَيَّزه، ولذا أخبر أنه عَقَل من النبي ﷺ مجةً مَجَّها في وجهه، ذلك أن أهله حفروا بئرًا، وظهر بها الماء، فأحبوا أن يأتي النبي ﷺ ويدعو لهم، دَعَوا النبي ﷺ، فجاء النبي ﷺ وتوضأ من دلوٍ نزعوه له من البئر، وكان من سُنَّته ﷺ أنه إذا توضأ أحيانًا يشرب من الماء، غرفة أو غرفتين أو ثلاث، من سُنَّته كما بَيَّن ذلك عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخذ مجةً يعني ملأ فيه شيئًا الماء أو جعل فيه شيئًا من الماء، ثم مجه في وجه محمود بن الربيع على وجه المداعبة؛ لأنه كان صغيرًا، أصغر من سبع سنين، فهو مُمَيِّز يعني؛ لأن التمييز قد يكون قبل سبع سنين.

سئل بعض أهل العلم متى يميز الغلام؟

قال: إذا عرف يمينه من شماله، إذا ميز بَيْنَ يمينه وشماله، فهذا يُمكن فيه التمييز في المرحلة، فهو يقول إنه عقل مجةً مجها النبي ﷺ في وجهه من بئرٍ لهم، فهو مثل يعني عبد الله بن الزبير، ومثل طارق بن شهاب، وغيره من أصاغر الصحابة.

فأراد البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ أن يلفت إلى أن هذا الغلام ثبتت صحبته؛ لأنه أدرك النبي ﷺ ورآه عاقلًا مميّزًا، ولو كان دون البلوغ، وهذا مثله أيضًا إذا حفظ عن النبي ﷺ سُنَّةً تَحَمَّلَها وأداها بعد رُشده، فروايته مقبولةٌ، يصح سماعه، وتقبل روايته؛ لأن العبرة بالأداء، حين أداها؛ بلغ الرسالة، بلغ السنة، ولو كان حفظها صغيرا. **نعم**.

٦٤٢٣ – قَالَ: سَمِعْتُ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ الأَنْصارِيَّ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي سَالِمٍ، قَالَ: غَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ».

الشرح:

عتبان الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان شيخًا كبيرًا، وضعف بصره، وكان يأتي من شُقَّةٍ بعيدةٍ، من مسافةٍ بعيدةٍ من المسجد، فطلب من النبي ﷺ أن يزوره في بيته، قال: إني أَنْكَرْت بصري، فأراد الرسول ﷺ أن يزوره في بيته، وأن يُحدد له موضعًا يُصلي فيه، فيصلي فيه النبي ﷺ، إذا حدد الموضع عتبان يصلي فيه النبي ﷺ، ليتخذه مصلى إذا عجز في صلاة الليل، والصلوات المسائية، المغرب والعشاء والفجر التي فيها الظلمة، وإذا ضعف لكبر سنه، وإذا مرض أن يصلي في البيت ويصلي النافلة في البيت كذلك، فأتاه النبي ﷺ، واعده الضحى، وأتاه ﷺ، وسَمِع بعض جيران عتبان بالخبر، فجاؤوا إلى بيت عتبان وتوافدوا عليه، رغبةً في أن يلتقوا بالنبي ﷺ ويسمعوا منه، فلما دخل النبي ﷺ ضحى قال له: أين تحب أن أصلي لك؟ فأشار إلى موضعٍ، فصلى بهم النبي ﷺ جماعةً ركعتين، فدل على أن النافلة تُفعل أحيانًا جماعة، من أجل أن تتعلم النساء والصغار، ويحصل بركة، فالأصل أن النافلة لا تُصلى جماعة، وآكد النوافل: صلاة رمضان تركها النبي ﷺ ولم يواظب عليها، خشية أن تُفرض على الأمة، فلا تطيقها، فصلى بهم الضحى جماعةً، فيصلي النبي ﷺ أي نافلةٍ جماعة، عشان يُعلم أهل البيت، مثلما قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ أتاهم في بيت جدته مُليكة، قال: قمت إلى خِصٍّ لنا –فراش يعني من سعف النخل– قد اسوَدَّ من طُول ما لبس من طول ما استعمل، فنضحه بالماء وصلى عليه النبي ﷺ وصلى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واليتيم وجدته ورائهما، وراء النبي ﷺ نافلةً، ليست ضحى، فهذا فعله النبي ﷺ.

فإذا صلى الإنسان بأهله جماعةً، أو بأصدقائه نافلةً أو أوتر بهم، أو صلى بهم صلاة الليل أحيانًا، أو صلاة الضحى أحيانًا أو غير ذلك، فلا بأس بهذا؛ سنةٌ، فيه مصلحةٌ وفيه خيرٌ كثيرٌ.

«**إن الله جعل من بيت المرء في صلاته خيرًا، أو قال نورًا**»، فلما فرغوا من الصلاة أي فرغ النبي ﷺ من الصلاة في بيت عتبان، وجلسوا لأن عتبان استأذن أن يصنع للنبي ﷺ طعامًا فوافقه، فجلسوا ينتظرون الطعام، فربما سَأل النبي ﷺ عن رجلٍ من الصحابة يقال له مالك بن الدخش أو مالك بن الدخشم، فتكلم فيه من تكلم، قال قائلٌ كلمةً شديدةً، قال: ما نرى وجهه وولاءه إلا للمنافقين، وقال قومٌ خيرًا، فهذا الذي قال كلمةً شديدةً، قال له النبي ﷺ: «**لا تقل ذلك**»، ما تدري ما في قلبه، وإن كان له تصرفاتٌ تؤخذ عليه، قد تكون ذهولًا أو نسيانًا أو هوى أو غير ذلك، وقال: «**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»، يعني يكون من أهل لا إله إلا الله، ويُوَفَّق لقولها عند الموت، فتُكَفِّر كل خطيئةٍ، ويُسدد بها المرء، ويُحرم عليه النار، ويوفقه للتوبة والإنابة، ولو كان فعل كبائر وغيرها، يُوفق للتوبة وما بقي من ذلك يُغفر؛ الإنسان إذا اجتنب الكبائر غُفر له ما دون ذلك، ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء:٣١]، لا تحكم عليه بظاهره، لا تدري عن سريرته، والمعنى: أن الإنسان لا يجرأ على هذا، ولا يَشْمَت فيمن هذه حاله.

فالرجل الذي يُدعى حمارًا، كان كثيرًا ما يشرب الخمر ويؤتى به إلى النبي ﷺ فيجلد، كان يمازح النبي ﷺ يعني فيه دعابة، فلما سبه أحد الناس، قال ﷺ: «**لا تقل ذلك، إنه يحب الله ورسوله**»، هذا إخبارٌ عن غيبٍ، عما في القلب، ما يكون إلا عن طريق الوحي، الظاهر: الذي يخالف الشرع يخاف على صاحبه منه، لكن لا يقطع بإفلاسه أو خسارته أو نفاقه، لا يُقطع؛ ذلك الأمر إلى الله ﷻ.

وفي هذا: التنبيه على كلمة التوحيد، وعظمة شأنها، هذا دليلٌ من أدلة عظم شأن التوحيد، كلمة التوحيد وعظم شأنها، وأن الله ﷻ يُحَرِّم من مات عليها على النار، لا تمسه النار أصلًا.

وهذا كما قال أهل العلم: هذا الحديث ما في معناه من الأحاديث التي فيها تغليب الرجاء وبيان فضل بعض خصال الأعمال، هذا يُجمع بينه وبين الأحاديث الأخرى التي فيها تَقْيِيد قَوْل هذه الكلمة بقيودٍ ثقالٍ كما قال أهل العلم، أن يقولها: عن إخلاصٍ، وأن تكون آخر كلامه من الدنيا، وأن يكون غير شاكٍّ.

فهذا دليل على أن النصوص يُجمع بعضها إلى بعض، فالمُجمل تُفسره النصوص الأخرى، والمُطلق تُقيده النصوص الأخرى، لا بد أن يُنظر إلى النصوص نظرةً عامةً واسعةً، ويؤلف بينها، ولا يفرق بينها، ولا يُعارض بعضها ببعض فهذا شأن الذين في قلوبهم مرضٌ وشكٌ ونفاقٌ.

فدل هذا على فضل هذه الكلمة العظيمة، وعلى أنها خير ما يُختم العمر به، وأن الختام بها توفيقٌ من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ما هو بقوة ذلك الشخص، ولا بذاكرته، ولا بغناه، ولا بشهرته وسؤدده، لا هذا توفيق من الله -جَلَّ وعلا-، نسأل الله حسن الخاتمة. **نعم**.

لأن هذا في معناه «**يبتغي بها وجه الله**»؛ لأنه قالها: يبتغي بها وجه الله، في آخر لحظاته، فتكفر هذه تكفر سيئاته، وينفتح له باب التوبة ولو في آخر لحظة، إذا تاب نادمًا وهو عاقلٌ؛ لأن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغرغر، لأنه إذا بلغ الغرغرة زال وقت الاختيار، فصار قوله لها اضطرارًا، لكن الشأن أن يقولها في حال الاختيار، قبل أن يُغرغر، لابد من الانتباه لهذا.

وهذه الكلمة كما ذكرت لكم عند الدرس السابق أن العبد يقولها في الدقيقة بعدد ثوانيها، يعني ستين مرةً يستطيع أن يقولها، وهذا خيرٌ عظيمٌ، وتيسيرٌ من الله ﷻ لعباده، فهي كلمةٌ عظيمةٌ ينبغي على للإنسان أن يُوثق الصلة بينه وبينها، وأن تكون ديدنه يلهج بها، فيقولها مثلًا

عند النوم حتى يغلبه النعاس، ويقولها في سائر أحواله حتى تكون مألوفةً عنده سهلةً وقريبةً من اللسان وقريبةً من القلب، فيُعود لسانه قول لا إله إلا الله؛ لأنها أثقل شيءٍ في الموازين، ولأنها أحسن ما يُختم للعبد به، فينبغي للإنسان أن يوثق الصلة بينه وبين هذه الكلمة، ويجعل سكوته في غالبه انشغالًا بها، يقولها بينه وبين نفسه، وإن رَفَعَ صوته ليُسمع من حوله، ليتذكروا ويقولوا مثله، فحسن، والأعمال بالنيات. **نعم**.

٦٤٢٤ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلَّا الجَنَّةُ**».

الشرح:

احتسبه يعني احتسب أجره، أجر المصيبة، احتسب أجر المصيبة عند الله سبحانه، بمعنى أنه ابتغى بذلك بصبره على المصيبة وجه الله -جَلَّ وعلا-، فيكون الصبر له في هذه الحالة عملًا صالحًا، يُثاب عليه ثوابًا عظيمًا، والصَّفِيُّ ليس الولد فقط، الصفي الحبيب، الخالص، القريب من النفس، المحبوب للنفس، فيشمل الوالد والوالدة والزوجة والولد والبنت والأخ والأخت والقريب والبعيد والصديق، كلٌّ بحسبه، كل ما كان أدنى منه كانت المصيبة فيه أشد، وكان الصبر عليه أوجب، وكان الأجر عليه أعظم على المصيبة، فدل على أن الإنسان يُؤجر على احتسابه، واحتسابه أن يحتسب عند الله ﷻ حصول المثوبة على عمله، فيحتسب المثوبة على صبره الشرعي، لقوله ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا**» يعني بمشروعيته «**واحتسابًا**» أي لمثوبته «**غفر له ما تقدم من ذنبه**»، وهكذا كلُّ ما تحتسبه؛ تحتسب أن يكون عملك الذي ترجو المثوبة عليه شرعيًّا، مما شرعه الله ﷻ في أصله، ويكون على وفق السنة في كيفيته، فتحتسبه عند الله - تعالى - مثوبة: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:١١٢]، فيُؤجر الإنسان على الصبر؛ لأن الصبر عملٌ يُبتغى به وجه الله، وعملٌ له شأنٌ، فالدين كله بالصبر، صبرٌ على الطاعة، فلا يسأمها ويتركها، وصبرٌ على المعصية فلا يقترب منها، وصبر على الأحوال المضلة فلا يُصغي إليها، وصبرٌ على المكاره فلا يجزع ويسخط ويتكلم بما يؤذي الله -جَلَّ وعلا-

ويعترض على قدره، فالدين كله بالصبر، الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له.

قال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : **وجدنا أطيب عيشنا بالصبر.**

ويكفي قول الله -جَلَّ وعلا-: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

فالصبر عمل يُبتغى به وجه الله، من أَخْلَصَهُ أُجِر عليه؛ أَجْرَ العمل؛ لأن الإنسان يُصاب بمكاره، فإذا أنه صبر فهو يُؤجر على ذلك وتُكفر خطاياه، وإذا احتسب فإن مع تكفير الخطايا أيضًا يُؤجر على ذلك، فإذا أُصيب بمرضٍ أو همٍ أو حزنٍ أو غير ذلك، فهذا مما تُكفر به الخطايا، وإذا احتسب وآمن بالقدر واستسلم لله عَزَّ وَجَلَّ ورجا من الله الخَلَف، أُجر على ذلك، فبالصبر -أنه ما يعترض على القدر ولا يسخط- تُكفر الخطايا، وبالاحتساب يحصل الأجر، فهما أمران. **نعم.**

كما أخبر النبي ﷺ أن العبد يُؤجر على الشيء حتى الشوكة يشاكها، ما هو باختياره الشوكة يشاكها، وأخذ ﷺ غُصنًا يابسًا فيه ورق، فنفضه حتى سقطت أوراقه، وأخبر أن هذا مثل الخطايا، تتحات عن المسلم بما يُصيبه من المكاره.

والله - تعالى - قال:﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]، فيكون هذا تكفيرًا للخطايا، وإذا احتسب ازداد أجرًا. **نعم.**

بَابُ مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافسِ فِيهَا

الشرح:

يعني أنه يحذر الاغترار بزهرة الدنيا، بنضارتها، ورونقها، وانبساطها، وإتيانها المرء على ما يُريد، يخشي الإنسان؛ لأنه يعلم من نفسه ما هو عليه من المعاصي: في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه وبطنه، فيحذر، فإذا واتته الدنيا على ما يُحب وعلى ما يُريد ويعلم أنه على معاصي -وكلنا كذلك- يخشى أن يكون هذا استدراجًا، كما قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٢] ، فلهذا يأخذ حِذره، ويستعمل الدنيا على وفق الشرع مما يحب، ولا يجعلها في قلبه بل يجعلها في يده، يستعين بها على طاعة الله مثل ما يُستعان بالنعل على المشي؛ لأن المرء لا يزال راكبًا ما انتعل.

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (**إن الدنيا بالنسبة للإنسان بمثابة الكنيف في البيت** (موضع قضاء الحاجة)، **الذي لا يُستغنى عنه، ولا يُذكر**).

يعني لا يُفتخر به؛ للحاجة، يستعمل الدنيا في طاعة الله وفي ما أباحه الله ﷻ ويحذر أن يغتر بها، وأن يسترسل ورائها، وأن يتوسع بالملاذ، وأن يشتغل بالفضول، فإن هذا يقوده إلى المُشتبهات، ثم إلى المحرمات، يكون منها على حذرٍ ووجلٍ.

كما قال عمر: **نخشى أن تكون طيباتنا عجلت لنا في الحياة الدنيا**.

يعني يشير إلى قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ [الأحقاف:٢٠].

قال بعض السلف: **من وُسِّع له في الدنيا** -أو كلام في معناه- **وهو على المعصية، ولا يَرى أنه يُستدرج، فلا رأي له**.

يعني ما عنده رأي، فهذا خطيرٌ جدًّا. **نعم**.

أي كلام سمعتموه تودون حذفه، تودون الاختصار؟ ما تودون الاختصار.

إذًا ما هو المقصود أننا ننهي الكلام، المقصود أننا نفهم ونتذكر ونعتبر، ونعرف مَرْمَى النصوص ومغزاها، وغايتها هذا المقصود، وإلا كُلٌّ واحدٍ بإمكانه أن يأخذ الكتاب ونص ساعة ويكون قرأه، قرأ المتن متن الكتاب هذا، لكن المراد هذا، وهذا نوعٌ من المذاكرة، هذا من المذاكرة؛ التذاكر الذي يفتح الذهن ويفتح القلب، ويشرح الصدر، ويُطيب النفس، ويُذهب الغل، ويغيظ الشيطان. **نعم**.

٦٤٢٥ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ، وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، كَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ إِلَى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ البَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ العَلاَءَ بْنَ الحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِهِ، فَوَافَتْهُ صَلاَةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ: «**أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ**» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ**».

الشرح:

والمعنى: أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا في تلك المدة في حال ضِيقٍ من العيش وحاجةٍ، فسمعوا بقدوم أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمال الجزية من البحرين، فوافَوا صلاة الفجر مع الرسول ﷺ رجاء أن يَقسم النبي ﷺ بينهم مما آتاه الله، فهم كأنهم كَثُروا في المسجد، بعض الناس يفهم أنه ما كان في زمن النبي ﷺ إلا المسجد فقط مسجد ﷺ، لا؛ فيه مسجد قباء، فيه مسجد بني زريق، فيه مساجد أخرى؛ لأن المدينة كَثُر سُكانها بعد الهجرة والدخول في الإسلام، فلذلك صارت مساجد في الأحياء والقبائل، فالذين سمعوا بمقدم أبي عبيدة لم يُصلوا الفجر في مساجدهم وجاؤوا يصلون مع النبي ﷺ، خصوصًا أهل الحاجة، رجاء أن يصيبوا شيئًا مما يقسم النبي ﷺ، والنبي ﷺ هو الموصوف من الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨] ، فكان الرسول ﷺ يشق على ما عليه الصحابة من الحاجة؛ لأنه أشفق عليهم وعلى الأُمَّة من الوالد على ولده.

كاد الفقر أن يكون كفرًا.

فشق ذلك على النبي ﷺ، لما رأى من الحاجة، وبَشَّرهم بأن هذه الحاجة ستزول، وسيغنيكم الله ﷻ ويُوسع عليكم بالفتح والفتوح التي تأتي من بعده كما أخبر النبي ﷺ، فلما أنه سألهم أن يتقررهم بالذي جاء بهم، قال لهم: سمعتم بقدوم أبي عبيدة، قالوا: نعم، قال: أبشروا وأملوا، قال أبشروا بالخير، وأملوا من الله خيرًا، أحسنوا الظن بالله، مُوافقا لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥ - ٦]، لن يغلب عسرٌ يسرين.

فما من عسرٍ يُصيب المرء إلا وهو مسبوقٌ بيسرٍ وملحوقٌ بيسرٍ، هكذا يظن المرءُ بربه، والله تعالى له الحكمة في التيسير والتعسير، وقد عُرِض على النبي ﷺ أن تُبسط عليه الدنيا، وأن يُقلب له الصفا ذهبًا، فقال: «**لا يا ربي، أجوع يومًا وأشبع يومًا، وإذا جعت صبرت وإذا شبعت شكرت**»، وهكذا اختار النبي ﷺ لأهله، أن يكون عيشهم قُوتًا، يعني على قدر الحاجة دون زيادة: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتهم**».

وفي الدعاء المأثور: «**اللهم قَنِّعْني بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخلف عليَّ كُلَّ غائبةٍ لي بخيرٍ**».

فالنبي ﷺ قال: «**أبشروا وأملوا، فما أخشى عليكم الفقر، أخشى عليكم الغنى**»؛ الفتنة في الغنى؛ لأن من طبيعة الغنى وأهله الذين يُبتلون به إذا غفلوا عن الشرع أن يَتَشَّاحوا، حتى يتقاتلوا، ويستحلوا حُرماتهم - يعني بأعمالهم -، يعني ما هو استحلال عقدي؛ لأ، بالتأويل والشبهات، بسبب الشح، فيهلكوا؛ فخشي النبي ﷺ على الصحابة أن تُبسط عليهم الدنيا، وأن يتشاحوا وأن يهلكوا، كما هلك من كان قبلهم.

فهذا تذكيرٌ وعظةٌ بوجوب الحذر من الغنى وأن الإنسان لا يغتر بها؛ فالفقر ليس أصلًا لأحدٍ، الفقر أمرٌ عارضٌ بقَدَرِ الله -جَلَّ وعلا-، فيفتقر الغني ويستغني الفقير وغير ذلك، والله -جَلَّ وعلا- هو أعلم بما يُصلح عباده، فإن كان يُصلحهم الفقر ابتلاهم بالفقر، وإن كان يصلحهم بالغنى ابتلاهم بالغنى، كلهم؛ والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، فيعطي الدنيا من يُحب إكرامًا له وإعانة له على الطاعة ورفعةً للدرجات إذا استعملها وفق الشرع، فيكون إعطائه الدنيا دليلًا على محبة الله له. ويعطيها من لا يحب ابتلاء واستدراجًا، حتى يظهر حقيقة أمره، فيُصاب بالأشر والبطر والبغي والظلم، واستعمال الدنيا سُلَّمًا للمعاصي فيهلك، فالدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب وفق قَدَرِه، ما سبق به العلم وجرى به القدر، ولا يعطي الدين إلا من أحب، الدين الموافق للشرع، ما هو التدين العاطفي؛ لأ، الدين الموافق للشرع، التدين وفق الشرع، لا يعطيه إلا من أحب، ومن أعطاه الله الدين فقد أحبه؛ فبسط الدنيا على الإنسان قد لا يكون خيرًا له، ولا يكون منحة من الله له، يخشى من هذا.

بناء على ذلك: اختلف العلماء - رحمة الله عليهم - أيهما أفضل: الغني الشاكر أم الفقير الصابر؟

اختلفوا: ففَضَّل أحدهم الغني الشاكر، وفضل آخرون الفقير الصابر، ولكلٍّ أدلته، ولكن الراجح أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر؛ لأن الغني الشاكر عنده اختيار، يعني شَكَرَ عن اختيار، وذاك قد يكون صبر عن اضطرار، ما عنده شيء؛ ولذا كان سادات الصحابة كأبي بكرٍ وعثمان وعبد الرحمن بن عوفٍ وسعد بن عُبادة كانوا أغنياء، كانوا من الأغنياء ونفع الله بهم الإسلام والمسلمين، فالغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، وكلٌّ فاضلٌ وفي كُلٍّ خيرٌ، لكن هذا لمعرفة الحكم؛ لأن الشاكر شَكَر عن اختيارٍ وقدرةٍ على الخير وعلى الشر، فترك

الشر وأخذ الخير، فهو عنده اختيار، أما الصابر فيكون أحيانًا غير قادرٍ، ولو قَدَر لعصى وما صبر، والله تعالى طبيب خلقه، يُغني من يَصلُح له الغنى من خاصة عباده، ويُفقر من لا يصلح له إلا الفقر من عباده، ومن العصمة ألا تقدر.

وجاء في أثرٍ إلهيٍّ أن الله تعالى يقول: «**أنا طبيب عبادي ، طبيب خلقي، فمن عبادي من لا يصلح له إلا الغنى، فلو أفقرته لأفسدت عليه دينه، ومن عبادي من لا يصلح له إلا الفقر، فلو أغنيته لأفسدت عليه دينه، ومن عبادي من لا يصلح له إلا الصحة، فلو أسقمته لأفسدت عليه دينه، ومن عبادي من لا يصلح له إلا السقم، فلو أصححته لأفسدت عليه دينه**»، وهذا معناه موافقٌ للنصوص الشرعية، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حكيمٌ عليمٌ، يضع الأمور بمواضعها اللائقة بها، والله أبصر بعباده؛ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾ [فاطر:٤٥]. **نعم**.

٦٤٢٦ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

الشيخ: لا تنس: رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلاتَهُ عَلَى المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ...».

الشرح:

«**إِنِّي فَرَطُكُمْ...**» يعني: سابقكم.

فالفرط: هو السابق الذي يسبق الناس يتحرى لهم الطريق، ويتحرى لهم المكان المناسب للنزول عند السفر، أو البادية في البر، يَروض لهم الأرض إذا اختار لهم الموقع المناسب.

والنبي ﷺ قال: «**أنا فرطكم**» يعني سابقكم إلى الحوض يوم القيامة، وفي هذا إشارة إلى أنه يموت قبلهم عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ قبل جُملتهم، وقد كان ذلك. **نعم**.

فَقَالَ: «**إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ...**».

فإني شهيد عليكم ما دام فيهم، أما إذا مضى ﷺ إلى ربه، فالله شهيدٌ عليهم في حياته ﷺ وبعد وفاته، لكن يوم القيامة يَرِدُون عليه الحوض: المؤمنون حقًّا والمنافقون، فيُذاد المنافقون والمُرتدون، يقول: «**يا رب أصيحابي! إنهم من أمتي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، لم يزالوا مرتدين، فيقول** عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: **سحقًا سحقًا**»، أي بُعدًا بعدًا، فهو شهيد عليهم في حياته. **نعم**.

«**إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ...**».

إلى حوضي الآن يعني مُثِّل له الحوض، أو كُشف الحجاب بينه وبينه.

مثل ما رأى ﷺ وهو يصلي الكسوف، رأى الجنة والنار أمامه، حتى كاد يتناول قُطفا من الجنة، عنقود عنبٍ، فأُبعد عنه، وحتى خَشِيَ من النار أن تُصيب وجهه، الله ﷻ على كل شيءٍ قدير.

وكذلك عُرضت عليه ﷺ وهو في صلاة الفجر أيضًا مرةً، والله ﷻ على كل شيء قدير.

فإذًا الحوض يكون يوم القيامة يوم تُبدل الأرض غير الأرض، يكون يوم القيامة، ولكنه موجودٌ، فإنه يشخب فيه ميزابان من الكوثر، من نهر الكوثر، الذي هو مِنَ الخير الذي أُعْطِيه ﷺ، فيكون هذا كُشِف له فرَآه، وأُزيل الحجاب بينه وبينه، والله ﷻ على كل شيء قدير. **نعم**.

فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ - أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ - وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

لأن النبي ﷺ زويت له الأرض، فرأى مشارقها ومغاربها، وأُخْبِر ﷺ أن مُلْكَ أُمَّته سيبلغ ما أُرِيَ، معنى ذلك: أن زكوات هذه الجهات، وفيء هذه الجهات، وغنائم هذه الجهات ستأتي، وقد جاءت في زمن عمر وعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومَنْ بعدهم. **نعم**.

٦٤٢٧ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ**» قِيلَ: وَمَا بَرَكَاتُ الأَرْضِ؟ قَالَ: «**زَهْرَةُ الدُّنْيَا**».

الشرح:

زهرة الدنيا التي هي زينة الدنيا؛ لأنها كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران:١٤].

والمراد: ما يأتيكم من زينة الدنيا مما تُخرج الأرض، والأرض فيها معادن، وفيها نبات، وفيها أشياء مدفونة، وفيها أشياء عظيمة وثمرات. **نعم**.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: هَلْ يَأْتِي الخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَصَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ، فَقَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ؟**» قَالَ: أَنَا - قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَقَدْ حَمِدْنَاهُ حِينَ طَلَعَ ذَلِكَ- قَالَ: «**لَا يَأْتِي الخَيْرُ إِلَّا بِالخَيْرِ**».

يعني أن الخير المراد به المال، والمال هو عَصَبُ الدنيا، والله تعالى جعله من أجل أن يُستعان به على طاعة الله، ويُتقرب به إليه، والمال الذي يأتيه:

إما نقدٌ مضروبٌ من الذهب والفضة، وكلاهما يخرج من الأرض.

وإما أعيان؛ السلع التي تُشترى بالمال.

فكل هذا من متاع الدنيا، كُلُّه مما يُستخرج من الأرض، فلذلك خشي النبي ﷺ على الصحابة اتساع الدنيا، وانبساط الدنيا، ولذلك بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَلِقُوا لما وَسَّع الله عليهم في الدنيا، وخافوا أن يكون ذلك على حساب الأجور، فقالوا: إن منا أُناسًا يعني ماتوا

قبل أن تُبسط الدنيا، مثل مصعب بن عميرٍ وغيره من الصحابة الذين لم يُوجد لهم كفنٌ يكفيهم، ومنا من مَدَّ الله في حياته حتى أينعت له شجرته، يعني عَمَله وعبادته، فصار يَهْدِبها - يقطفها أو يجنيها-؛ فيخشون أنه يكون هذا على حساب الأجور التي لهم عند الله ﷻ؛ فخافوا.

وأنت إذا قارنت بين حالين من أحوال الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ عرفت، فأنت في باب الطهارة، في أبواب الغسل، في باب غسل الجمعة، تقول عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: **كان الناس مَهَنَةُ أنفسهم**، يعني يشتغلون بأنفسهم، ما عندهم خدمٌ، ما عندهم غلمان وجواري، ولا عندهم مالٌ يستأجرون الناس يخدمونهم، كان الناس مهنة أنفسهم، وكان لباسهم الصوف، وكانت المدينة شديدة الحر؛ لأن المدينة مناخها قاريٌّ؛ كما هو معروف في الجغرافيا: مناخها قاريٌّ: شديدةٌ البرودة شتاءً، وشديدة الحرارة صيفًا؛ فاجتمعت هذه الأحوال أنهم يعملون بأنفسهم فيعرقون، وزيادة على ذلك: أن لباسهم الصوف، ما عندهم القطن والملابس الرقيقة، وكانت المدينة شديدة الحر، فعَرِقوا وظهر رِيُح العرق مع ريح العرق مع ريح الصوف؛ فريح الأجسام وريح الثياب بسبب شدة الحر، فلما دخل النبي ﷺ أو خرج النبي للجمعة وَجَدَ هذه الرائحة، فأمرهم بالغسل للجمعة، قال: «**غُسْلُ الجمعة واجبٌ على كل محتلمٍ**» يعني كل بالغٍ، والحديث الآخر: «**كل سبعة أيام**» أنه يغتسل، فلما وَسَّع الله عليهم وتغيرت الأمور وتحسنت أحوالهم، قال: «**من توضأ يوم الجمعة، فبها ونعمة**»، السنة ونعمة السنة، «**ومن اغتسل فالغسل أفضل**»، هذه تُبَيِّن لك الحالين، الحالة الأولى والحالة الثانية.

ثم ما بعد ذلك بعد وفاة النبي ﷺ: صار بعضهم يملك جملةً من الغلمان والجواري، والضياع العقارات، والأنعام، والأموال، فوَسَّع الله عليهم سعةً كبيرةً جدًّا. **نعم**.

قَالَ: «**لَا يَأْتِي الخَيْرُ إِلَّا بِالخَيْرِ**».

والمال يسمى خيرٌ؛ لأنه مظنة أن يُستعمل في طاعة الله، وأن الحكمة من إنزال المال وإعطاء الله للناس المال أن يُستعمل في طاعته، ويستعان به على الطاعة، ولذا قال الله -جَلَّ وعلا-: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[البقرة:١٨٠]، أيش معنى الخير هنا؟ المال في الوصية.

فهذا المال خير، الأصل أنه خير؛ لكن الشر يأتي من سوء استعماله، مخالفة الشرع، باستعماله زائدًا عن قدر الحاجة، فهذا يُسمى سَرَف، أو باستعماله في المحرم وفي المعاصي، وهذا يسمى تبذيرٌ، ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٧]، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:٦٧] ، فهذا وجه أن المال يصير شرًّا على صاحبه:

إما من جهة البخل والشح عن الواجب.

أو من جهة الإنفاق زائدًا عن قدر الحاجة تباهيًا وتفاخرًا.

أو من جهة الاستخفاف بالنعمة.

أو من جهة أن تُنْفَقَ في معاصي الله -جَلَّ وعلا-.

هذا الشر يكون في الاستعمال، وإلا الأصل أن المال خير، فالمال مادةٌ طاهرةٌ غير محرمةٍ ولا نجسةٍ، لكن الاستعمال هو الذي يُغير هذا الشيء، ولذا سمى الله – جل وعلا- المال رزقًا، فالله ﷻ يرزق البَرَّ والفاجر، كل أحدٍ كُتُب رزقه وهو في بطن أمه، ولما أراد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يَحْصُر الرزق في المؤمنين، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ [لقمان:١٢]، يعني خلقته فأعطيه رزقه الذي كُتب له.

فالرزق كله قسمة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨]، فاسمه الرزاق، وصفته الرَّزْق، وفِعْلُه أنه يرزق، والرزق هو المَقْسُوم.

قال رسول الله ﷺ: «**إنما أنا قاسمٌ، والله يُعطي**»، فالرزق عند أهل العلم اسمٌ لما يُنتفع به، حلالًا كان أو حرامًا، وإنما يعود الحِلُّ والحُرمة إلى كيفية اكتسابه والتصرف به، وبذله أو حبسه.

فمثلًا: الرغيف من الخبز أحدٌ يأخُذُه حلالًا ويأكله، وأحدٌ يأخذه يغمسه في المجاري ويأكله؛ لأنه أَخَذَهُ من غير وجهٍ له، وصَرَفه في غير ما ينبغي أن يُصرف فيه، أو بَخِل به عن الواجب، فيكون حرامًا يضره. **نعم**.

«**لَا يَأْتِي الخَيْرُ إِلَّا بِالخَيْرِ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ**».

يعني عن المال نضرٌ، له رونقٌ يُعْجِب.

مثل الغيث الذي أخرج الله به زرعًا: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٣ - ٥٤].

فالربيع الذي يَنْبُت من الغيث هذا هو مثل الدنيا، له رونقٌ، وله جمالٌ، ومنظرٌ تهواه النفوس وتعشقه، وتهيم في طلبه العقلاء وغير العقلاء، حتى البهائم، والنبي ﷺ رعى الغنم، قال: «**ما من نبيٍّ إلا رعى الغنم**»، مثل ما ذَكَرَ الله تعالى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صار أجيرًا عند الرجل الصالح يرعى له غنمه عشر سنين، فكان النبي ﷺ يرعى الغنم على قراريط لأهل مكة، مع أنه ابن أشرف بيتٍ في مكة، وأشرف بيتٍ في العرب، وأشرف بيتٍ في بني آدم، فرعى الغنم.

ولهذا لأنه رعى الغنم، كان ﷺ يصف الربيع والبادية والبهائم والرَّاعي وَصْفَ الخبير؛ ولذلك في أحاديث الشفاعة ذَكَرَ النبي ﷺ أن أقوامًا -يعني من أهل الكبائر؛ كبائر الذنوب الذين أسرفوا على أنفسهم- أنهم إذا دخلوا النار، تُحرقهم النار، فيُميتهم الله تعالى إماتةً مُؤقتةً عابرةً، وكل ابن آدم تأكله النار إلا مواضع السجود، واضح، ولعل هؤلاء ما سَجَدُوا،

إما لأن ما عندهم وقتٌ حتى يسجدون؛ ماتوا قيل أن يحين وقت السجود، أو لأنهم ما سجدوا والأمر إلى الله ﷻ؛ فالمقصود أن الله عَلِمَ في قلوبهم شيئًا من الخير، شيئًا يسيرًا؛ مثاقيل الذر من الخير؛ فأماتهم الله ﷻ إماتةً، ثم شَفَّع فيهم الشفعاء، فأُخرجوا من النار وقد امتحشوا؛ أحرقتهم النار، أُخْرجوا ضبائر كأكوام الورق المحترق، فطُرحوا على نهرٍ في الجنة يقال له: نهر الحياة أو الحياء، وقيل لأهل الجنة: أفيضوا عليهم من الماء، قال: فينبتون على ضفاف النهر هذا، والشيء المحترق من أجسامهم يَنْبُتُون نباتًا ضعيفًا كما تنبت الحِبَّةُ في حميل السيل، أنا أشرح لكم الحين؛ إني راعي غنم، واضح؛ لأني رعيت الغنم، فلذلك هذا وصف النبي وهذه سنة النبي ﷺ، فالنبي ﷺ يَصِفْ لهم هذا لخبرته: كما تنبت الحِبَّة في حميل السيل، فالحِبَّة: بِذْرُ النبات، حب النبات البري، ينبت في الغُثاء الرطب، الذي يكون على شاطئ من الشِّعيب أو الوادي مثل الزَّبد والأوراق وغير ذلك، فينبُتون كذا، تنبت الحبة يعني: ما هم في الأرض، ما وُضُعوا في بطن الأرض ووضع عليهم التراب؛ لأ، في هذا الغثاء، فيجعل الله له عِرْقًا مثل هذا النبات ذا، فيتأثر بماء الحياة، فينمو مثلما ينمو النبات، مثل الحبة في حميل السيل، فالحبة تُخرج العرق في حميل السيل، ثم يُصيب الأرض الرطبة فينبت في الأرض، فأولًا هو أصفر؛ لأنه ما جاءته مادة من الأرض، ضعيفٌ جدًّا لكن الرطوبة نفعته فيكون أصفر، ثم إذا جاءته الأرض اخْضَرَّ، ويبقى اللي في الظل أصفر واللي تأتيه الشمس يزداد خضرةً، فما يلي الشمس يكون أخضر، وما يكون في الظل يكون أصفر، أقل خضرة من الآخر، فشَبَّه النبي ﷺ نباتهم على هذا النهر بنبات حِبَّة السيل، بذر البر في حميل السير، هذا مثلٌ من خبرته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ومثل آخر: مَثَّل كلاليب على الصراط -أعاذنا الله وإياكم من النار-، قال: **علي الصراط كلاليب كشوك السعدان**، والسعدان: نوعٌ من الشجر اللي فيه شوك، يسمونه عندنا بنجد

القِطْب أو الشِّرْشِير، تكون مُفلطحة هذه وبها شوكٌ حادٌّ، يعني يجرح الرجل أكيد، وحارٌّ الجرح، فشَبَّه النبي ﷺ به الكلاليب التي بالصراط.

فالنبي يُخاطب ناسًا الآن من العرب، والعرب في البادية وأهل القرى يعرفون ما تعرف البادية وغيرها، هذا مثل.

هنا مثلٌ آخر، نفس الشيء: مما ينبت الربيع. طيب إيش ينبت الربيع؟ اقرأ.

« وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ».

يقتل حبطًا أو يُلْمُّ، يعني يضر لكن دون القتل الموت.

هذا الربيع إذا جاء المطر أَوَّل الشتاء -وخاصة إذا كان دفأً- أصاب الأرض بعد ثلاثة أيام أو خمس تشوف الأرض مخضرةً، فيها نبات، من هذا النبات ما يكون في مُرْح الغنم من السنة الماضية، وما يكون في الروضة الطيبة التي فيها طعم فيها غريف، فهذا ينمو بسرعة، فبعد أسبوعين مثلًا، تأكله البهائم، فيكون غض طري جدًّا، فالبهائم إذا دخلت الروضة أو مرت بهذا؛ لأن المُرح مرح الغنم يكون فيه بذر من الحب ومن الشعير وغيره مما تعطى إياه البهائم، يتساقط يندفن في الأرض، فإذا جاء المطر نَبَت، ويصير بسماد البهائم على طول يَشِبُّ بسرعة، هذا الأخضر له رونقٌ منظرٌ في وسط الأرض البيضاء، يكون غض وفيه ماءٌ لذيذٌ، فالبهائم تُفتن به وتأكله بجنون بهيام يعني، هذا لغضاضته وطراوته يكون فيه مادةٌ غازيةٌ، فإذا صار كذا وأسرفت البهيمة في الأكل، انتفخت بطنها، حتى تصير أشد انتفاخًا من الكُرة، وحتى تنفرج يداها ورجلاها عن البطن، وحتى ينفجر البطن نفسه؛ ولذا الراعي الحكيم الذي يُحسن الصنعة، إذا أخذت من هذه يسيرًا أخرجها من الروضة، أخرجها من المكان الذي فيه هذا الشيء الطري، فجعلها تتنفس تستقبل الشمس، وتبول وثلطت، فتتنسم، ثم يعيدها مرةً ثانية، وإذا صار ما يعرف يرعى، غَفَلَ عنها فماتت.

يعني حتى الإبل نفس الشيء، عندها مشكلة هذه؛ يسميها أهل البادية: مرموثة، نوعٌ من شجر البر يُسمى الرمث، فهذا الرمث أول ما يُصيبه المطر يطلع له ورقٌ، ويكون ورقه غضًّا طريًا ويكون فيه ملوحةٌ، فتُحبه الإبل، فإذا أكلت منه بسرف وغفلت عنه الراعي، أصيبت بنفس الداء الحبط، هذا الحبط هو الانتفاخ، الذي يقتل البهيمة إن تُركت؛ لأنها ما تُحسن التصرف فيه، فالراعي الحكيم لا يدعها تُهلك نفسها، يأخذها عن المرعى، ويطلع من المكان الذي لا مرعى فيه، حزم؛ ثم يُعيدها مرةً أخرى.

أنت مع نفسك في الدنيا: لابد أن تكون كالراعي هذا، تكون حكيمًا في التصرف في الدنيا، وأن تُعطي نفسك المجال المسموح به شرعًا، وتَمتنع من المجال الذي ليس مسموح به شرعًا، حتى أنك تنتفع من مالك ويكون رفعةً في درجاتك، تُحسن به إلى خلق الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فتلقى الله من المحسنين، وتستعمله في طاعة الله وما يرضيه، فتنجح؛ وإلا يُهلكك المال؛ لأنك تكون كالبهيمة التي تأكل ولا تشبع، ولا تُحس بضرر الأكل، وتكون كشارب البحر الذي كلما شَرِب ازداد عطشًا لملوحته.

فهذا من وصفه ﷺ لحال البادية والرعي، وهذا من تقريبه المعاني الشرعية بالأمور الواقعية المحسوسة المعروفة عند المخاطبين، هذا من البيان؛ لأن المثال تتضح به الصورة، ويتضح به المراد، ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]، فالنبي ﷺ ضَرَبَ أمثلةً لهذه المعاني الغيبية بأشياء حسية يعرفها المخاطبون ويفهمون المراد منها، واضح. **نعم**.

«وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الخَضِرَةِ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ، فَاجْتَرَّتْ وَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ..».

وهي لا تفعل هذا من نفسها، بل الراعي هو الذي يفعل ذلك، الراعي الحكيم.

ولذلك النبي ﷺ قال: «**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته**».

ضرب مثلًا بالراعي والرعية، فقال: «**شر الرعاء الحُطمة**»، الذي يشتد على الرعية ويقسو، يتجبر ويظلم، «**شر الرعاء الحطمة**».

وأخبر ﷺ أن: «**السكينة في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الخيل والإبل**»، أن أهل الغنم يكون فيهم رفقٌ وحكمةٌ.

فضرب أمثلةً من الواقع المحسوس الذي يعرفونه ليعرفوا المراد الشرعي.

وهكذا، فالأئمة أئمة المساجد رعاةٌ مسؤولون عن رعيتهم، القضاة والمفتون رعاة، كل أهل المسؤوليات رعاةٌ، وشر الرعاة الحطمة، الذي يظلم الرعية، فلا تكن من الحطمة، من شر الرعاة، كن راعيًا حكيمًا مُصلحًا، هذا الذي ينبغي، تحرى الرِّعْية المفيدة للرعية، الرِّعْيَة لهم سياسةٌ، والرُّعاة الذين يرعون الغنم لهم سياسةٌ، الراعي الحكيم له سياسةٌ في الرعية، حتى إنه ليرعى في الأرض المُجدبة، وتَشْبع الغنم كيف؟! لأنه يأتي لشجر العام الماضي ويرفع الأغصان حتى تأكل الورق الذي تحته، ويضرب أغصان الشجرة حتى تتحات، للشجر التي لا تَطُوله الغنم والبهائم، فيضرب الغصن العالي حتى يتساقط ورقه فتشبع، فيرعى في الصيف وتشبع رعيته ويصير فيها لبنٌ وسمنٌ؛ لأنه حكيم، والراعي الآخر يَطُوف بها الأرض يُرجعها وهي أشد جوعًا مما أخرجها وأشد هلاكًا، وربما منعها الماء، وربما ضربها فأوجعها وكسرها، هذا الحطمة. **نعم**.

«**وَإِنَّ هَذَا المَالَ حُلْوَةٌ، مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَنِعْمَ المَعُونَةُ هُوَ...**».

نِعْمَ المال الصالح للرجل الصالح.

فالله تعالى أنزل المال من أجل أن يُستعمل في طاعة الله، ولا يتخذ سُلمًا لمعصية الله -جَلَّ وعلا-، ولا يُنشغل به عما خُلق له المرء، المرء خلق لعبادة الله. **نعم**.

«وَإِنَّ هَذَا المَالَ حُلْوَةٌ، مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَنِعْمَ المَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ».

كان كالذي يأكل ولا يشبع ما ينتفع به، عنده مال لكن ما انتفع به، ما أحسن استعماله، أَشْغَله وشَغَلَه وضَرَّه والعياذ بالله. **نعم**.

٦٤٢٨ – حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَمْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي زَهْدَمُ بْنُ مُضَرِّبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ – قَالَ عِمْرَانُ: فَمَا أَدْرِي: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ قَوْلِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا...».

الشرح:

والراجح من حيث الدليل: **ثلاثة قرون**.

في الحديث في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**تغزون فيقال هل فيكم من رأى النبي ﷺ فتقول نعم، فتنصرون، ثم تغزون فيقال هل فيكم من رأى من رأى النبي ﷺ فتقول نعم، فتنصرون، ثم تغزون فيقال هل فيكم من رأى من رأى من رأى النبي ﷺ فتقول نعم، فتنصرون**».

والقرن مُتَوَسِّطه: من الستين إلى السبعين.

فيكون إذا أخذنا خمس وستون، قرنين مائة وثلاثون، وقرن خمس وستون مع الثلاثين يكون مائة وخمس وتسعون، فيكون هذا زمن القرون المُفَضَّلة، زمن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وأئمة الهُدى؛ لأن أئمة الهدى وُلِدوا في القرن الأخير. **نعم**..

قال: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ** – قَالَ عِمْرَانُ: فَمَا أَدْرِي: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ قَوْلِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا – **ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ...**».

لتعلقهم بالدنيا، وطمعهم فيها، وعدم اهتمامهم بالحل والحرمة. **نعم**.

«**ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**».

نتيجة الإخلاد للدنيا، والوَلَع بها، والترف، أما السِّمَن فقد يكون خِلْقَةً في بعض الناس، مثل ما ذُكِر عن بعض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فعَددٌ من الصحابة كان فيهم سمنٌ؛ لكن هذا خلقيٌّ ما فيه حيلةٌ. **نعم**.

٦٤٢٩ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ، وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ**».

الشرح:

يعني يفعلون ذلك يَبْذُلونه ولم يُطلب منهم، لولعهم بالدنيا، وطمعهم فيها، وأنهم لا يبالون ما اجترحوا. **نعم**.

٦٤٣٠ - حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ خَبَّابًا، وَقَدِ اكْتَوَى يَوْمَئِذٍ سَبْعًا فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: لَوْلاَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِالْمَوْتِ، إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَضَوْا...

الشرح:

يعني يقول: إن الأمور تغيرت؛ خبابٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: الأمور تغيرت؛ ونخشى على أنفسنا الفتنة، والموت خيرٌ للإنسان المؤمن من الفتنة؛ لأن الفتنة في الدين مصيبة، قد يفقد المرء دينه، قد يتحمل من الآثام والذنوب ما لا قِبل له به، لذلك يقول: لولا أنه ما يجوز أن ندعو على أنفسنا بالموت لدعونا؛ خشية الفتنة في الدين؛ لتغير الأحوال وتغير الأمور، وكثرة الشرور، لكن يقول ما يجوز.

فإذا كان لا يجوز للإنسان أن يدعو بالموت، فلا يجوز أن يقتل نفسه، فيما يسمونه بالانتحار، والوعيد على قتل النفس وقتل المرء نفسه وعيد شديدٌ خطيرٌ جدًّا، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول لمن قتل نفسه: «**عجل عبدي بنفسه إليَّ فله النار**»، قال عنه ﷺ: «**من قتل نفسه بشيءٍ عُذِّب به يوم القيامة**»، وذَكَر نماذج ممن قتلوا أنفسهم: من تردى من جبل، ومن أكل سما، من وجع بطنه بحديدة قال: «**فهو في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**».

والحين يَعُدُّون قتل النفس شهادةً، ويهلكون أنفسهم -والعياذ بالله- ويُغامرون بأعمالهم، ويَرُوحون على غير رُشدٍ وعلى غير هُدى إلى جهنم، فهذا خطيرٌ جدًا؛ فالدعاء نفسه منع منه النبي ﷺ، «**لا يتمنين أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به، فإن كان لا بد فاعلًا، فليقل: اللهم أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيرًا لي**»، هذا المريض الذي آلمه المرض وطال عليه، لا يستيئس، ما يدري ما في الغيب، ربما يُعافيه الله في لحظةٍ، مثل أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أُصيب بضُرٍّ حتى تَفرَّق الناس من حوله، ويقال له: أُدع ربك بالعافية، فيقول:

ما بلغت من المرض ما بلغت من العافية، كيف، أستحي من ربي، إن الله ﷻ أصحني وأغناني، وفضلني على الناس، وكان شابًّا وكهلًا في بني إسرائيل، وكان غنيًّا، وكان جوادًا كريمًا، وكان ذا خُلُقٍ، ذا بسطةً في الوجه وفي اليد، سمح الوجه، كريم الوجه، وسخي اليد، وكان محبوبًا عند الناس كلهم، فابتلاه الله بذلك ليُظِهر صبره، فيقال له: ألا تدعو الله، فيقول: ما بلغت من المدة في المرض مثل ما بلغت من الغنى، مدة في الغنى والسعة، حتى سمع أناسًا يتحدثون ويقول: لو كان له منزلةً عند الله، لعافاه الله، فعندئذ دعا الله ﷻ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٣]، فأخرج الله شده، أخرج له عينًا، وأمره أن يغتسل منها، فأزال الله ما به من الضر، ورد إليه أهله ومثلهم معهم -رحمةً منه- وماله، فلا يتمنين أحدكم الموت لضرٍّ نزل به، اصبر واحتسب ولا يدري ما في الغيب.

الحال الأخرى: ما بك ضرٌّ، لكن تخاف الفتنة، تتغير الأمور وتخاف الفتنة؛ لأن النبي ﷺ ذكر أيامًا يَكْثُر فيها الهرج: القتل على غير وجه، لا يَدري القاتل فيما قَتَلَ والمقتول فيما قُتِلَ، ويكثر القتل ويصير شيئًا عاديًّا عند الناس؛ يستخفون بالقتل، فذكر النبي ﷺ أن هذه الفتنة تعظم، حتى أن الإنسان الحي يمر بقبر الميت، ويقول: يا ليتني كنت مكانه، خوفًا على دينه، أو خوفًا على عرضه، نعوذ بالله من الفتن؛ من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ولذلك جاء في الدعاء المأثور أنه تقول: «**رب بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**»، ما فيك ضرٌّ لكن تخاف الفتنة، ترى الأمور تتجدد.

وإذا مـا رأيـت الشـر يبعـث أهلـه وقـام جُنَـاة الشـر للشـر فاقعـد

فإذا خشي الإنسان الفتنة العظيمة، فهو يدعو الله كذلك، بحيث يترك الخيرة لله -جَلَّ وعلا- في أمر الحياة والممات، نسأل الله العافية. **نعم**.

لَوْلاَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِالْمَوْتِ، إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَضَوْا، وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ، وَإِنَّا أَصَبْنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا لاَ نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ.

موضعا إلا التراب، هذا البناء يعني، أتوه وهو يبني على جدار.

والبناء ذاك اليوم ما هو مثل اليوم، البناء ذاك اليوم بلاش مجانًا، الواحد يخَلِّط الأرض ويبني، لكن الآن ما تستطيع هذا: تشتري أسمنت، تشتري كذا وكذا.

فيقول أن هذا البناء إنا جعلنا به الدنيا، مع أنه ما يُمدح الإنسان في السرف في البناء.

والمراد من البناء الكِنُّ، أن يكون كِنًّا يسترك، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ [النحل:٨١]، هذا المراد.

ولما بنى النبي ﷺ مسجده، بناه سور حجارة، داير ما دار حجر، والعُمُد جذوع النخل، والسقف من السَّعف عسف النخل، قال: «**عريش، كعريش أخي موسى** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

فالمراد من هذا البناء الذي يستر، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات:٢٥]، يمتن الله ﷻ على العباد بأن جعل لهم الأرض كفاتًا، أن يستترون بها، ففي الحياة في الأبنية، من أية مادةٍ كانت، وبعد الممات في القبور، نعمةٌ أن تُستر عورة المسلم وسَوْأته، ما يجعلك كالبهيمة على فضاء الأرض: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات: ٢٥ - ٢٦]، فيكون البناء في حدود المعقول، بما يناسب الوقت وأهل الزمن، من غير سرف وتكلف ومبالغة، ولا يجعل الإنسان عنده في البناء من الحُجَر ورفعة البناء إلا قدر الحاجة؛ بس للحاجة، ما يعتني بهذا ويتكلف؛ للحاجة. **نعم**.

٦٤٣١ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسٌ، قَالَ: أَتَيْتُ خَبَّابًا، وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ مَضَوْا لَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا شَيْئًا، وَإِنَّا أَصَبْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ شَيْئًا، لاَ نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ.

الشرح:

يعني أن الحديث الأول فيه اختصار، أنهم عادوا خبابًا زاروه مرتين:

المرة الأولى: عيادة مريضٍ؛ زاروه عيادة مريضٍ؛ لأنه اكتوى سبعة كيات في بطنه، يعني على الصدر وعلى الجنب؛ لأنه ربما أصيب ببردٍ شديدٍ أو غيره أو التهاب في الرئتين، فلصقت على الجنب فيُكوى الكي يكون كهذا، هذا علاجٌ معروفٌ عند الناس قديمًا.

وزاروه مرةً أخرى: وجدوه صحيحًا يبني فوق الجدار، فلما جاؤوا إليه نزل فجلس وحدثهم بأحاديث منها هذا. **نعم**.

٦٤٣٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ خَبَّابٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. قَصَّهُ.

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥].

الشرح:

هذه موعظةٌ بليغةٌ من كلام رب العالمين: استعدوا للقاء الله، ولا تلهوا بالدنيا، لا يغرنكم زخرفها، وانشغال أهلها بالتكاثر والمفاخرة والمباهاة، بل اعملوا لما خُلقتم له، استعدوا لما أنتم قادمون عليه، واعلموا أنكم مسؤولون عن ذلك، فأعدوا للسؤال جوابًا؛ وليكن الجواب صوابًا، وفقنا الله وإياكم لذلك. **نعم**.

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦]

لا تغرنكم الدنيا، ولا تغرنكم بمظاهرها، وزينتها، وزخرفها، ورونقها، وما عليه أهلها من المباهاة والمظاهرة، ولا يغرنكم الأمل العريض، الذي يُزينه الشيطان لكم ليُشغلكم به عما خلقتم له. **نعم**.

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦]

يُغَرِّرُهم، يَعِدُهم ويُمنيهم، ليكونوا معهم في السعير. **نعم**.

جَمْعُهُ: سُعُرٌ .

قَالَ مُجَاهِدٌ: الغَرُورُ: الشَّيْطَانُ.

٦٤٣٣ - حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ القُرَشِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُعَاذُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ حُمْرَانَ بْنَ أَبَانَ، أَخْبَرَهُ قَالَ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِطَهُورٍ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى المَقَاعِدِ، فَتَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ....

الشرح:

يعني توضأ وضوء النبي ﷺ؛ مجتهدًا أن يُرِيَ الناس وضوء النبي ﷺ، كيفية الوضوء تعليمًا لهم، وهذه من مسؤولية العالم، وولي الأمر، والمُدَرِّس، وغير ذلك، والأب في بيته، أن يُعلم من حوله كيفية الوضوء، كمال الوضوء، وما دون ذلك، وما دون ذلك، والمُجْزِئ.

نعم.

ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ تَوَضَّأَ وَهُوَ فِي هَذَا المَجْلِسِ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الوُضُوءِ، ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَغْتَرُّوا**».

يعني إذا أحسن الوضوء وصلى، فيحرص الإنسان أنه متى ما توضأ صلى، فإن صادف فريضة فذاك، وإن لم يصادف فنافلة، تسمى ركعتا الوضوء، رجاء المغفرة، يُغفر له ما بينه وبين الصلاة التي قبلها، هي التي تليها؛ لأن قبلها مضت وهذه بعدها. **نعم.**

وهذا يُقَيَّد: «**غفر له ما تقدم من ذنبه**» يعني ما بين الصلاتين، ويُقَيِّد بأنه «**ما اجتنبت الكبائر**»، فالكبائر تحتاج إلى توبة. **نعم.**

قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَغْتَرُّوا**».

لا تغتروا، لا تتكلوا يعني، اجتهدوا، وسددوا، وقاربوا، واجتهدوا، واغتنموا الفرص، فإن العمل يَشْرُف بشَرَف الزمان، وبشرف المكان، وباتباع السنة، وبالثبات عليه، فاغتنموا الفرص، لا تغتروا، لا تتكلوا على مثل هذا الحديث. **نعم.**

بركة.

سبحانك اللهم وبحمدك،...

الدرس الثالث

الشيخ لم يطلع عليه بعد

الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لشيخنا ولنا وللحاضرين.

قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري – رحمه الله تعالى – في صحيحه: **كتاب الرقاق**:

بَابٌ ذَهَابُ الصَّالِحِينَ

٦٤٣٤ – حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ بَيَانٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ، أَوِ التَّمْرِ، لاَ يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بَالَةً**».

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: يُقَالُ حُفَالَةٌ وَحُثَالَةٌ.

بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ الْمَالِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن:١٥].

٦٤٣٥ – حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**».

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فقد نبه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الترجمة وهذا الباب، قوله: **باب ذهاب الصالحين**، يعني وما يترتب عليه.

فالصالحون هم أولياء الله -جل وعلا- الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤]، جعلني الله وإياكم من أئمتهم.

فهم المؤمنون المتقون:

المؤمنون الذين أدوا الواجبات.

والمتقون الذين تَرَكُوا المنهيات.

وكمال ذلك بأداء المستحبات مع الواجبات، والاحتياط من المنهيات باتقاء الشبهات، فهؤلاء هم المؤمنون المتقون.

المؤمنون المتقون أمنةٌ لمجتمعهم، ما لم يَظْهَر الخبث، ما لا يظهر المُنكر ولم يُغير.

سئل النبي ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**».

قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه**».

وجاء في الحديث: «**إن الله يحفظ بالرجل الصالح الدُّويرات من حوله**»، يعني: بدعائه، فيجعله الله عَزَّوَجَلَّ شافعًا لجيرانه وأهل بلده ومجتمعه.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ [الكهف:٨٠]، فأهلك الله الغُلام مع أنه وَلَدٌ للأبوين، لكن رحمةً للأبوين لأنه على غير دينهما لو عاش.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ

مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ يعني عن أمر الله ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف:٨٢] ، فحُفِظ مال الغُلامين بصلاح أبيهما.

فالرجل الصالح مباركٌ على نفسه، مباركٌ على ذُريته، ومباركٌ على جيرانه مِن حوله، جعلني الله وإياكم من سادات الصالحين.

فإذا ذهب الصالحون معناه: زال الأمن، وصار الناس في خطر العقوبة.

وسيد الصالحين النبي ﷺ، قال: «**أنا أمنةٌ لأصحابي، فإذا هَلَكْتُ جاء أصحابي ما يُوعدون، وأصحابي أمنةٌ لمن بعدهم، فإذا هلك أصحابي جاء مَنْ بعدهم ما يوعدون**» أو كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

فدل ذلك على بركة الصلاح وبركة الصالحين، وحُسن أثرهم على مجتمعهم، وعلى فضلهم، الذي فضلهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على مجتمعهم، وأنهم محسنون على مجتمعهم.

فإذا ذهب الصالحون صار الناس على خطرٍ، وكَثُر الشر، وظهر الفساد؛ ولذلك يذهب الصالحون، جيلًا بعد جيلٍ؛ لأن كل جيلٍ أفضل ممن بعده، كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه**»، **سمعت ذلك من رسول الله** ﷺ.

وهذا في الجملة؛ وإلا قد يكون بعض الأزمنة أفضل من الذي قبلها، ويكون بعض الأمكنة أفضل من غيرها، بحسب توفر الصلاح والإيمان.

فمتى ما وُجِد الإيمان والتقوى حَلَّت البركات، وازدادت الخيرات، وتحققت المَسَّرات، واندفعت الشرور والمكروهات، ومتى ما نقصت هذه الأمور، نقص من ذلك بحسبه، لكن في الجملة: أنه كلما تأخر الزمان زاد الشر.

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كنا نُحَدَّث أنه كلما تأخر الزمان، خفت العقول، وطاشت الأحلام، حتى يكون الناس في خفة الطير -يعني لا عقول لهم-، وفي أحلام السباع -يعني لا رفق لهم، ولا رحمة فيهم، ولا خير فيهم-.

فدل ذلك على أن من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ وجود الصالحين في الناس، كلما قَلَّ الصالحون كلما زاد الشر.

ومن أفضل الأزمنة بل أفضل زمان بعد رسول الله ﷺ: زمان المسيح عيسى بن مريم - عليهما السلام - إذا نزل في آخر الزمان، وقَتَل الدجال، وكَسَر الصليب، وقَتَل الخنزير، ووَضَعَ الجزية؛ لا يَقْبَلُ إلا الإسلام، فيُهلك الله الأديان في زمانه، ويَظْهر الإسلام، ويُنزل الله عَزَّوَجَلَّ البركات، وتكثر الخيرات، وتندفع الشرور التي هي أسباب العقوبات ونزع البركات.

ثم بعد موته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقل الخير، ثم يقل الخير، ثم يقل الخير، حتى يأتي أوان خروج الدابة: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل:٨٢]، فالدابة تخرج وتَسِمُ الناس بسمةٍ بعلامةٍ، تسم البر بعلامةٍ، وتسم الفاجر بعلامةٍ، حتى يتميز الأبرار من الفجار، وحتى يقول المسلمُ للكافر: يا كافر الأمر كذا وكذا، ويقول الكافر: يا مؤمن الأمر كذا وكذا، فبعد ذلك يُختم على القلوب، فلا يَرتد المؤمن، ولا يُسلم الكافر.

ثم بعد ذلك تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين ﴿ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام:١٥٨]؛ لأنه خُتم على القلوب.

ثم تهب ريحٌ من قِبل الشام طيبةٌ باردةٌ، ومَسُّهَا مس الحرير ناعمة، فتصيب المؤمنين في آباطهم فتقبض أرواحهم جميعًا.

ويتمثل الشيطان للناس ويدعوهم إلى عبادة الأوثان، فيعبدون الأوثان، وعلى أولئك تقوم الساعة، فإن الساعة لا تقوم إلا على أشرار الخلق، «**إن مِنْ شرار الخلق من تُدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد**»، فلا يكون صالحٌ، يُقبض الصالحون مرةً واحدةً، ويبقى الكفار في الأرض، وعليهم تقوم الساعة، وهم شرار الخلق - والعياذ بالله -.

ولذلك النبي ﷺ أخبر أن العلم يُقبض شيئًا فشيئًا حتى لا يبقى عالم، فيتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فإذا سُئلوا أفتوا بغير علمٍ، فضلوا وأضلوا، وجعل النبي ﷺ من علامات الساعة أن يظهر الجهل، ويُنسى العلم؛ يُقبض العلم، والعلم يُقبض منذ تُوفي النبي ﷺ، فقبض العلم بوفاة النبي ﷺ، ويُقبض من بعده شيئًا فشيئًا، يعني من حيث الجملة.

فإذًا ذهاب الصالحين خطرٌ على المجتمعات.

والصالحون هم العلماء العاملون، والمؤمنون المُتَّبِعون لهم، المُقتدون بهم، الذين يعملون بالكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح من الأُمَّة، فكلما قَلَّ هذا الصنف، كلما كَثُر الشَّرُّ، وتحقق الخطر، أو انعقدت أسباب الخطر، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧].

فهذا تنبيهٌ على أن خُلُوَّ المجتمعات والديار من الصالحين، أَذَنَةٌ بالهلاك والشر. **نعم**.

٦٤٣٦ - حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ».

الشرح:

والمعنى: أن من طبيعة الإنسان حُبَّ المال، مما جُبِل عليه الإنسان حب المال، من أي وجهٍ كان، لكنه إذا تَبَصَّر بالشرع وثَبَتَ إيمانه، وعَلِم بالشرع، نَقَصَ هذا الحب، فصار لا يحب المال كله وإنما يحب الحلال الطيب من المال، ويُنفقه في وجوهه المشروعة، ويتحرر من البخل بالمال؛ لأن البخل نتيجة الشح، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٦ - ٨]، الخير: المال ﴿إِنَّ لَشَدِيدٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠]، أي حبًّا كثيرًا شديدًا.

وهذا قول النبي ﷺ: «**لو كان لابن آدم وادٍ من ذهبٍ، لأحب أن يكون له واديان، ولو كان له واديان من ذهب، لأحب أن يكون له ثالث**»، والمعنى: الذي لم يهتد بضوء الشرع، وإلا الذي يهتدي بضوء الشرع يكون قنوعًا، لا يريد إلا الحلال، ولا يبخل به عن موجباته ودواعيه، شرعًا ومباحًا.

وهذا الحديث جُمَلُهُ هذا: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب، لأحب أن يكون له ثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»، كانتا من القرآن الذي يُقرأ، ثم نُسخ لفظهما وبقي حكمهما، أن هذا من طبيعة الإنسان إلا إذا قَوِيَ إيمانه ويَقِينُه؛ عَرَفَ أن

المال عارية، وأنه مسؤولٌ عن دقيقه وجليله، من حيث كَسْبِه ومن حيث إنفاقه، فزَهُد في المال، واكتفى بالحلال عن الحرام.

والزهد زهدان:

زهدٌ واجبٌ: وهو الزهد في المحرم، تَرْكُ الشيء المحرم.

وزهدٌ مستحبٌ: وهو تَرْكُ المباح، وكل ما لا ينفع في الآخرة.

فالذي يكون عنده إيمانٌ على بصيرةٍ من الشرع يَزْهَد في حرام المال، ويَجُود بحلاله، ابتغاء مرضاة الله -جَلَّ وعلا-، قال: «**ولا يملأ فاه**» -في روايةٍ: «**جوفه إلا التراب**»، يعني: إذا وُضِع في القبر، فإنه يدخل التراب في عينه وفمه ومنخره وجوفه، يعني: يتفتت ويبلى، وذاك أوان شِبَعه من التراب، وكل ما فوق التراب تراب.

وهذا الحديث معناه أنك خُذْ حِذرك من جهة المال والدنيا، لا تَغُرَّنك حلاوته، ولا رونقه وبهاؤه، ولا تَنَافُس الناس وتكاثرهم فيه وتفاخرهم، بل خُذْ منه ما حَلَّ لك وطاب، ولا يشغلنك عن آخرتك وما خُلقت له، وأنفقه في وجوهه التي يحبها الله ﷻ وفيما أباحه الله، هذا المعنى. **نعم**.

٦٤٣٧ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَطَاءً، يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ مِثْلَ وَادٍ مَالًا لَأَحَبَّ أَنَّ لَهُ إِلَيْهِ مِثْلَهُ، وَلاَ يَمْلَأُ عَيْنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**».

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : «فَلاَ أَدْرِي مِنَ القُرْآنِ هُوَ أَمْ لاَ»، قَالَ: وَسَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ ذَلِكَ عَلَى المِنْبَرِ.

الشرح:

والمعنى: أن هذا كان من القرآن ثم نُسخ وخَفِي على ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ لأنه هو وابن الزبير وأمثالهما من صغار الصحابة الذين تُوفي النبي ﷺ وهم لم يَبلغوا، مع أن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا حَرِص على العلم حرصًا شديدًا، وسَمِع من النبي ﷺ خيرًا، وجُمْلَةُ علمه مما تلقاه من أكابر الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وأعيانهم، ودعا له النبي ﷺ أن يُفقهه الله في الدين، وأن يعلمه التأويل -أي تفسير القرآن-، واستُجيب للنبي ﷺ، فأصبح ابن عباس حبر الأمة، وترجمان القرآن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. **نعم**.

٦٤٣٨ – حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ الغَسِيلِ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَلَى المِنْبَرِ بِمَكَّةَ فِي خُطْبَتِهِ، يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ أُعْطِيَ وَادِيًا مَلْئًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَانِيًا، وَلَوْ أُعْطِيَ ثَانِيًا أَحَبَّ إِلَيْهِ ثَالِثًا، وَلاَ يَسُدُّ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**».

الشرح:

والمعنى: إذا كنت عَلِمت أن الإنسان جُبل على الحرص ومحبة المال، وأنه لا يُضعف ذلك إلا العلم والإيمان وأَخْذ الهَمِّ للآخرة، فخُذْ حِذرك أنت، لا يحملنك حب المال على أن تأخذه من غير حِلِّه، ولا أن تُنفقه في غير وجهه، ولا أن تَبخل به عن مستحقه. **نعم**.

٦٤٣٩- حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**».

٦٤٤٠ - وَقَالَ لَنَا أَبُو الوَلِيدِ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أُبَيٍّ، قَالَ: كُنَّا نَرَى هَذَا مِنَ القُرْآنِ، حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر:١].

الشرح:

هذه نُسِخت: لو كان لابن آدم واديان من ذهب أحب أن يكون له ثالثا، وأنزل الله عز وجل بدلًا منها سورة التكاثر، كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦]، فأنزل الله عز وجل ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، موعظةً لكل عاقلٍ ذي لبٍّ، ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، يقال للناس: أشغلكم التكاثر؟! والمراد الفجار ومن شابهم من ناقصي الاستقامة من المسلمين، ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، شغلكم التكاثر؟! ما الفائدة؟!، ضركم.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، حتى متم وسكنتم في القبور، والتعبير بالزيارة يدل على أن الإقامة في القبور مؤقتة؛ لأنها مدة البرزخ، فاصلة بين الدنيا والآخرة، حتى تستكمل عِدَّة الخليقة التي كتب الله عز وجل أن يخلقها، ولو لم يَمُت الناس، ما أخذتهم الأرض ولا وسعتهم الأرزاق، ولا جرى عليهم ما جرى من الأمور العظيمة والفتن والشرور، فيُميتهم الله ثم يَستودع أجداثهم في التراب، وينقل أرواحهم إلى منازلها:

فأرواح المؤمنين طيرٌ أخضر في الجنة، يَرِدُوا أنهار الجنة ويأكلوا من ثمارها، ويأووا إلى قناديل معلقة تحت العرش، جعل الله أرواحنا من ذلك.

وأرواح الفجار في سجيل أسفل سافلين.

فالزيارة للمقابر مؤقتةٌ، وهي مدة البرزخ، ثم يبعثون ليوم القيامة، ليجزي الله الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ﴾ [النحل:٣٩] ، ويُنَبَّؤُوا بما كانوا يعملون، وليحاسبوا، يُحاسب المؤمنون عرضًا، ويحاسب الفجار حسابًا عسيرًا.

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، فقول الناس أن فلان شُيِّع إلى مثواه الأخير، غلطٌ هذا، ما هو مثواه الأخير، هذا مثواه الوسط.

أما الأخير فهو يوم القيامة، ومثواه بحسب عمله، فالمؤمنون مثواهم الجنة، والفجار والكفار مأواهم النار، نسأل اله العافية.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ۝١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ جعلنا الله وإياكم منهم ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ الذين كفروا وفجروا ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة ١٨-٢١]، فالعذاب الأدنى مثل قَتْلِهم ببدر، مثل عذابهم مدة البرزخ، ثم يدخلون إلى النار يوم القيامة. **نعم**.

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، فدل على أن الانشغال بتنمية المال وتكثيره والمفاخرة فيه والمباهاة، إن هذا في الجملة على حساب الدين، فيحذره الإنسان، يحذر

الإنسان من ذلك ويشتغل بالمال بما تيسر، ويعتبر فيه، ويأخذ ما حَلَّ ويترك ما حَرُم، ويمتنع من الإنفاق في سَرَفٍ أو تبذيرٍ، ويجود بإنفاقه فيما يحبه الله عَزَّ وَجَلَّ ويرضاه. **نعم**.

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «هَذَا المَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ»

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [آل عمران:١٤].

قَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَهُ لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أُنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ.

الشرح:

يعني: أن المال من زينة الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف:٤٦] ، الطاعات الاعتقادية القلبية واللسانية والجوارحية، الأعمال والأفعال، فِعلًا وترْكًا، والمالية وغير ذلك، هذا هو النافع عند صاحبه؛ ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾، فزَهَّد الله ﷻ في متاع الدنيا، ورَغَّب في زاد الآخرة: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة:١٩٧].

فإذا كان من زينة الدنيا، وأنَّه زُيِّن للنفوس، حُبُّ المال زُين للنفوس، فخذ حذرك، واجعل الشرع حاكمًا عليك، كن مقتديًا به، فما رَغَّبك فيه فارغب، وما زَجَرَك عنه فابتعد عنه وارهب، ولذا قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾، يعني هذا عاريةٌ مستردةٌ ومسؤولٌ عنها، ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد:٧]، ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [النور:٣٣]، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟

يَعۡمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]، فهو متاعٌ؛ اسْتَمْتِعْ به كما شرع وأذن لك به صاحبه وهو الله - جَلَّ وعلا-، ولا يكن شاغلًا لك عما خُلقت له، وأنت قادمٌ عليه ومسؤولٌ عنه، قال: ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران:١٤]، حسن المرجع والمأوى للمؤمنين والمتقين، جناتٌ تجري من تحتها الأنهار، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ولذلك أطبق السلف - رحمة الله عليهم - على الزَّهادة في الدنيا والاشتغال بما يرفع درجاتهم في الآخرة، وعُنوا بذلك عنايةً شديدةً؛ حتى أن الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان له غلامٌ عبدٌ يعمل يشتغل بالمِهن، ويكسب ويُعطيه، يعطي سيده، فيأكل الصديق ثقةً به، وذات يوم قال له: هل تدري ما هذا الذي أَكَلْتَ؟ قال: طعام، قال: لأ، قال: هذا قيمة كِهانة تكهنت بها في الجاهلية، وأنا لا أُحسن، فأعطاني أُجرتي، فهذا هو، فأدخل الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يده في فيه، وقاء كل ما أكله حذرًا من الحرام؛ لأن المال الحرام يُفسد القلوب، ويُعمي البصائر، ويُصُمُّ الأسماع عن الهُدى والحق، ويُثبط الهمة والجوارح عن الطاعة، والحلال بعكس ذلك؛ يُصلح القلوب، ويُنير البصائر، ويحفظ الأسماع، يُعين على حفظ الأسماع، بحيث ما يسمع إلا ما ينتفع به ولا ضرر فيه، ويُقوي الهمة والجوارح في الطاعة.

ولذلك النبي ﷺ حدَّثَ أصحابه بحديث قال: «**إن الحلال بَيِّنٌ، وإن الحرام بَيِّنٌ، وبينهما مشتبهاتٌ، لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرئ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»، فرَبَطَ ﷺ بين الحلال والحرام، وبين صلاح القلوب وفسادها؛ ليدل على بالغ تأثير الحلال والحرام على القلوب. **نعم**.

٦٤٤١ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ، يَقُولُ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا المَالُ» - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ لِي - «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، وَاليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى».

الشرح:

والمعنى: أن هذا المال مُغرٍي، وله جاذبيةٌ لرونقه، وتَعَلُّق القلوب به، إن هذا المال خضرةٌ حلوةٌ، فخُذ حِذرك، لا يَسلب عقلك المال، فتأخذه من غير حلِّه من غير وجه حله، ولا تبخل به عما أوجب الله تعالى الإنفاق فيه، خُذْ حِذرك، ومن ذلك أنك لا تتعلق به، لا تعلق قلبك بالمال، بحيث إنك تستشرف لما في أيدي الناس، اجعل قناعتك وثقتك في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتعاطى ما أمر الله به وما أباحه من أسباب لتحصيل الرزق، وأجمل في الطلب واتق الله، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]، فلا تتشوف إلى ما في أيدي الناس، كونك تطلب الدِّين الذي لك على أحدٍ من حقك، لكن كونك تطلب من أحدٍ أن يُعطيك ماله من غير مقابلٍ؛ لا، ولذا لم تحل المسألة إلا في حالين:

الأول: في الحَمَالَة من دينٍ، أو نتيجة إصلاحٍ بين الناس، أو جائحة تصيب مال الإنسان فتُذهبه، هذا وجهٌ.

الوجه الثاني: أن تسأل ذا سُلطان، ولي الأمر العام الذي يَملِك أو يُشرف على بيت مال المسلمين، وأنت لك حقٌّ في بيت مال المسلمين؛ فتسأل لتسديد الغُرْم الذي عليك، وتُعْطَى من الزكاة، وتسأل السلطان.

وما سوى ذاك لا تسأل.

فلا تستشرف لِمَا في أيدي الناس أبدًا، وإذا استشرفت: إما بالسؤال أو بالتحري وأتاك مالٌ، فإنه لا يُبارك لك فيه، خصوصًا إذا كُنْتَ غير مستحقٍ، فالاستشراف هذا ينزع البركة.

ومن ذلك: الحرص على ما آتاك الله، بحيث أنك تُشْغَفْ به، وتَعُدُّه وتحصيه كل يوم، وما نَقَص منه، وما جاء من زيادة؛ ولعًا بالمال، لأ، فإن النبي ﷺ قال لامرأةٍ من الصحابة: «**لا توكي فيوكي الله عليك**»، أي لا تبخلي وتتشددي حرصًا على المال والمتاع.

وقال بعض السلف من الصحابة أنهم أتاهم شيءٌ من الطعام، فبورك له فيه؛ فكاله حرصًا عليه؛ ففني، نُزِعت البركة منه.

وقال ﷺ لامرأةٍ من الصحابة: «**انْفقي انفحي**»، أعطي من المال، فكون الإنسان يَعُدَّ المال كل يوم يَعد الذي عنده ويُحصيه، هذا دليلٌ على الشح، وهذا مما ينزع بركة المال، كان النبي ﷺ يُعطي ولا يعد، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وسيأتي حديث في هذا المعنى.

فالاستشراف لما في أيدي الناس هذا من أسباب نزع البركة، وربما أنه من أسباب الفقر، أن الإنسان يفتح على نفسه باب فقرٍ، «**لا يفتح عبدٌ باب مسألةٍ إلا فتح باب فقر**».

لكن ما أتاك من المال وأنت غير مُشرفٍ له فخذه، كما قال الرسول ﷺ لحكيم بن حزام، ولغيره من الصحابة، إذا أعطاك السلطان اقْبَل، إذا إنسان أهدى لك هدية فاقبل، وإن كافأت عليها فهو أحسن، أما الاستشراف فلا. **نعم**.

حكيم بن حزامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أغنياء الصحابة، كان غنيًّا في الجاهلية، وازداد غنىً في الإسلام، وسأل النبي ﷺ مما يُفيء الله عليه من الغنيمة والفيء؛ لأنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُعطي كل الناس، فهو من شأن أنه صاحب مال واقتصاد، له رغبةٌ ونهمةٌ في هذا، فسأل النبي ﷺ مرةً فأعطاه، وسأله مرةُ فأعطاه، فسأله الثالثة فأعطاه ووعظه، قال: «**يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة**»، وبَيَّن له أنه من طَلَبه بإشراف نفس لم يُبارك له فيه، ومن أخذه وطلبه بغير إشراف

نفس بُورك له فيه، ومن لم يبارك له فيه يكون كالذي يأكل ولا يشبع، فقال حكيم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: والذي نفسي بيده، لا أرزأ أحدًا بعدك يا رسول الله، أي لا أسأل أحدًا مطلقًا، فكان حتى الخراج يأتيه من طريق الخليفة - بعد رسول الله - أبو بكر ثم عمر- ولا يقبله، يقول: لم؟، قال: لأني عاهدت النبي ﷺ ألَّا أرزأ أحدًا بعده، لا أنقص أحدًا بعده، فيقول عمر: أشهدكم يا معشر من حَضَر، أني أعطي حكيمًا نصيبه وأنه لا يأخذه. **نعم**.

بَابُ مَا قَدَّمَ مِنْ مَالِهِ فَهُوَ لَهُ

٦٤٤٢ - حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، عَنِ الحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ عَبْدُ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ».

الشرح:

هذا من فقه البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ في الترتيب:

ففي الأبواب السابقة: يُنبهنا على خطر الشح في المال من حيث طَلَبِه وتحصيله.

والآن: ينبهنا على خطر الشح في المال من حيث إنفاقه، فيقول: لا تمسك المال في نشاطك وصحتك، ثم تنفقه في آخر لحظاتك عند الموت؛ لأنك إذا أنفقته - ما هو عن طيب نفسٍ كاملة، بعد إياسك من نفسك، وإياسك من المال أنه سيذهب إلى وارثك -؛ فيكون إنفاقك ما هو على الوجه الشرعي، ما أردت الحسبة وما عند الله عَزَّوَجَلَّ إلا لَمَّا عجزت عن تنمية المال، فيقول: مالك ما قدمته، يعني في صحتك وشُحك وغناك، كما قال ﷺ في الحديث الآخر: «**أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر**»، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان، يقول ما قدمته في صحتك وغناك، وحريتك في التصرف في مالك من غير تهمة، هذا هو الذي لك، وما تركته فهو لوارثك، إن أوصيت وجُرْتَ في الوصية تدخل النار، ولا تُنَفَّذ وصيتك إذا كنت مُتهمًا في الصدقة أو الوقف، بحرمان الورثة من نِصيبهم، فما أنفقته في حياتك وأوج قوتك وصحتك وعافيتك وغناك، هذا هو الأفضل، وهو الذي تنتفع به، فمالك ما قَدَّمْتَ، ومال وارثك ما تركت، فانتفع من مالك ما دام بيديك، وما دمت في صحتك واختيارك، حتى تظهر

رغبتك في الخير، هذا الأفضل، فأنت حرٌّ في مالك، ما دمت صحيحًا شحيحًا، حرٌّ لو تصدقت بمالك كله وأنت غير متهم، ما فيه شيء.

فإن الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما دعا النبي ﷺ للصدقة، جاء بماله كله، قال: «**ما تركت لأهلك؟**»، قال: تركت لهم الله ورسوله، وجاء عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بنصف ماله، شطر ماله، فأنت حُرٌّ في مالك، لكن إذا كان في آخر عُمُرك وفقدت الاختيار، وصرت مضطرًا، فهذا هو الخطر، ولا تُنَفَّذ الوصية إذا كان فيها تهمةٌ، فانتفع من مالك ما دام بين يديك، وما دُمتَ مختارًا في إنفاقه، ولك رغبةٌ وطمعٌ ورجاء في الله -جَلَّ وعلا-.

قال بعض السلف: والله إني لا أخشى الفقر، قالوا: كيف؟ قال: إذا احتجت شيئًا سألت الله عَزَّوَجَلَّ فأعطاني. ما أحتاج إلى مستودعات ولا شيء، فتعود إذا سألت الله أعطاني؛ الله كريم، هكذا المقصود أن الإنسان يُعنى بهذا، فيُنفق ما دام في حال اختياره، ولا يجعل الإنفاق عند الضرورة، وإذا رَخُص المال للعجز عن إدارته واليأس منه، فهذا يكون من الصدقة الرَّدِيَّة، ما هي طيبةً.

ولذا فَرَّع أهل العلم - رحمهم الله - والفقه على هذه المسألة، مسألةً مهمةً يعني ينبغي التفطن لها، وهي: ما إذا كان لك دينٌ على شخصٍ، فأعسر ذلك الشخص عن وفاء الدين، فهل لك أن تضع عنه الدين أو بعضه، فتحتسب ذلك صدقةً، أم لا؟

فأجازه جماعةٌ من أهل العلم؛ لأنه ماله الحق، له أن يُطالب به ويأخذه كاملًا.

ومنعه البعض وقالوا: لأن الدين الميؤوس منه الذي في ذِمَم المال رخيصٌ، والله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾ يعني الردي ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ [البقرة:٢٦٧]، قالوا: إن الصدقة في هذه الحال ما هي بطيب نفسٍ كاملة، بسبب اليأس من الحصول على المال،

كأنه من وجهٍ آخر يقي ماله، بأن يجعل الزكاة من الدين، حتى لا يُخرج من حُرِّ المال الذي بين يديه، هذه تُذكر للمناسبة. **نعم**.

بَابٌ: المُكْثِرُونَ هُمُ المُقِلُّونَ

الشرح:

يعني المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما أنه ذَكَر حِلَّ المال، وطيبه من جهة الكسب، وأنه لا يحمل الشح على أن يجمع بالمال من غير وجه حِلِّه، ثم بَيَّن لك فضل إنفاق المال ابتغاء وجه الله عَزَّوَجَلَّ في وقت الصحة والشدة والاختيار، وأن الشح به هناك قد يكون خطرٌ وضررٌ عليك، الآن انتقل إلى أنك لا تحرص على كثرة المال، على تنمية المال، فاحرص أن يكون مالك على قدر حاجتك؛ لأن كثرة المال مُشغلةٌ؛ لو ما فيها إلا أنها تشغلك في صلاتك، وتعوقك عن بعض واجباتك، وتُعَلِّق نفسك بالمال، وآخر شيءٍ أنك تُحْبس عن الجنة وقتًا، ولو كُنْتَ من أهل الدرجات العُلى من الجنة؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن فُقراء الأمة يدخلون قبل الأغنياء بخمسمائة عام، قال: «**وأهل الجَدِّ محبوسون**» أهل الغنى، ليش؟ لكثرة الأموال؛ فإنها أكثرت عليهم الحساب ومتعلقاتها فيما بينهم أيضًا، هذا التاجر مع التاجر، وهذا مع هذا، فتُؤخرهم، فهذه تدل على أنه ما ينبغي الاشتغال بكثرة المال وتنمية المال، خصوصًا إذا كان يحتاج إلى تَفَرُّغ وعناية، فلذلك احذر.

ولذلك قال ﷺ: «**المكثرون**» يعني أهل الأموال «**هم الأقلون يوم القيامة**»، لكثرة التبعات التي تتعلق بهم؛ يعني يُسألون عن وجوه جلبه، وعن وجوه إنفاقه، وعما يعلق بذممهم من الديون والحقوق لغيرهم. **نعم**.

وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥ – ١٦].

الشرح:

هذه الآية فيها وعيدٌ شديدٌ خطيرٌ جدًّا.

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾، فهذه في الكفار المشركين، الذين شغلتهم الدنيا عن الآخرة، وينفقون رياءً ومباهاة، ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال:٤٧].

ويدخل فيها من المسلمين من يُشرك الشرك الأصغر، من يبتغي الدنيا بشيءٍ من حق الله عَزَّ وَجَلَّ، يُريد الدنيا بشيءٍ من عَمَلِ الآخرة.

قال الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا**، يعمل عملًا من أعمال الآخرة يُريد به الدنيا، يُرائي به الناس، يتوسل به إلى تحصيل أموالهم، من التَّصدر في مجالسهم، من التعظيم في صدورهم، فهذا أيضًا مما يشمله الوعيد.

وأنا سمعت الشيخ **عبد الله بن حميد** – رحمة الله عليه – يُسأل في المسجد الحرام قبل خمسين سنة أو ما يقارب ذلك، عمن يَطُوف بالبيت ليتصدق عليه الناس، فقال: هذا لا يجوز له، ولا يجوز أن يُعطَى، لا يتصدق عليه في تلك الحال، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ

إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، فدل على خطورة إرادة الدنيا بعمل الآخرة. **نعم**.

٦٤٤٣ – حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَلَيْسَ مَعَهُ إِنْسَانٌ، قَالَ: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَهُ أَحَدٌ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ القَمَرِ، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي، فَقَالَ: «**مَنْ هَذَا**» قُلْتُ: أَبُو ذَرٍّ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَالَهْ**» قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً، فَقَالَ: «**إِنَّ المُكْثِرِينَ هُمُ المُقِلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ...**».

الشرح:

المكثرين يعني من الأموال، يَشتغلون بالأموال وتكثيرها، هذا إذا كَثُر المساس قَلَّ الإحساس، فيحملهم هذا الاستكثار من الأموال على أن تَختلط بالمتشابه، قد يَلحقه بعضُ الحرام، قد يُبخل بها عن واجبٍ، فيكون هذا نقصًا عليهم إلا ما رحم ربي. **نعم**.

«**إِنَّ المُكْثِرِينَ هُمُ المُقِلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ خَيْرًا، فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا**».

يعني أنفق مما أعطاه الله خيرًا، فأنفق بسخاء، يمينه وشماله وأمامه ووراءه، يعني في وجوه الخير، كلما بان له وجه خيرٍ، أنفق فيه ابتغاء وجه الله. **نعم**.

مقلون لكثرة التبعات والمسؤولية. نعم.

«**إِنَّ المُكْثِرِينَ هُمُ المُقِلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ خَيْرًا، فَنَفَحَ فِيهِ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ، وَعَمِلَ فِيهِ خَيْرًا**».

قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ سَاعَةً، فَقَالَ لِي: «**اجْلِسْ هَا هُنَا**» قَالَ: فَأَجْلَسَنِي فِي قَاعٍ حَوْلَهُ حِجَارَةٌ، فَقَالَ لِي: «**اجْلِسْ هَا هُنَا حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ**».

يعني: لا تبرح مكانك حتى أرجع إليك. **نعم**.

قَالَ: فَانْطَلَقَ فِي الحَرَّةِ حَتَّى لاَ أَرَاهُ، فَلَبِثَ عَنِّي فَأَطَالَ اللُّبْثَ، ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ، وَهُوَ يَقُولُ: «**وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى**» قَالَ: فَلَمَّا جَاءَ لَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، مَنْ تُكَلِّمُ فِي جَانِبِ الحَرَّةِ، مَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرْجِعُ إِلَيْكَ شَيْئًا؟.

يعني: ما سَمِعْتُ أحدًا يَرُد عليك الكلام، وأنت تتكلم ما سمعت أحد يرد عليك الكلام، لا يرد كلامك ولا يقبله. **نعم**.

قَالَ: «**ذَلِكَ جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الحَرَّةِ**».

يعني أنه جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلِم النبي ﷺ بمجيء جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ووعده هذا المكان، فأمر النبي ﷺ أبا ذر أن يبقى في مكانه، قال: لا تبرح حتى أرجع إليك، ليذهب إلى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ويتلقى عنه ما كُلِّف به. نعم.

قَالَ: « **ذَلِكَ جِبْرِيلُ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الحَرَّةِ، قَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**».

نسأل الله الكريم.

وهذا يدل على فضل التوحيد، وأن من مات سالمًا من الشرك: أكبره وأصغره، ومن كبائر الذنوب، فإنه يدخل الجنة لأول وهلة، ومن مات سَلِم من الشرك الأكبر وعليه شيءٌ من الشرك الأصغر أو من كبائر الذنوب من غير توبةٍ، فإن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ غفَر له وأدخله الجنة لأول وهلة، وإن شاء لم يغفر له وعَذَّبه على قدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة، فيكون دخوله الجنة انتهاءً، فالأول دخوله الجنة ابتداءً إذا مات محققًا للتوحيد، دخل الجنة ابتداءً، وإذا مات وعليه صغائر وعليه شرك أصغر -الذي هو أكبر الكبائر بعد الأكبر-، أو عليه كبائر ذنوبٍ من الموبقات، كالسرقة وشرب الخمر والزنا بغير استحلالٍ، فإنه إن غَفَرَ الله له دخل الجنة من لأول وهلة، وإلا عُذِّب على قدر ذنبه، ثم أُخْرِج من النار وأُدخل الجنة، فيكون انتهاءه الجنة.

فصار التوحد سببًا في دخول الجنة، إما ابتداءً أو انتهاءً، فدل ذلك على فضل التوحيد.

نعم.

قَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَإِنْ شَرِبَ الخَمْرَ**».

يعني أنه إذا ارتكب من هذه الكبائر شيئًا، فإما أن يُوفقه الله للتوبة لتوحيده، وإما أن يغفر الله له ولو مات على ذلك من غير توبة لتوحيده، وإما أن يعذبه الله عَزَّ وَجَلَّ على قدر ذنوبه، ويُطهره من رجزها، ثم يُدخله الجنة، فهو بكل حال إلى الجنة، إما ابتداءً أو انتهاءً. **نعم**.

قَالَ النَّضْرُ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا حَبِيبُ بْنُ أَبِي ثَابِتٍ، وَالأَعْمَشُ، وَعَبْدُ العَزِيزِ بْنُ رُفَيْعٍ، حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ، بِهَذَا.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: حَدِيثُ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، مُرْسَلٌ لاَ يَصِحُّ، إِنَّمَا أَرَدْنَا لِلْمَعْرِفَةِ، وَالصَّحِيحُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ.

حديث أبو ذر صحيحٌ متفق عليه، في أعلى درجات الصحة.

وحديث أبي الدرداء صحيحٌ بسنده عند الطبراني وغيره، فهو صحيحٌ، بمعنى حديث أبي ذر.

وكذلك جاء من طريقٍ ثالثٍ -غير أبي ذر وأبي الدرداء-، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. **نعم**.

قِيلَ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ: حَدِيثُ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: مُرْسَلٌ أَيْضًا لاَ يَصِحُّ، وَالصَّحِيحُ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ. وَقَالَ: اضْرِبُوا عَلَى حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ.

هَذَا: إِذَا مَاتَ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، عِنْدَ المَوْتِ.

يعني أن هذه الأحاديث التي فيها أنه يدخل الجنة من قال: «**لا إله إلا الله دخل الجنة**»، و«**أن الله حَرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله**»، وما جاء في مَعْنَاهُما، فهذه الأحاديث فيها

تَرْجِيَةٌ وترغيبٌ وبيانٌ لفضيلة هذه الكلمة، فضيلة الأعمال، لكن أنها مقيدةٌ؛ قول لا إله إلا الله مقيدةٌ بالقيود الثقال كما قال أهل العلم:

فأولًا: أنها تكون آخر كلامه من الدنيا.

وثانيًا: أنه يقولها غير شاكٍّ.

وثالثًا: أنه يقولها غير مرتكب لكبائر الذنوب، وإلا إذا ارتكب شيئًا من كبائر الذنوب ومات على ذلك من غير توبةٍ، فإنه قد يُعذبه الله ﷻ، فيتأخر عن الجنة، لكن يدخلها في نهاية الأمر. **نعم**.

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مِثْل أُحُدٍ ذَهبًا»

٦٤٤٤ - حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةِ المَدِينَةِ، فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا، تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ**، ...».

الشرح:

يعني أحفظه لسداد دينٍ؛ فهذا يَحفظه الإنسان، ما يتصدق وهو عليه دينٌ، لا بد أن يُبْرِأ ذمته من الواجب، لكن الإنفاق الضروري على أهله ونحو ذلك وما يلزمه، فهذا شيءٌ آخر، لكن التصدق والتقرب لا، أول شيءٍ براءة الذمة من الدين؛ لأنه من حقوق الخلق، وحقوق الخلق مبنية على المشاحة، فإن قدر سَدَّد، وإن لم يقدر كَتَبَ ذلك في وصيته حتى يُعين وارثه على تسديده، إلا إذا عرف أن دائنه محبٌّ له وغنيٌّ، وأنه لا يشق عليه تأخير السداد، ولو عَلِم أجازه، لِمَا بينهما من الميانة والثقة، فلا يضر، فهذا واسع. **نعم**.

«**إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا**» عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ...

ومن أمامه، مثل الحديث السابق، الأربع جهات. **نعم**.

ثُمَّ مَشَى فَقَالَ: «**إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا - عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**».

يعني: قليلٌ من يجود بالمال ابتغاء وجه الله، فالذين يجودون بالمال مطلقًا قد يكونون كثيرٌ، لكن يُداخلهم الرياء، والسُّمعة، والعصبية، وإرادة الدنيا، فيبذل المال حتى يَجِيه أكثر، لكن ابتغاء مرضاة الله، وابتغاء وجه الله، فهذا قليل؛ حسبة يعني. **نعم**.

ثُمَّ مَشَى فَقَالَ: «إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا - عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» ثُمَّ قَالَ لِي: «مَكَانَكَ لاَ تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ» ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى، فَسَمِعْتُ صَوْتًا قَدِ ارْتَفَعَ، فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي: «لاَ تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ».

آتيك: بتقدير أنَّ بعد حتى.

«لاَ تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ» فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى أَتَانِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا تَخَوَّفْتُ، فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «وَهَلْ سَمِعْتَهُ» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي، فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى، وَإِنْ سَرَقَ».

٦٤٤٥ - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ شَبِيبٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ يُونُسَ، وَقَالَ اللَّيْثُ، حَدَّثَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، لَسَرَّنِي أَنْ لاَ تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ، إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ».

بَابٌ: الغِنَى غِنَى النَّفْسِ

وقول الله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ [المؤمنون:٥٥] إلى قوله تعالى: ﴿ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴾ [المؤمنون ٥٥-٦٣].

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: لَمْ يَعْمَلُوهَا، لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَعْمَلُوهَا.

الشرح:

يعني يشير إلى الآيات بس اختصر :

﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ - ٦١] هذه شهادة من الله ﷻ أن أهل هذه الصفات الجميلة، والأعمال الجليلة، يُسارعون في الخيرات.

ثم ضمن لهم سبحانه السبق ﴿ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٦١]]، نسأل الله أن نكون منهم، ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون:٦٢].

والمقصود أن المال وما أمد الله به الإنسان في الدنيا، يريد أن يستعين به على طاعة الله، وأن لا يكون شاغلًا له عن حق الله، ولا مُجَرِّأً له على معصية الله **نعم**.

٦٤٤٦ - حَدَّثنا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**».

الشرح:

يعني ما هو الغنى كثرة المتاع، عندك نقود، وعندك بضائع، وعندك أثاث، وعندك بُيوت، وعندك مزارع، وعندك أَنْعَام، هذه عواري من الله، الغنى غنى النفس، فتكون النفس غنيةٌ قنوعةٌ وكريمةٌ، هذا هو الغنى الحقيقي، وهذا الذي يحمل على طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ في المال وغيره. **نعم**.

بَابُ فَضْلِ الفَقْرِ

٦٤٤٧ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا**» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

الشرح:

يعني هذا وجيه من الوجهاء، ومن الأغنياء، ومن له منزلةٌ عند الناس، لشرفه وغناه، ومسؤوليته وغير ذلك.

والثاني هو الفقير، الضعيف، المتضعف، رث الهيئة، خَرِق الثياب -يعني من غير تكلف-، لكن هذا ما عنده، وهو متواضعٌ، وغير مشهور، وقال: هذا حري أن شفع إلا يشفع، وإن خطب لا ينكح، أي لا يزوج، وإن استأذن لا يؤذن له.

فالأول حري إن شفع أن يشفع، وإن استأذن يؤذن له، وإن خطب فإنه يزوج، وهذا لأ، عكس ذاك.

فقال النبي ﷺ عن الأخير: أنه خير من ملء الأرض من مثل ذلك مع فقره؛ فاستنبط المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذا فضل الفقر.

وهذا ليس على إطلاقه؛ لأنه مقيدٌ بما سبق بالباب السابق، أن الغنى غنى النفس، هذا الفقير لو مَلَكَ شيئًا يسيرًا، بذله لوجه الله عَزَّوَجَلَّ، وذاك إما ألا يبذل، وإما أن ينفقه رئاءً، وأشرًا، وبطرًا، ومباهاةً، وغير ذلك. **نعم**.

ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا».

وهذا مثل ما سبق ليس على إطلاقه؛ لأن الغنى غنى النفس، وأشراف الناس وأغنياؤهم ووجهاؤهم، إذا كانوا صالحين، فإنهم أفضل من هذا وأكثر؛ مثل أبو بكر الصديق، وعثمان، وغيرهم، ما ضرهم الغنى، بل نفعهم ورَفَع درجاتهم عند الله -جَلَّ وعلا-، فنِعم المال الصالح للرجل الصالح، فالغِنى والفقر في النفوس، قد يكون غنيًّا في المتاع، لكن فقير نفس، قد يكون فقيرًا في الواقع، لكنه غني النفس، لو جاءته صدقةٌ واسى بها من حوله، فالغنى غنى النفس.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الدرس الرابع

الشيخ لم يطلع عليه بعد.

الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم اغفر لشيخنا ولنا وللحاضرين.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما يا عليم.

قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري -رحمه الله تعالى ورفع درجته في العليين- في صحيحه «**كتاب الرقاق**»:

فِي بابِ فَضْلِ الْفَقْرِ

٦٤٤٧ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا**» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**».

٦٤٤٨ - حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، قَالَ: عُدْنَا خَبَّابًا، فَقَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نُرِيدُ وَجْهَ اللهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ أَجْرِهِ، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَإِذَا غَطَّيْنَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الإِذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا.

٦٤٤٩ - حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ زَرِيرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**» تَابَعَهُ أَيُّوبُ، وَعَوْفٌ، وَقَالَ صَخْرٌ، وَحَمَّادُ بْنُ نَجِيحٍ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

٦٤٥٠ - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ حَتَّى مَاتَ، وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ.

٦٤٥١ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قَالَتْ: لَقَدْ تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ، حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن الإمام البخاري - رحمه الله تعالى وإيانا - لم يُحدد الحُكْم في هذه الترجمة، ما قال باب فضل الفقر، ولا باب فضل الغنى، وإنما قال: باب الفقر، وهذا من فقهه رَحِمَهُٱللَّهُ؛ لأن الفقر وحده ليس عملًا، الفقر قسمةٌ من الله -جَلَّ وعلا-، والله ﷻ يُعطي الدنيا من يحب، ومن لا يُحب، ولا يعطي الدين إلا مَنْ أحبه، ومن أعطاه الله الدين فقد أحبه، نسأل الله أن يعطينا دينه وفضله، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى منها فاجرًا شربة ماء، ولكن الله ﷻ له الحكمة في قسمته، ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ

دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴾ [الإسراء:٢١]، لكن في هذه الترجمة تنبيهٌ وإشارةٌ إلى أن الفقر إذا رَضِيَ به الإنسان زُهدًا في الدنيا، وانشغالًا بما خُلِق له، وقناعة باليسير من الرزق، فهو أخف للحساب، وأسلم للقلب من الضياع في شعب الدنيا، وأحرى بالتواضع، وأبعد عن موجبات الكسل والتشاغل، ولهذا نهى النبي ﷺ عن اتخاذ الضيعة؛ لأنها تقسي القلوب، للاشتغال بأمور الدنيا، مثل المزرعة، مثل الاستراحة، مثل بهيمة الأنعام إذا كان الإنسان مُغْنِيه الله عنها، فلا يتشاغل بها لأنها تُشغله عن الجماعة، ثم عن الجمعة، ثم تُقسي قلبه وتُبعده عن مجالس العلم، ومظان الخير.

وقد اختلف العلماء - رحمهم الله - أيهما أفضل: الفقير الصابر، أم الغني الشاكر من أهل الإيمان!

والمُحَقَّقُ عند أهل العلم: أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر؛ لأن الفقير الصابر ما عنده أصلًا غير الصبر، ما عنده اختيارٌ آخر، لكن الغني عنده اختياراتٌ كثيرةٌ، فإذا استعمل غِناه في طاعة الله، وحَذِر أن يكون سُلَّمًا إلى معصية الله، ولم يُلْهِه عما خلقه الله، وشكر الله ﷻ على إنعامه، واستعمله لطاعته، كان هذا أفضل؛ لأنه أعون على الطاعة.

وفي الصحيح: «**لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله حكمةً، فهو يقضي بها ويعلمها -يعني العلم-، ورجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق**».

ولما قال فقراء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور (أهل الأموال)، بالأجور والدرجات العُلَى والنعيم المقيم، أقرهم النبي ﷺ على ذلك، ما استنكر عليهم لأنهم جمعوا بين الغِنى والمنافسة في الطاعة، فالمُحقق عند أهل العلم أن الغِنَى مع الشكر أفضل من الفقر مع الصبر، هذا من حيث الجملة.

ومن حيث الخُصوص: فالناس يتفاوتون بحسب ما يقوم في قلوبهم من العلم والإيمان، والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا، فكلما كان الإنسان أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة، وأكثر اشتغالًا فيما ترتفع به درجاته، ويعلو به مقامًا عند الله -جَلَّ وعلا- فهو الأفضل، سواءً كان غنيًّا أو فقيرًا.

وقد اختار ﷺ التقلل من الدنيا، فإنه ﷺ عُرِض عليه الغنى، وأن يُقلب له الصفا ذهبًا، فقال: «**لا يا رب، أجوع يومًا وأشبع يومًا، فإذا جعت صبرت، وإذا شبعت شكرت**»، فالفقر أخف للحساب، وأمنع عن مُغريات النفس، وأسلم من تَعَلُّق الناس بالإنسان من أمورٍ أو حقوقٍ قد لا يقوم بها، وأسرع في دخول الجنة، فإن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، وهذا لا يعني أن الأغنياء إذا دخلوا الجنة لا يكونون في الدَّرجات الأعلى، هم في الدرجات العُلى، لكن يتأخر دخولهم بسبب التبعات؛ لأنهم يُسألون عن كل شيءٍ، فالفقر أخف للحساب.

ولذلك أورد البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب من الأحاديث ما يُبين التفاوت بين الناس في هذا، وأن الغنى مع الشكر والقيام بحق المال أفضل من الفقر في الجملة، وأن الفقر أخف في الحساب، وأسرع في دخول الجنة، وعليه جُملةُ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، أو هو وَصْفُ جملة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في أول الأمر، وهو شعار أو مظهر أكثر أتباع الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود:٢٧] يعني الفقراء والمساكين والمحاويج، وفي التنزيل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾ [عبس: ١ - ١١]، فوعظ الله ﷻ نبيه ﷺ في مَيْله للأغنياء طمعًا في هدايتهم، وعاتبه على نوعٍ من التشاغل عن الفقراء، فكان ﷺ يقول: «**مرحبًا**

بمن عاتبني فيه ربي»، والمحقق مثل ما سبق أنه: العبرة بما في القلوب من الإيمان والتقوى والزهد والقناعة والرضى بالقسمة، والزهادة في الدنيا والرغبة في الآخرة، والتشاغل بعمل الآخرة، والحذر من مُشغلات الدنيا، فهذا هو المحقق، سواءً كان الإنسان غنيًّا أو فقيرًا.

وكان ﷺ أجود الناس وأكرم الناس، ويُعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ومع ذلك تُوفي ﷺ في أوج غِناه بظهور الإسلام، ودرعه مرهونة عند يهودي، في تسع آصع بشعير قوتًا لأهله، وكان يأتي الضيف إلى النبي ﷺ فيبعث إلى بيوته؛ تسعة أبيات: هل عندكم شيءٌ للضيف؟ فيقولون: لا والذي بعثك بالحق، ما عندنا إلا الماء.

وتقول عائشة: توفي النبي ﷺ وما في بيته شيءٌ لكبد رطبه، إلا شيءٌ من شعير، فهذا شيءٌ من شعيرٍ والدرع مرهونة في تسعة آصع من شعير.

فهذا الزهد اختيار، الزهد في الدنيا اختيار، ما هو الفقر.

والله ﷻ حض الناس أهل الإيمان على طَلَب الرزق والكسب، والاستعانة بذلك على أمور الدنيا والدين، ولذلك قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ من التجارة ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة:٢٦٧]، قال تعالى ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل:٢٠]، فذكر الساعين على الكسب مقرونين بالمَرْضى في العذر، وبالمجاهدين في سبيل الله في الفضل.

وفي الحديث: «**نِعْمَ المال الصالح للرجل الصالح**».

وحض النبي ﷺ على تعاطي المِهن التي يُسترزق بها، ولو أن يأخذ الإنسان حبله، ويحتطب من الجبل ويبيع.

ولما رأى رجلًا جالسًا في المسجد في غير وقت الصلاة ، وسأله قال: إن أخاه يكسب وينفق عليه، قال: إن أخوك خيرٌ منك.

وصافح النبي ﷺ رجلًا، فوجد في يده خشونة من العمل، فقال: «**هذه يمين يحبها الله** ﷻ».

وأخبر ﷺ أن خير مال المرء من عمل يده، وكل بيعٍ مبرور، فدل على أن الإنسان يتعاطى أسباب الرزق والكسب، ويرضى بما قسم الله -جَلَّ وعلا-، ويتقلل من الدنيا، ويزهد فيها، تكون الدنيا في يده لا في قلبه، وإذا ابتُلي بالدنيا يُحاذر، يستعين بها على طاعة الله وينفقها في مرضاة الله، ويصل بها الرحم، ويُحسن بها إلى مستحقي الإحسان، ويحذر أن تستولي عليه الدنيا أن يكون كشارب البحر، كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا.

والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في أول الأمر كانوا فقراء، ومَعْوُزِين، وصبروا على هذا، حتى كان في سريةٍ من السرايا التي بعثها النبي ﷺ، ما معهم قوتٌ زاد للسفر والرحلة إلا جراب فيه تمر (كيس صغير فيه تمر)، فكان قائد السرية يَقْسِم بينهم كل يوم على تمرة تمرة، وغاب أحدهم لحاجةٍ، ولما حضر وقد قُسِم نصيب اليوم، طالب بحقه، فلم يعط حتى جاء بشاهدين أنه لم يأخذ تمرةً، وكانوا يأكلون ورق الشجر حتى تَقَرَّحت أشداقهم، ثم قيض الله لهم حوتًا عظيمًا وجدوه على شاطئ البحر طافيًا، فأكلوا منه عدة أيامٍ، ثم أخذوا منه إلى النبي ﷺ، وأكل منه النبي ﷺ.

ومن ذلك: ما ذكره البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ في قصة مصعب بن عميرٍ، مع أنه كان أول ما أسلم كان من شباب قريش، ومن الأولاد الأغنياء المترفين، وأسلم وهاجر إلى الله ورسوله، ورضي بيسير العيش وشظف العيش، حتى أنه لما توفي لم يُوجد ما يُكفن به، إلا قطعة منسوجة من صوف، إن غطوا بها وجهه بدت رجلاه، وإن غطوا بها رجلاه بدا وجهه، بدا

رأسه، ما يدروا أيش يسوون؟، فأخبرهم النبي ﷺ أن يغطوا رأسه ووجهه، وأن يجعلوا على رجليه شيءٌ من الإذخر يعني: ورق الشجر، فتوفي أناس من الصحابة وهم في ضيقٍ من العيش، وصبرٌ لله -جَلَّ وعلا-، وأبلوا في الإسلام بلاءُ حسنًا، ووسع الله على المسلمين بالمغازي والغنائم، حتى قال خباب بن الأرت: أينعت له ثمرته، فهو يهدبها، يعني يخاف، قال: أنه صار عندنا من المال ما لا نجد له موضعًا إلا التراب، كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: نخشى أن تكون طيباتنا عُجِّلت لنا في الحياة الدنيا، خافوا وحذوا من الدنيا، لما انبسطت عليهم واتسعت، وتعاملوا معها بحذرٍ، خشية أن تُشغلهم وأن تنقصهم عمن مضى من سلفهم من إخوانهم من المهاجرين والأنصار الذين مضوا إلى ربهم في قلة من العيش.

فدل ذلك على أن الأفضل هو الغِنَى مع الشكر، وأن من ابتُلي بالفقر عليه أن يصبر، ولا يترك التسبب، لقول النبي ﷺ: «**المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيءٌ فلا تقل لو إني فعلت كذا لكان كذا، بل قل قَدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**».

فالغنى مع الشكر أفضل من الفقر مع الصبر، وإذا رضي المؤمن بالفقر زهادةً ما هو عجزًا وتواكلًا، زهادةً وقناعةً باليسير، فله ذلك، وإلا مثل ما أن الغنى خَطَرٌ على الإنسان في دينه، فالفقر خطرٌ، وفي الحديث: «**كاد الفقر أن يكون كُفرًا**».

فالمقياس في الواقع والتحقيق: هو على ما في القلوب، فمن رزقه الله ﷻ القناعة والزَّهادة في الدنيا، والرضا بيسير العيش، والبعد عن المظاهر والأُبَّهة والشُّهرة والناس، يعني اختيارًا منه وقناعةً، فهذا قد يكون أفضل من الآخر، والغنى مع الشكر واستعمال الدنيا في طاعة الله، «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**» أفضل، فالناس يتفاوتون في هذا.

وفي الحديث الذي يُروى قدسيًا عن الله ﷻ يقول: «**أنا طبيب عبادي، من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى، فلو أفقرته لأفسدت عليه دينه، ومن عبادي من لا يصلح له إلا الفقر، ولو أغنيته أفسدت عليه دينه**».

فمن حيث المبدأ وأول وهلة: الغنى أفضل، وإذا كان الفقر عن زهادةٍ وقناعةٍ في الدنيا، ومحبة إلى التواضع، والتقلل من الدنيا، والتخفف من أجل خِفَّة الحساب في الآخرة، وسرعة دخول الجنة، هذا قد يكون الفقير الصابر أفضل في الغني الشاكر.

وقد يكون الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر؛ فالناس يتفاوتون في هذا، والله ﷻ هو الذي يرفع درجات من يشاء. **نعم**.

بَابٌ: كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَتَخَلِّيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا

٦٤٥٢ - حَدَّثَنِي أَبُو نُعَيْمٍ - بِنَحْوٍ مِنْ نِصْفِ هَذَا الحَدِيثِ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ، حَدَّثَنَا مُجَاهِدٌ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، كَانَ يَقُولُ: أَللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ...

الشرح:

يعني: ليفطن لي، أنه سأله يسترشد في العلم، لكن ضمن ذلك أن يفطن لي، ما بي من الجوع، ووهن الجسم بسبب الجوع.

وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من فقراء المهاجرين، ورضي بالفقر؛ ليخدم النبي ﷺ، وليتفرغ لحفظ لعلم، وما سأل الله الدنيا، سأل الله العلم الذي لا يُنسى، وأَمَّنَ النبيُّ ﷺ على دعائه، وشهد له النبي ﷺ بالحرص على العلم، قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟، قال: «**قد ظننت ألا يسألني عن هذا غيرك، لما أعلم من حرصك على العلم**»، أو كما قال ﷺ «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**»، فهو رضي بالفقر اختيارًا وتفرغًا، كان خادمًا للنبي ﷺ، ملازمًا للنبي ﷺ، صابرًا على شظف العيش، فهو اختيارٌ، عَطَّل الأسباب؛ لاشتغاله بما هو أهم وأنفع وأبقى له في الدنيا والآخرة، وتغيرت حاله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واتسعت له الدنيا وجاءه نصيبه من الدنيا مثل غيره، حتى صار أميرًا على البحرين على الإحساء فترةً من الفترات، ما كان يحلم أن يكون أميرًا.

فالله ﷻ يَبْتَلِي العباد بالمتضادات، ليظهر إيمانهم وتعلقهم به - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - في كل حالٍ، مثل ما يبتلي بالصحة يبتلي بالسقم، مثل ما يبتلي بالغنى يبتلي بالفقر، مثل ما يبتلي

بالأمن يبتلي بالخوف، مثل ما يبتلي باليسر يبتلي بالعسر، من أجل أن تظهر العبادة، وأن الإنسان المؤمن عبد الله ﷻ في كل الأحوال، متعلقٌ بالله -جَلَّ وعلا- في جميع أحواله، ويسعى في مرضاة الله في جميع أحواله، فإن قَدِرَ فذاك وإلا على حسب حاله.

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥].

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران:١٨٦].

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢].

فالله ﷻ يبتلي العبد بالمُتغيرات والمُتقلبات، لأجل أن يتبين إيمانه، ويتجلى في الحالين؛ حتى تظهر قسمة الله -جَلَّ وعلا- في فضله وإكرامه، أو في عدله وانتقامه، وأن ذلك واقعٌ مَوْقِعَهُ.

ولكن النبي ﷺ كان يزهد في الدنيا، ويبذلها في مرضاة الله -جَلَّ وعلا-، ولا تُشغله، ولا يرضى ببقائها عنده، بخَزْنِها عنده، يقول: «**ما يسرني أن لي مثل أحد ذهبا تمضي علي ثلاث وعندي منه شيء، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا، وهكذا، وهكذا**»، كان ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر على الإسلام، ما سُئل شيء من الدنيا وقال لا، فكان ﷺ أزهد الناس، وأكرم الناس، وأجود الناس، كان بذله لله ﷻ، ومنعه لله -جَلَّ وعلا- في جميع الاحوال.

يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

وتعاطى التجارة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قبل بعثته، وربح واشتُهر بحسن التدبير، والبركة في السعي، ولما بعثه الله ﷻ يسر أمره، وقنع ﷺ باليسير، وكان يشارك أصحابه ضيق حالهم وعيشهم، فكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يحفرون الخندق عام خمس من الهجرة، وأحدهم على بطنه الحجر من الجوع، يجعل الحجر على البطن ويشد بها الحبل، حتى يضم أمعائه بعضها

إلى بعض، عشان ما تحتاج إلى أكل، والنبي ﷺ على بطنه حجرين، يعني ضعفهم ﷺ، وجعل الله رزقه تحت ظل رمحه، فيأتيه من الفيء الخمس، ومع ذلك يبذله في مرضاة الله -جَلَّ وعلا-، وكان يتخذ لأهله قوت من التمر؛ تمر خيبر، يكفيهم سنة، فإذا مضى ثلاث أشهر أو أربع كان قد نفذ من الإنفاق.

وهذه سنة إحدى عشر من الهجرة أوسع ما كان المسلمون من الدنيا، ومع ذلك توفي ﷺ، ودرعه مرهونة عند يهودي بتسعة آصع من شعيرٍ قوتًا لأهله.

فهذا زهدٌ اختياريٌّ، متقلل من الدنيا، وهو ﷺ أسوةٌ لجميع أصناف الأمة، من كرم الله ﷻ وجوده على النبي ﷺ، لِمَا أراده سبحانه أن يكون أسوة للجميع، تجده أسوة ﷺ للغني في الغنى والتدبير والإنفاق والصلة والعفاف، وأسوة للفقير في القناعة والزهد والتقلل والصبر والاحتمال، وأسوة للزوج في عشرة الزوجة، وأسوة لولي الأمر في تدبير الأمة، وأسوة لقائد الجيش، وأسوة للعَالِم، وأسوة للمُحتسب، وأسوة للمجاهد، في كل شأنٍ من شؤون الإسلام وأهله، تجده ﷺ أسوةً، في متغيرات أحواله، وفي حُسْن سياسته وتدبيره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الأحوال المختلفة والمتضادة أحيانًا، فكُلٌّ يتأسى به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. **نعم**.

فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسِمِ ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي...

يعني عرف ما بي من الحاجة. **نعم**.

ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الحَقْ**» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «**مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟**» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ

فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ، قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي**»..

نادهم يعني، هذا ما يكفي إلا أفراد اثنين ثلاثة، يقول: نادي أهل الصفة، مَنْ فِيها يعني، وأهل الصفة جماعةٌ من الصحابة، يصل أحيانًا عددهم إلى ثمانين، والصفة هذه ما هي مثل ما يفهمونه دراويش الصوفية، أنها منزلٌ لفئةٍ من الناس لهم هيئة ولباس وشعار؛ لأ.

الصُّفَّة منزلٌ مؤقتٌ لمن هاجر من المسلمين لله ورسوله وليس له منزلٌ وليس له جِدَه، يسكن في هذه الغرفة في المسجد، ويجود عليهم أغنياء المسلمين بما يتيسر، هذا يأتي بعِذق رُطب، وهذا يأتي بقدح لبن، وهذا يأتي بشيءٍ من أقط؛ اللبن المُجفف، وهذا يأتي بخُبزٍ، فيتشاركون فيما يأتي، ومن استغنى طلع؛ أحد يجلس في الغرفة يوم، أو يومين، أو ثلاثة، وواحد يجلس أسبوع، وواحد يجلس شهر، وواحد يجلس أشهر، وأحد يجلس سنين على حسب الحاجة، ومن استغنى خرج، من يسر الله له مثوى أو بيت أو زوجه خرج، فهي منزلٌ مؤقتٌ لذوي الحاجة، ما لهم طقوس، ولا لهم خصوصية، ولا لهم أي شيء، إنما هي منزل مؤقت، وهي في المسجد حتى يتعلموا من النبي ﷺ أطول وقت. **نعم**.

قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا.

هذا الفرق، يعني النبي ﷺ وآل بيته لا تحل لهم الصدقة؛ لأن الصدقة أوساخ الناس، فالنبي ﷺ يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، يأكل من الهدية ولا يأكل من الصدقة، فإذا جاءته الصدقة إلى بيته، أرسلها إلى مستحقيها، وإذا جاءته الهدية، أخذ منها ما تيسر، وبعث بها إلى غيره.

ومن قلة ذات اليد وضيق الحال في أحوال النبي ﷺ عدة مظاهر:

أولا: كان ﷺ يأتي من الضحى، بعد ما يجلس في المسجد حتى ترتفع الشمس، يذكر الله ﷻ حتى ترتفع الشمس ويصلي، قد يذهب في شأن من شؤون المسلمين، أو من شأنه هو، ثم يأتي وقد ارتفع الضحى، ارتفع النهار واشتد، فيقول: «**هل عندكم من غداء؟**» فإن قالوا: نعم، أكل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإن قالوا: لا، قال: «**إني صائم**»، ما دام أني ما أكلت شيئًا من الصبح فأنوي الصوم، ويُكتب له من الأجر من حين نوى.

وأحيانًا: يكون صائمًا على غير شيءٍ من الليل أصلًا، فأصبح صائمًا لفضيلة اليوم: الاثنين أو الخميس أو غير ذلك، فهو في جوعٍ شديدٍ، فإذا جاء إلى أهله، فقالوا عندهم شيء، قال: «**أرنيه، إني أصبحت صائمًا**»، فيُفطر من شدة الحاجة، ويقضي يومًا مكانه؛ لأنه المُتنفل أمير نفسه، إن شاء صام وإن شاء أفطر، فهذا مثال.

ومن الأمثلة الأخرى: أنه سألهم يومًا: هل عندكم شيء؟ قالوا عندنا لحم في البرمة في القدر يُطبخ، تُصُدُّق به على بريرة، مولاة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، فقال: «**هاته، هو عليها صدقةٌ ولنا منها هديةٌ**»، نقبل منها الهدية، لأنه يعلم أنها تحبه، كيف وهي تربت في بيت النبوة؟ هذا من حال النبي ﷺ.

ومن حاله ما ذكرنا: أنه في يومٍ من أيام الأحزاب يوم الخندق، أنه على بطنه حجرين، ربط على بطنه حجرين، فلما رأى جابر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ هذا، أشكل عليه، كيف يكون النبي ﷺ حاله هذا، فذهب إلى امرأته وقال لها: رأيت شيئًا ما يصبر عليه من حال النبي ﷺ، هل عندك شيء؟ قالت: عندي صاع شعير، وذكرت عندها عنزة أو تيس، فذبحته وخبزت الشعير، وذهب إلى النبي ﷺ وقال: ات أنت وعشرة من أصحابك، أقصى شيء هذا، ولم يكن النبي ﷺ ليستثني عشرةً من المجموع وهم كلهم في حال ضيقٍ، فقال: «**ناد المهاجرين والأنصار**»،

كانوا فوق الثمانين، فأقبل بهم النبي ﷺ، فتَروَّع جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقال كيف؟ ويش أسوي فيهم! فقال له: «**مُرْ أهلك لا تحدث شيء حتى أجيء**»، فلما وصل النبي ﷺ فإذا الخبز في إناء، واللحم في إناء آخر؛ كلاهما مُغطى، قال له: لا تفتح الغطاء، فصار ﷺ يغرف من المَرَق ويُعطي من الخبز، ويُوزع، عشرة عشرة، حتى شَبِعوا كلهم وبقي البقية، بركةٌ أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ، هذا من الأمثلة. **نعم**.

فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ.

هذا لبنٌ يسيرٌ وأهل الصفة كثير، ايش يسوي فيهم، لكن الله – عز وجل – أنزل البركة.

فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ.

هذا ابتلاء، يعني أبو هريرة يسقط كذا مرة في الطريق من الجوع، ويقول: هذه هي الفرصة، كيف أدعو هؤلاء؟، ويأمره النبي ﷺ يدعوهم، وهم جاؤوا وهو الذي يُوزع عليهم، يعطيه النبي ﷺ فيعطيهم، فيقول: ما يتبقى شيء، يتوقع أنه ما يبقى شيء، لقلة اللبن وكثرة الناس، لكن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل البركة. **نعم**.

وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ، قَالَ: «**يَا أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**خُذْ فَأَعْطِهِمْ**» قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ،

فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ.

آثره النبي ﷺ على نفسه، لما يعلم من حاجته، حتى لا تتعلق نفسه؛ ولثقته ﷺ بكرم ربه.

نعم.

فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ.

ولا يقال: كيف أن النبي ﷺ إمام الزهاد، يأمر أبا هريرة أن يشرب يشرب حتى تضلع؛ لأن هذه نادرة، حالة نادرة، ما هي كل يوم، حالة نادرة. **نعم.**

فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ.

الحمد لله.

ويش مناسبة الحمد؟

أول شيء: الرزق، هذا واحد؛ لأن اللبن رزق ساقه الله إلى الرسول ﷺ، أُهدِيَ إليه، يعني ما له ﷺ سبب في كسبه.

الشيء الثاني: أن الله -جَلَّ وعلا- أنزل البركة، حتى أن النبي ﷺ جَادَ على غيره من الرزق، في وقت حاجة، كلهم في وقت حاجة، ولو لم يكن إلا أبا هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومع ذلك الخَلْق كلهم تفضل الله ﷻ عليهم بالرِّيِّ والشِّبع، من هذا الشيء اليسير الذي بارك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيه، فيحمد الله ويثني عليه، يعني وصل الخير إلى الناس من جهته، نعمة من الله، إحسان من الله. فأعظم الناس بركة من ينتفع الناس من وراءه، في علمه وفي عمله وفي رزقه؛ فالمبارك الذي ينتفع الناس به. **نعم.**

جعلني الله وإياكم مباركين أينما كنا، وجعلنا أعمالنا خالصةً لوجهه. **نعم.**

٦٤٥٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا قَيْسٌ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدًا، يَقُولُ: إِنِّي لَأَوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَأَيْتُنَا نَغْزُو وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ، وَهَذَا السَّمُرُ، وَإِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ، مَا لَهُ خِلْطٌ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الإِسْلَامِ، خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ سَعْيِي.

الشرح:

والمعنى: أنا كنا في ضيقٍ وشدةٍ، ويذكر ما مَنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به عليه من كونه أول من أسلم من السابقين الأولين، وكونه أول من رمى بسهم في سبيل الله، ويقول أنهم يتهموني أني آخذ من المال من غير وجه، وأني أبخل به عن وجهه، وأن الإنسان لا يَسْلم من ضد، ولو كان هو فاضلًا يُبتلى، لحكمةٍ، فسعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان أميرًا في العراق، فجاء أناسٌ يشكون إلى عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في زمن عمر بأنه لا يُحسن الصلاة، ما يَعرف أن يصلي، ولا يعدل في الحكم؛ يحابي، وأنه يستأثر بالمال، وأنه وأنه، شكوى عريضةٌ مرفوعةٌ من أناسٍ، وتصل إلى أمير المؤمنين عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويبعث مندوبًا يسأل ويتحرى، يقول: لا تروح لسعد، اسأل في الكوفة في المسجد، واسأل الناس المَعْنيين، تفتيش وتدقيق وتحقيق، فيسأل؛ وكل ما سمع خيرًا، كل الناس يُثنون عليه، فتعجب كيف يُشْكَى والناس يثنون عليه! وهو معروفٌ سعد، هو الوحيد الذي فَدَّاه النبي ﷺ بأبيه وأمه، ومع ذلك يُشْكَى، من المبشرين بالجنة ومع ذلك يُشْكَى، كم بين وفاة النبي ﷺ وبين ولاية عمر؟، فتعجب هذا المندوب، فلما لم يجد بُدًّ، قام في المسجد، قال: ما تقولون في سعدٍ؟ اللي عنده علم من سعد وعليه ملاحظة يُعلمني، فسكت القوم، أثنى الناس أيضًا، ما عنده شيء ولا يدري شيء، فقال رجل: أما إذا سألتنا، فإن سعدًا لا يَقُود السَّرِيَّة، ولا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية!، وكل هذه اتهامات على رؤوس الأشهاد في المسجد بعد، بعض الناس: تثور حفيظته إذا واحدٌ من عوام الناس تَكَلَّم

ولا شيء، انظر هذا الكلام، واحد تكلم، وهذا الكلام ما هو مقولٌ لأول وهلة، لازم يجيب برهان عليه، ما شارك في هذا أحدٌ، هذا القول الذي قاله ما شارك أحد يُؤمن عليه، يُوثقه، يُؤكده، ما قام غير هذا الرجل، فقام سعد وقال: أما قد قُلْتَ هذا الكلام، لأدعون عليك بثلاث، يعني إنك كاذب وضال: اللهم أطل عُمُرَه، وشَدِّد فَقْره، ولا تُمته حتى تفتنه، يقول الراوي: فلقد رأيت هذا الرجل شيخًا كبيرًا قد انحنى ظهره تقوس ظهره، وانهدل حاجباه حتى لا يكاد يُبصر، وإنه ليغمز الجواري في السُّوق، البُنَيَّات الصغيرات، ويقول: شيخٌ والله ما به من همةٍ، ولكن شيخٌ مفتونٌ أصابته دعوة سعد، دعوة مظلومٍ، فهذا سبب كلامه اللي يقول: تُعَزِّرني بنو سعد؛ لأن هذا منهم، يتهموني على الدنيا. **نعم**.

هذا صِدْقٌ، وهذا دفاعٌ عن النفس بحقٍّ وصدقٍ، مثل ما أخبر الله ﷻ عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف:٦١]، وهود عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ﴿لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف:٦٧]، يدافع الله ﷻ عن نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فيقول: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير:٢٢]. **نعم**.

٦٤٥٤ - حَدَّثَنِي عُثْمَانُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الأَسْوَدِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ، مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلاَثَ لَيَالٍ تِبَاعًا، حَتَّى قُبِضَ.

٦٤٥٥ - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ هُوَ الأَزْرَقُ، عَنْ مِسْعَرِ بْنِ كِدَامٍ، عَنْ هِلاَلٍ الوَزَّانِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا أَكَلَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ إِلَّا إِحْدَاهُمَا تَمْرٌ.

٦٤٥٦ - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ ابْنُ أَبِي رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا النَّضْرُ، عَنْ هِشَامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ، وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ.

الشرح:

يعني جلدٌ حَشْوُه ليفٌ، هذا فراش النبي ﷺ.

ولما اعتزل النبي ﷺ في المشربة في المسجد في غرفة، ودخل عليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رفع عمر بصره في سقف الغرفة، فوجد فيها جُلود مدبوغة جلود من أدم، ما فيها أثاث، فبكى عمر، قال النبي ﷺ: «**ما يبكيك يا عمر؟**» قال: رأيت ما في غرفة النبي ﷺ، من هذا الأثاث الجُلود، وذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه، فقال : «**يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟**»

يعني ما تركنا الدنيا عجزًا، لا تركناها زُهدًا وتقللًا.

ومن حكمة هذا أن يكون النبي ﷺ مثل جُملة أصحابه، ولو كان غنيًّا وهم فقراء أيش يصير؟!

هذا من تيسير الله له، وحُسن معاشرة النبي ﷺ لأصحابه، حتى أنه ما يفرق بينه وبين أصحابه في اللباس ولا غيره، الذي يأتي من خارج المدينة ما يعرف النبي ﷺ، ما يُميزه ﷺ من أصحابه، ما له لباس وهيئة ومظهر وكذا وكذا.

والمقصود من هذا زهده ﷺ، مع القدرة، ما أكل على خِوَان، يعني ما أكل على طاولة أو كرسي، وما شبعوا ثلاث أيام، وإذا شبعوا ثلاث أيام أو دون الثلاثة، لازم أحدها يكون تمر، يصير تمر وكِسَر خبز، تمر وشعير مخبوز، تمر وكذا يعني، يصير خُلطة، حتى هذا يُعادل هذا، يُبرد هذا من الحرارة ونحو هذا، ما هو تفنن في الأكل؛ لأ، معالجة.

والآن الواحد من الناس يأخذ عشرين صنف، ويتشهى ويش يبغي.

ما عاب النبي ﷺ طعاما قط: وما اقترح على أهله أن يصنعوا له طعامًا أبدًا، إذا أُحضر الطعام إن أعجبه أكل ما تيسر، وإن لم يُعجبه تركه وما عابه، ما يقل: هذا ملح، هذا ما فيه كذا، وهذا فيه كذا، كما يفعل بعض الناس.

لما ذهب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لاستلام مفاتيح بيت المقدس من النصارى، ذهب بثوبٍ مُرقعٍ ما عنده غيره، ثوب مشقق ومرقع، هذا ثوبه، ما يتكلف هو، ومشى على قدميه، لما أقبل على بيت المقدس تواضعًا، فأشار بعض الصحابة أنه يلبس ويتهيأ ويصير في أبهة، ولم يرض عمر ذلك، فلما أقبل قال النصارى: هذا الذي نجد وصفه في كتابنا، أنه يسترد بيت المقدس، لو جاء بغير الهيئة هذه ما عرفوه، لقالوا: لا ما هو، فلما انتهى، كان جاء معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في موكبٍ، في أبهةٍ، أراد أن يظهر أمام الروم بمظهر العز والغنى؛ سياسةٌ من معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعند عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عدة أمراء في الشام، كل جهةٍ لها أمير، كلهم حضروا بيت المقدس، فلما أراد عمر أن ينصرف ضيفًا مع أحدهم، مَنِ اختار؟ اختار أبا عبيدة بن الجراح، قال: أروح معك، قال: ليش تروح معي؟ تروح معي تُعَصِّر عينيك تبكي إذا شفت اللي عندي، يعني

لماذا ما رحت مع الأخرين؟ قال: لا؛ أذهب معك، فلما دخلا بيت أبي عبيدة، جاء بكِسر خبزٍ وماءًا، فبكى عمر، قال: أما قُلْتُ لك تُعَصِّر عينيك عندي، فعمر بكى لزهد أبي عبيدة وقناعته، قال له: هذا قوتك، قال: نعم، قال: ليش هذا قوتك؟ قال: هذا يُبلغنا المقيل، يعني يوصلنا للآخرة، المهم: أنك تجعل في المعدة أي شيء عشان تكون قويًّا للطاعة، هذا المعنى يعني؛ لأنه إذا خَوَت ثَوَت، وضعف البدن، قال: هذا يُبلغنا المقيل يكفي، لكن عمر لماذا اختار أبا عبيدة؟ لما يعلم من زهده، وأنه أمين الأمة، ليش؟ لأنهم تربوا في بيت النبي ﷺ وتحت إشرافه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، عَلَّمَهُم هذا الهَدي. **نعم**.

٦٤٥٧ - حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، قَالَ: كُنَّا نَأْتِي أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، وَخَبَّازُهُ قَائِمٌ، وَقَالَ: كُلُوا، فَمَا أَعْلَمُ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَغِيفًا مُرَقَّقًا حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ، وَلاَ رَأَى شَاةً سَمِيطًا بِعَيْنِهِ قَطُّ.

الشرح:

أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أصاغر الصحابة، وعاش في بيت النبي ﷺ يخدم النبي ﷺ عشر سنين، ورأى من زهد النبي ﷺ، ومِنْ كرمه وجوده عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن عبادته، ومن حسن المعاشرة، فهو خِرِّيج بيت النبي ﷺ، وكان له في البصرة في آخر عمره، أقام هناك يُعَلِّم الناس، كثيرٌ من الصحابة تفرقوا في الأمصار عشان ينشروا الدين وبيان السنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فهو معدودٌ من البصريين، وأُمُّه لما كان يخدم النبي ﷺ قالت يا رسول الله: أدعو لأنيس، فدعا له النبي ﷺ، ومن ذلك أنه دعا له بالبركة، يقول: إني دفنت -والجارية الخادمة عندي، تقول لي، وأنا نسيت كبرت سني وبدأت أنسى -: تقول لي أني دفنت من صلبي مائة نفسٍ من ذريتي؛ لأنه عاش إلى المائة، فتقول: دفنت من صلبي مائة نفس، هذه من البركة في الذرية، ويقول: إني عندي نخلٌ يُثمر في السنة مرتين، يطلع مرتين في السنة، خصوصية له، ويقول الراوي أن الخباز قائم يخبز، والناس يأتون إليه. **نعم**.

وَقَالَ: كُلُوا، فَمَا أَعْلَمُ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَغِيفًا مُرَقَّقًا حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ، وَلاَ رَأَى شَاةً سَمِيطًا بِعَيْنِهِ قَطُّ.

يعني: ما رأى رغيف بر وميدم (٢)، كان قوتهم الشعير .**نعم**.

(٢) ميدم: يعني جعل في أدم، وهو ما يكون من مرق أو زيت يجعل فيه الخبز حتى يصبح لين.

وَقَالَ: «كُلُوا، فَمَا أَعْلَمُ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَغِيفًا مُرَقَّقًا حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ، وَلاَ رَأَى شَاةً سَمِيطًا بِعَيْنِهِ قَطُّ.

يعني: ما حطوا مفطح، جاب اللحم وقطع ويوزع عليهم على حسب الحاجة، محطوط سماط، محطوط على خوان. **نعم**.

٦٤٥٨ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نُوقِدُ فِيهِ نَارًا، إِنَّمَا هُوَ التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنْ نُؤْتَى بِاللُّحَيْمِ.

الشرح:

يعني: يُهدي إليه اللحيم، أو اللبن. **نعم**.

وهذا يعني في الجملة، وإلا في حديث وفد بني المُنتفق، يقول: أتينا النبي ﷺ فلم نجده، فقَدَّمت لنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حيس؛ تمر مجعول في سمنٌ أو كذا، فأكلنا، وذهبنا نلتمس النبي ﷺ، وسألنا: وين راح؟، قالوا: الجهة هذه، فذهبنا، فلقينا النبي ﷺ، وسلمنا عليه ورحب بنا، قال: «**هل أكلتم**؟»، قلنا: نعم، قدمت لنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كذا وكذا، فرجعنا مع النبي ﷺ، فلحقنا الراعي معه بَهْمَةٌ توه مولودة، فقال: يا رسول الله نتجت فلانة، الشاة الفلانية ولدت، وهذا هو ولدها، فقال: «**اذبح مكانها**»، اذبح بدالها واحدة، ثم التفت إلينا وقال: إن لم نذبحها من أجلكم، ما يتزينوا ويتفاخروا، ولكن عندنا مائة بهمة فإذا نتجت واحدةٌ ذبحنا واحدةً، لا نحب أن تزيد، فهذه فترة من الفترات فقط، وهذه تُذبح وتُقسم، كم من الأبيات، وكم من ضيوف، وكم من فقراء الصفة، وكم ...**نعم**.

٦٤٥٩ - حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ الأُوَيْسِيُّ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ، فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ فَيَسْقِينَاهُ.

الشرح:

هذا يدل على قلة ذات يد النبي ﷺ، في جملة الأحوال؛ لأنه لا يُبقي شيئًا يدخره لغدٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لزهادته في الدنيا، ورغبته فيما عند الله ومحبته، يفضّل أن يُحسن إلى الناس، فتقول نرى الهلال مرتين، الشهرين يعني، ما أُوقد في بيت الرسول ﷺ شيءٌ للطبخ، قال: ما يُعيشكم؟ ما تأكلون؟ قالت الأسودان: التمر والماء، وهو ما هو أسود، ولكن تغليبًا يعني، مثل ما يقال العمران لأبي بكرٍ وعمر، القمران للشمس والقمر تغليبًا، التمر والماء، هذا فقط.

ويقول ﷺ: «**بيت ليس فيه تمر، أهله جياع**»، وأحيانا الناس ما يأكلون التمر، ويَعِيبون الاقتصار عليه، وإذا لم يأكلوا اللحم كل يومٍ، ما يعتبرون أنهم شَبعوا، وهذا خطأٌ، فالتمر لا بد منه، تربية على تَغَيُّر الأحوال، أن الناس يعيشون عيشة الفقراء في بيوتهم في بعض الأحوال، حتى يتذكروا؛ لا يغتروا بالدنيا، حتى يتذكروا حال إخوانهم الفقراء، يصير يوم ما فيه إدام للغداء والعشاء، يصير يوم ما فيه تنوع، يصير نوع واحدٍ صنف واحد بس، يصير يوم الإنسان يترك الغداء، يترك العشاء، يتركهم كلهم، حتى أنه يحول الدنيا عن نفسه، وحتى يتذكر غيره ممن لا يجد، وحتى يتذكر أحوال النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، فيكون فيه منهجٌ لنفسك، ولِمَن تحت يدك، اجعلهم يحسون فَقْدَ الشيء حتى يعرفوا قدر النعمة، بالإقناع والتوجيه

المُؤَدَّب والهادئ، ما هو بالتسلط والحرمان، لأ، ما يشعروا بالحرمان، تقول: نعيش عيشة القوم، كذا وكذا، أحسن. **نعم**.

الحين الواحد من طلبة العلم اللي يَدْرُسون واللي يُدَرِّسون، الواحد إذا أراد يخرج، كأنه طاووس في اللباس، ليش هذا؟ يوميًّا يُغير الثوب، ليش هذا؟ أما لك في رسول الله ﷺ أسوة حسنة؟!

النبي ﷺ كان يخرج بالثوب يُصلي وبُقع الماء فيه؛ لأنه فيه نقط مني، يغسل إذا كان رطب، وتفرك إذا كان يابس، ما عنده إلا ثوبٌ واحد، «**أولكلكم ثوبان؟**»، فأنت عندك الثياب - الحمد لله - لكن لا تجعل هذا منظرك الدائم والغالب، لا يكون همك الملابس، وهمك المنظر والمظهر، لأ، نعم؛ إن الله ﷻ يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، لكن لا يكون هذا المنهج، أن واحد دائمًا يلبس جديدًا، يلبس أول النهار وآخر النهار، يلبس كل يوم ثوب، لا، يُعود نفسه التواضع الاختياري، ويُعود نفسه على التواضع لله، يُعود نفسه عدم الظهور، ما يَكْسر نفوس الفقراء، يُجَرِّب الحال هذه، التقشف والتزهد الاختياري، يكون متوسطًا في هيئته بين الناس، ما يكون شهرة، لا في رداءة اللبس، ولا في فخامة اللبس، كن وسطًا، والأمور الكمالية: الكَوْي وكذا ما يلزم، لازم يلبس طقم: ثوب والشماغ والنعال طقم يُطَقِّم، ليش هذا؟

وإذا كان هذا يُحتمل من العامة، ومن أوساط الناس، ومن الفُسَّاق وغيرهم، لكن طالب العلم والأُسوة ما ينبغي له هذا، فيكون عنده يعني شيءٌ من التواضع، وشيءٌ من مراعاة الأحوال، وشيءٌ من التأسي بالنبي ﷺ، النبي ﷺ مشى حافيًا ومنتعلًا، عنده حذاء ومع ذلك كان يمشي حافيًا.

ويش يضر لو أنك لبست الثوب يوم الجمعة ولا خلعته للجمعة الثانية، ويش يضر!

أنت اشتغلت بالغنم، ولا تشتغل مع الطين، ولا تشتغل بشيء! ويش اللي وسخ الثوب! ما في شيء يدنس الثوب إلا نادرًا، هذا مع النظافة، تروش، اغتسل بالصابون، بالشامبو، بكذا، تطيب، ويش المانع، لكن المظهر يكون فيه شيءٌ من التواضع، عود نفسك، واجعل من رآك يتواضع.

و«**خير عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله**»، يكون بعض الناس يُعنى بهذا أن يَظهر بمظهر الطواويس، ومظهر أهل الترف، الله ﷻ ذم المُترفين، وبَيَّن أنهم أعداء الرسل في الجملة، تظهر بمظهرهم؟ مظهر المتكبرين اللي يجر إزاره تكبرًا وتعاظمًا؟، ترى بعض الناس الآن يمشي وثيابه لها وشوشة من الفخامة والتكلف، ليش هذا! ﴿إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ٣٧ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا﴾ [الإسراء: ٣٧ - ٣٨] ، فينبغي على الإنسان أن يتعود على الأمور هذه، فهذا مهمٌّ.

وليش ذُكِر هذا الباب في كتاب الصحيح: الرقاق؟

ذِكْرُ الأخبار التي تُرقق القلوب، وتُلين الطباع، وتُزَهِّد في الدنيا، وتبعث على التقلل منها، وتُرَغِّب في الآخرة، وتبعث على الجد في طلبها وفي التهيؤ لها، وبُغض الشواغل عنها وهَجْرها، هذه الغاية، ما تُذكر على وجه التندر والتفكه، لأ، للعبرة والعظة، للعلم بالسيرة، والاتباع للنبي ﷺ على ما كان يفعل، من غير تكلفٍ؛ توسط، يكون الثوب نظيف ولا يكون فخمًا، تكون الهيئة نظيفة ومقبولة ولكن ما يصير فيها تكلفٌ وأغلى شيء!، ما يصير هذا، ما يصير دائمًا على المظهر هذا، فيتعود. **نعم**.

٦٤٦٠ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا**».

الشرح:

الكفاية يعني، قوتا: يعني الكفاية.

هذا دعاء النبي ﷺ لأهله، القوت.

وفي الحديث: «**اللهم قنعني بما رزقتني، وبارك لي فيه**»، يكون على قدر الحاجة.

قال ﷺ: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة**».

وفي الحديث: «**رب اغفر لي ذنبي، ووَسِّع لي في داري، وبارك لي في رزقي**»، كان يقوله ﷺ وهو يتوضأ، أو بعد الوضوء، فهذا من الذكر المأثور، وفيه: «**واجعل أوسع رزقي عند كِبَر سِنِّي**»، لأنه في حالة الشباب والقوة قد يَطْغى إذا اتسع الرزق، لكن عند كِبر السن حتى يُكفى، ولا يَمُنُّ الناس عليه، يكون الفضل له على الناس. **نعم**.

بَابٌ الْقَصْدُ وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْعَمَلِ

الشرح:

يعني الاقتصاد، عدم التكلف، والقناعة باليسير من الدنيا، واجتناب السَّرَف، والاجتهاد بالعمل الصالح بالثبات عليه والمداومة عليه ما أمكن؛ لأن عمل النبي ﷺ كان دينه، يُخبر أن «**أحب العمل إلى الله ﷻ أدومه وإن قل**».

وكان إذا عمل عملًا أثبته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وقد يترك العمل أحيانًا مخافة أن يُفرض على الناس، أو مخافة أن يَقْتِدي به بعض الناس، فيَشُق على نفسه، فيكون تَرَكَ العمل وهو يُريده ويُحبه، لكن من أجل الناس؛ حتى لا يكون سببًا في المشقة عليهم، إما في التشريع، أو في التطبيق منهم، فيتركه؛ من النوافل يعني؛ ويعطيه الله أجره على نيته، وحتى أن النفس تأخذ استجمامًا؛ ما تمل أو تسأم. **نعم**.

٦٤٦١ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَشْعَثَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ مَسْرُوقًا، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَيُّ العَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَتْ: الدَّائِمُ. قَالَ: قُلْتُ: فَأَيَّ حِينٍ كَانَ يَقُومُ؟ قَالَتْ: كَانَ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ.

الشرح:

الله المستعان.

الصارخ: الديك، والديك يصرخ أول ما يصرخ، يسمونه أذان، الساعة الحادية عشرة تقريبًا، في الصيف يكون قبل هذا: الساعة عشرة أو تسعة؛ لأنه ﷺ كان ينام بعد العشاء مباشرةً، كان يكره النوم قبلها، والحديث بعدها، إلا فيما لا بُدَّ منه، مثل السمر مع أهله بعض الوقت، يسمر مع أهله ساعة، والساعة جزءٌ من الزمان حسب الحاجة؛ قد يكون عشر دقائق، وقد يكون ربع ساعة، وقد يكون نصف ساعة، وقد يكون ساعة، حسب الحاجة.

فالمقصود أنه كان ما يسهر عليه الصلاة والسلام إلا في أمرٍ لا بد منه، إما للسمر مع أهله، أو مع الضيف إذا طرقه ليلًا، أو في أمرٍ عامٍ للمسلمين، من أمر الجهاد ونحوه، يسهر مع أبي بكر وعمر وغيرهم لاتخاذ ما يلزم اتخاذه.

المهم كان ينام أول الليل، وهم يصلون في الثلث الأول من الليل؛ لأنهم كانوا يتعشون قبل صلاة المغرب؛ كما قال أنس رضي الله عنه: كانت الجزور لتُنْحر -يعني بعد صلاة العصر-، يشتركون فيها، فتُقْسَم قِسمًا، كل واحدٍ له ما يشمل ملء اليد منه، وتُطبخ، ويأكل الناس لحمًا نضيجًا قبل المغرب، قبل غروب الشمس، يعني هذا في الصيف، طول الوقت بين العصر وغروب الشمس في الصيف.

وفي الحديث: «**إذا حضرت الصلاة**» يعني المغرب، «**وحضر العشاء، فابدؤوا بالعشاء**»، قبل أن تصلوا المغرب، فكانوا يتعشون قبل صلاة المغرب.

وأنا أدركت الناس على هذا، كان الناس يتغدون قبل الظهر، من كون الإنسان يدخل على أهله ويقول: هل عندكم غداء، الساعة إحدى عشر، ويتعشون قبل المغرب.

وهذا أصح ما يكون، وأعون على قيام الليل، فالإنسان ما ينام وهو شبعان.

فهذا للعلم يعني، منذ عهد النبي ﷺ إلى زمنٍ قريبٍ إلى قبل خمسين سنة أو أزيد، كانوا هكذا يتعشون قبل المغرب، أنا أردت أبين لكم تطبيقات السنة كيف، هذه حالهم.

يعني ما عندهم بالليل كهرباء وسُرج وإضاءة، ولا عندهم أشغال، فهذه الحال قبل المغرب.

بعد المغرب الناس أحد قسمين، صنفين من الناس، أهل المدينة:

صنف أهل تجارة وضَرْب في الأسواق، بيع وشراء.

وصنف أهل حَرْث، زراعة يعني، كلهم عندهم ماشيةٌ، يصير الواحد عنده شاة، شاتين، عنده بقرة، ناقة، منيحة، فالماشية تُرْعَى في البر، يكون فيه راعي، والحرث يحتاج إلى أدوات سُقيا؛ إخراج الماء من الآبار، عُدَّة: حبال وبكرات وغيرها، والحبال في الجملة تُصنع من جلود الإبل، تُقَدَّد السيور وتُطوى، تُمد وتُيبس، تُمد في الشمس، أقوى شيءٍ هذا، وحبال تُنْسَج من الليف وغيرها، والذي يُخْرَج به الماء من البئر يسمونه الدلو، في الغالب أنه يصنع من الجلود، ما عندهم غيرها، ما فيه مادة ثانية، يصنع من الجلود، جلود الإبل والبقر، وأما جلود الضأن فهي تُجعل أسقية، تُجعل فيها العسل واللبن والماء.

بعد المغرب: **أهل الحرث** يشتغلون في أدوات الحرث، يَجْمَعُونها ويَطوونها ويُنشفونها ويحفظونها عن الثعالب وعن الجُرذ، لا يُفسدها عليهم، يكون عندهم شغلٌ.

أهل الماشية تحضر ماشيتهم، تَرُوح عليهم في آخر النهار، تأتي قُبيل المغرب، قد تأتي أحيانًا بعد المغرب، فيشتغلون بها، فالذي يَحْلِب يَحْلب، والذي يُرضع البهائم من أمهاتها كذا، والذي يتفقد، والذي يذبح إذا كان عنده ضيفٌ، ما فيه إلا كده.

فيشتغلون بعد المغرب، فأُعطوا مهلةً من أجل أن يفرغوا من أشغالهم، ويتهيؤوا للنوم، فمُدَّ الذي بين المغرب والعشاء كانوا يُصَلُّون ما يقارب ثلث الليل وهو الأفضل، هو الأفضل هذا، لما فيه من فضل صلاة ثلث الليل، أن أفضل من أول وقتٍ؛ خاصةً بالعشاء، وإلا القاعدة: أن أول وقتٍ أفضل في الصلاة في الجملة، لكن هذه العشاء خلاص، هذه فضيلةٌ تُتحرى.

والثانية: أنهم لهم مصالح في التأخير؛ لأنه لو قُدِّمت صلاة العشاء، اشتغلوا بعدها في أُمورهم هذه، ثم سهروا، وصار مظنة التفريط في الفجر، فلذلك مُدَّ في العشاء، أُخِّرت صلاة العشاء على تفاوتٍ بحسب الحال، كان ﷺ إذا رأهم بكَّروا بَكَّر بالإقامة، وإذا أبطأوا تَأَخَّر وانتظر؛ لأنهم أهل مِهَنٍ وأشغال، فهذا من الحكمة.

فالمقصود أنهم ما ينامون إلا بما يُقارب الساعة ثمان أو تسع، فإذا ناموا ساعتين أو ثلاث، يَسهل الإقامة؛ أَذَّن الديك، يعني يَسْمع الصارخ، فكان ﷺ يقوم ويُصلي، يتوضأ وينظر في السماء ويقرأ الآيات من أواخر سورة آل عمران: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:١٩٠]، ويُصلي، ثم ينام، حتى يُسمع له غطيط؛ شخير يعني؛ نفخ، ويَستيقظ، ويتوضأ، وينظر في السماء، ويقرأ الآيات، ويُصلي، وينام، يفعل ذلك ثلاثًا، فصلى من أول الليل، ومن وسط الليل، ومن آخر الليل ينتهي وتره ﷺ.

فهذا هو الشاهد: إذا سمع الصارخ، ما يقارب: ها الحين عشر، والصيف قد يكون أقل.

نعم.

٦٤٦٢ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.

٦٤٦٣ - حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ**» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا**».

الشرح:

يعني: اعملوا وداوموا على العمل بدون تكلف.

فمثلًا: إذا إنك عرفت فضل صلاة الضحى، وأنها صلاة الأوابين، وقد قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء:٢٥]، وبيَّن النبي ﷺ ركعتين من الضحى تعدل ثلاثمائة وستين صدقة، التي من أداها في يومٍ أمسى وقد زحزح نفسه عن النار.

وفي الحديث أن الله تعالى يقول: «**يا ابن آدم، صل لأول النهار أربع ركعات أكفك آخره**».

وهي تصادف غفلة، صلاةٌ في وقت غفلةٍ من الناس؛ هذا العمل يحبه الله ﷻ، الذي يكون في وقت غفلة الناس يُحبه الله ﷻ؛ لأنه يدل على تعلق القلب بالله ﷻ، وأن الدنيا وما فيها لم تشغل الإنسان عن الله تعالى؛ الصلاة من الضحى، والصلاة بعد الظهر بين الظهر والعصر، وصلاة الليل، والناس ما بين ساعٍ في مصالحهم، وما بين لاهٍ ولاعبٍ ونائمٍ، يكون الإنسان متعلق القلب بالله، حي القلب، يَقِظ، والمقصود أنك إذا عرفت فضل صلاة الضحى، لا تتركها أبدًا، إلا في حال استجمامك، أنك تُرَيِّح النفس حتى لا تمل وتسأم؛ ومع ذلك يكون قلبك معلق بها، يعطيك الله الأجر؛ لأن أحب عمل إلى الله أدومه وإن قَلَّ، لكن أنت اشتغل في

نَفْسِ عدد الركعات، لأن أقل صلاة الضحى ركعتان، وأكثر ما حُفِظَ من فعل النبي ﷺ ثمان ركعات، ورُوي عنه ﷺ في حديثٍ فيه ضعف، لكنه في الفضائل: «**من صلى من الضحى اثنتي عشرة ركعة، بُنِي له بيت في الجنة**».

وصح عن علي في «المسند» أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتين بعد طلوع الشمس، وأربعًا إذا اشتد النهار إذا اشتد الظهر، ست يعني.

فعرفت فضيلة هذه الصلاة، لا تتركها: مرةً تُصلي ركعتين قبل ما تظهر من المسجد بعد طلوع الشمس، وإن كنت مُتَفَرِّغ البال مثل يوم جمعة أو يوم كذا السبت عطلة، صل أربع ركعات، وإذا أنك ذهبت لحاجتك أو نِمت، وقمت من الضحى، صل أربع ركعات ثانية، وإذا صرت قبيل الظهر، صل أربع ركعات ثالثة، يصير لك اثنا عشر ركعة.

في يوم من الأيام: عندك جامعة أو عندك دوام أو عندك كذا، صل ركعتين يكفي.

أحيانا تجعل نصيب من الصلاة في المسجد، ونصيب في البيت؛ لأن النبي ﷺ قال: «**اجعلوا صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا**» وفي رواية: «**إن الله جعل في بيت المرء من صلاته نورًا، أو قال خيرًا**».

فيكون عندك التفاوت في مسألة عدد الركعات، تارةً ركعتين، وتارةً أربع، وتارةً ست، وتارةً ثمان، وتارةً اثنى عشر، وتارةً تتركها كليًّا لإجمام النفس، يعني بالشهر مرةً، بالشهرين مرةً.

واجعل الترك للظروف -على ما يقولون-، إذا صرت يومًا مشغول، يكون تركك لصلاة الضحى من أجل الشغل واستجمام للنفس، تغييرٌ فقط، لكن لا تُفَوِّت بحجة هذا: أنه لا يُدوام على النافلة، ما هو من التشريع، هذا في وقت النبي ﷺ.

وأيضًا: النبي ﷺ يخشى أن يَقتدي به الناس فيُشق عليهم، حتى في السواك قال ﷺ: «**لولا ان أشق على أمتي، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»، وفي رواية: «**عند كل وضوء**».

من رحمته ﷺ بالأمة، لكن أنت أيش علاقتك بهذا؟!، إذا كُنْت أسوةً لغيرك، تتركها بعض الأحيان حتى يفهمون أنه ما هو مؤكد، لكن لا تُفَوِّت على نفسك الفضيلة، تَلْعَبْ على نفسك؛ لأن أحب العمل إلى الله أدومه، وكان النبي ﷺ عمله الديمة، كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا عمل عملًا أثبته، يداوم عليه، وعُرِف به، وصار كأنه سجيته، هذه سنةٌ.

من يتركونه؛ يقولون: كذا للاستجمام، وكان النبي ﷺ يتركه لأنه نافلة، هذا تراخي؛ كَسَلٌ، تعذيرٌ للنفس وهوى؛ لأن أحب العمل إلى الله أدومه، خُذِ الحديث هذا -ما ذاك-: كان عمله ﷺ ديمًا، كان إذا عمل عملًا أثبته.

ثم أنت اذكُر مفاجئة الأجل، تدري كم باقي لك من العمر.

مَرَّ النبي ﷺ على قبرٍ حديث الدفن، قال: «**قبر من هذا؟**» قالوا: فلان التاجر، قال: «**والله لركعتين أو قال ركعتان أحب إلى صاحبكم من الدنيا وما فيها**».

والعوام يقولون: تترك الشيء عين وتطلبه دين.

بإمكانك الصلاة؛ صل ها الحين، وخل ترك الصلاة في بعض الأحوال النافلة عند العجز، عند الشغل، عند الكسل، عندك الطارئ، تتركها أحيانًا ونفسك فيها؛ إجمامًا للنفس، هذا هو.

لكن تصير بطَّال وكسلان، وتقول: هذا سنة عادي، سنة ما يحافظ عليها!

جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه كان يصوم حتى نقول لا يُفطر، ويُفطر حتى نقول لا يصوم، كيف؟!

كان ﷺ الأصل أنه يصوم:

يصوم الاثنين والخميس، ورَغَّب في صيام البيض، فيصوم ما شاء الله، إذا شُغِل عن الصوم، أو دعا داعي للفطر أفطر، مثل ما قُلت: أنه يُصبح صائمًا وهو جائعٌ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإذا وجد غداءً أفطر، قال: كنت صائمًا أصبحت صائمًا، فإذا أفطر قضى ذلك اليوم، وربما أنه يصوم -مثلًا- الاثنين والخميس، فيُفطر لداعي: عنده وفد، عنده أضياف، سافر في غزوة، فيُفطر، فإذا أقام صام قضاءً، فإذا كان كل أسبوع يصوم يومين مثلًا، كم يصوم في الشهر؟ ثمانية أيام، سافر شهر إذا رجع صام الثمان أيام.

فكان يصوم حتى نقول لا يُفطر، ويُفطر إذا كان فيه شغل، فيه عذر، فيه كذا؛ داعٍ يحمل على ترك الصوم، حتى نقول لا يصوم، فكان إذا ترك النافلة قضاها عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، الصلاة أو الصوم أو غير ذلك، واضح.

لأن كثيرًا من الناس اليوم من طلبة العلم الآن، فيهم كَسَلٌ، ويُبررون كسلهم، ويُشرعون للناس الكسل وهم ما يدرون، أعطيكم أمثلة:

يعني أنتم سمعتم مثال في الصوم، أنه كان يُفطر ثم يقضي الصوم، ولا لأ؟، فهمنا هذا جلي.

الصلاة: شُغِلَ ﷺ في وفدٍ من الوفود عن سُنَّة الظهر الراتبة، فلما ذهب الوفد، وصلى النبي ﷺ العصر، ودخل بيته بعد صلاة العصر، صلى ركعتين في البيت على غير عادة، أول مرة، شوف الحزم كيف، أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عندها نساء مشغولة في البيت، ورأت النبي ﷺ يُصلي على غير العادة، فقالت للجارية: اجلسي عنده وهو يصلي، فإذا سَلَّم قولي: تسألك أم سلمة، تقول ما هاتان الركعتان اللتان صليتهما؟ لا تفوت عليك، فقال: «**هما الركعتان اللتان بعد الظهر، شغلني عنهما وفد كذا، فصليتهم الساعة**».

طيب: صلى بعد العصر لأول مرة، قضاءً لسُنَّةٍ فائتة -يا كسلان-! وفائتة ما هو كسل، لعذر؛ مشغول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، بعد ذلك أَثْبَتَها، كان يُصلي كل يومٍ بعد العصر ركعتين، إذا عمل عملًا أثبته.

واختلف أهل العلم - رحمهم الله - في هذه المسألة: هل بعد صلاة العصر سنة راتبة؟

والمقرر: أنه ليس بعدها سنة راتبة، لأنه وقت نهي.

طيب: لماذا النبي ﷺ حافظ على الركعتين بعد العصر؟

لأنه كان إذا عمل عملًا أثبته ﷺ، والصحابة أن هذا غير وقت صلاة، لكن هذا لعذرٍ.

وبعض أهل العلم قال: يُصلى بعد العصر ركعتين، لكنه مرجوح القول هذا.

فإذًا النبي ﷺ يقضي نافلة الصوم، ويقضي نافلة الصلاة.

تعال لنافلة العمرة: أَمَا ذهب النبي ﷺ عام ست للعمرة؟! وصدته قريش عن دخول مكة، وجرى ما جرى من الصلح، كان من بنود الصلح أن يرجع النبي ﷺ، لا يعتمر من عامه هذا، ويعتمر العام القادم، فالنبي ﷺ اعتمر عام سبع، وسُمِّيت عُمرة القضية، ليش سميت عمرة القضية؟

المشهور: لأنهم قاضوا قريشًا على بُنود الاتفاقية، يعني طالبوهم بالتنفيذ؛ رجعنا من عامنا فاسمحوا لنا في العام الجاي، وفعلًا فتحوا له المجال، اعتمر النبي ﷺ وأصحابه، فهذا قضاء للعمرة.

العمرة فيها خلافٌ في وجوبها؛ لأنها حجٌّ أصغر، فجمهور أهل العلم على أنها سنةٌ، ما هي واجبةٌ، وذهب جماعةٌ من أهل العلم -خاصة المحدثين-، إلى أنها واجبةٌ كالحج مرةً في العمر، والمسألة في خلاف ونزاعٌ بين أهل العلم، لكن أن الراجح هذا هو.

فالنبي ﷺ قضى عمرة الحديبية، مع أنها نافلةٌ، وإذا كانت واجبةً على النبي ﷺ، فهي ليست على الجميع، فكُلُّ الصحابة الذين حضروا صلح الحديبية اعتمروا في القادم.

لو قُلت أنها واجبة على النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ ما نادى وقال: من حَضَر معنا يروح عام سبع في القضية، لا.

فهذا منهج: الإنسان يحافظ على النوافل، وإذا فاته شيءٌ يُمكن قضاءه يقضيه، مثل أنك لو كنت صائم يوم الاثنين، ودعاك صديقك أو زميلك أو جارك لمناسبة عنده؛ غداء، ولم تَطِب نفسُه إلا أن تأكل، فأنت تُفطر وتقضي عنه.

هذا منهجٌ عظيمٌ: يجتمع للمرء فيه عملٌ كثيرٌ مباركٌ فيه؛ لأن الدائم ولو كان قليلًا فهو كثيرٌ، والكثير المنقطع قليلٌ، يكون هذا منهج المسلم: فالأذكار: الصباح والمساء، وعند النوم تحافظ عليها، نوافل الصلاة في الليل والنهار تحافظ عليها، نوافل الصدقة تحافظ عليها، نوافل الصوم تحافظ عليه، نوافل العمرة والحج تحافظ عليها، وهكذا، يكون عندك منهج، قد تحافظ على ما تهوى من اللباس، والباقي ما يهمك، غلطٌ، فالمحافظة على اليسير يُصبح كثيرًا، يُوجد الله فيه بركة، ويحمد الإنسان عاقبته في الآجلة والعاجلة، والغفلة والتواكل والكسل وتبرير الكسل بالدِّين واتباع السنة، فهذا من خداع النفس، والتغرير بها، ما ينبغي، اجعل تركك في صلاة الضحى -مثل ما يقولون- للظروف الطارئة، شُغلت يوم ما تصلي، لا تكون قاصدًا هذا، تستجم بترك الصلاة بشغل، هذا اللي ينبغي للإنسان، هذا من الجد.

الجَـــدُّ بالجـــدِّ والحِرمـــانُ في الكَسَـــلِ   فانصـــبْ تُصِـــبْ عـــنْ قريـــبٍ غايـــةَ الأمـــلِ

الإنسان صادقًا مع نفسه، ما يتبع نفسه هواها.

والـــنفس كالطفـــل إن تُهملـــه شَـــبَّ   علـــى حـــب الرضـــاع وإن تفطمـــه يـــنفطم

عود النفس على الجد والحرص.

والله عَزَّ وَجَلَّ وصف أهل الإيمان بأنهم يستبقون في الخيرات يسارعون في الخيرات.

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**بادروا بالأعمال**»، هكذا ينبغي.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

الدرس الخامس

الشيخ لم يطلع عليه بعد.

الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لشيخنا ولنا وللمسلمين وللحاضرين.

الشيخ: ولوالدينا.

القارئ: اللهم اغفر لشيخنا ولنا ولوالدينا وللحاضرين وللمسلمين.

قال الإمام البخاري – رحمه الله تعالى – في صحيحه : **كتاب الرقاق**، في :

بَابُ القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ

٦٤٦٤ – حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**».

٦٤٦٥ – حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: «**أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**» وَقَالَ: «**اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ**».

٦٤٦٦ – حَدَّثَنِي عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أُمَّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، قُلْتُ: يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ، كَيْفَ كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ، هَلْ كَانَ يَخُصُّ شَيْئًا مِنَ الأَيَّامِ؟ قَالَتْ: لاَ، كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيُّكُمْ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَطِيعُ.

٦٤٦٧ – حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الزِّبْرِقَانِ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لا**

يُدْخِلُ أَحَدًا الجَنَّةَ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«وَلا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»**.

قَالَ: أَظُنُّهُ عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ.

وَقَالَ عَفَّانُ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«سَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا»**.

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء:٩]: وَسَدَادًا: صِدْقًا .

٦٤٦٨ - حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ المُنْذِرِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ هِلاَلِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَلَّى لَنَا يَوْمًا الصَّلاَةَ، ثُمَّ رَقِيَ المِنْبَرَ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ قِبَلَ قِبْلَةِ المَسْجِدِ، فَقَالَ: **«قَدْ أُرِيتُ الآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمُ الصَّلاَةَ، الجَنَّةَ وَالنَّارَ، مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قُبُلِ هَذَا الجِدَارِ، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ»**.

الشرح: الحمد لله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وصحبه وسلم.

أما بعد:

ففيما سمعتم من الأحاديث فوائد:

الأول: أن العمل ليس ثمنًا للجنة والثواب، بل هو سببٌ، الإيمان والعمل الصالح سببٌ لرحمة الله.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [التوبة:٧١]، فعَدَّد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمهات الأعمال التي عليها المؤمنون:

أولها: الإيمان.

والثاني: التحاب في الله ﷻ والتوالي؛ الولاية؛ يحب بعضهم بعضًا، وينصر بعضهم بعضًا، ويبغضون الكفر والكافرين، ويهجرونه ويُقاتلونه إذا قدروا.

والثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والرابع: إقام الصلاة.

والخامس: إيتاء الزكاة.

والذي يحيط ذلك كله أنهم: يطيعون الله ورسوله، امتثالًا للأمر بفعله، وامتثالًا للنهي بتركه، قال بعد ذلك: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [التوبة:٧١] .

فهذه الأعمال الاعتقادية والقلبية والقولية والعملية، سببٌ لرحمة الله، ما هي الرحمة؟

قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١]، ثم فصَّل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذه الرحمة فقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٧٢] ، فوعدهم الله ﷻ هذا الثواب الكريم فضلًا منه وإحسانًا، ليس مقابل العمل، لأ؛ العمل سبب للرحمة.

ولذا قال ﷺ فيما سمعتم: «**ما منكم أحدٌ يدخله عمله الجنة**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله! قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة**».

فجعل الله ﷻ العمل سببًا، يترتب عليه مُسَبَّبه وهو الثواب، وهذا يجعل الإنسان ما يُدْلِي بعمله على الله ﷻ؛ لأنك قد تَعْمَل، هل يُتقبل منك؟ هل حققت الإخلاص؟ هل حققت الإصابة؟ بحيث أنك تعبدت بالشرع، هل حققت الإصابة باتباع السنة في الأداء؟ هل سَلِم عملك من المَنِّ والإدلال على الله ﷻ؟ هل سلم مما يحبطه؟ هل سلم من المظالم التي تَذْهب بأجره؟ فأنت تعمل وتُخلص العمل وتجتهد فيه، وترجو الله ﷻ أن يتقبل منك، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حبذا لو أعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تَقَبَّل مني سجدة، فإن الله - تعالى - يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

ولذا قال ﷺ: «**قاربوا وسددوا**»، يعني أخلصوا، واجتهدوا في إيقاع العمل على وجهه الشرعي، موافقًا للشرع في أصل المشروعية، موافقًا للسنة في الأداء والكيفية، مع الإخلاص في القصد والنية، والدوام على العمل، وحسن الرجاء والظن بالله ﷻ، فبهذه الحقوق تنال الخير وتحصل الخير، السداد الإخلاص، والصدق، والمقاربة، الاجتهاد في إيقاع العمل على أحسن وجوهه المشروعة، الإنسان يستحضر موافقة الشرع في أصل المشروعية، والسنة في الأداء والكيفية، وإذا عمل عملًا هداه الله له، فمن شُكره لله ﷻ أن يدوم عليه، حتى يزيده الله من فضله، قال تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم:٧٦] ، دون تكلفٍ، «**اكلَفوا من العمل ما تطيقون**».

فالواجب عليك أن تؤدي الفرائض -ما استطعت-، وأن تجتنب المناهي جملةً، هذا الواجب عليك، والله ﷻ يقول في حديثه القدسي الصحيح يقول: «**وما تقرب إلي عبدي بشيء، أحب إلى من افترضت عليه**»، ثم بعد ذلك تجتهد في النوافل، كما في الحديث: «**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**»، فتتحبب إلى الله ﷻ بنوافل الطاعات بعد الفرائض، يعني مع أداء الفرائض، ما تضيع الفرائض وتشتغل بالنوافل!، لأ؛ فالفرائض هي

رأس المال، والنوافل هي الأرباح، وتتقي ما نهاك الله عنه وتجتنبه، وتحتاط لذلك باتقاء الشبهات، استبراءً للدين والعرض.

فهذا هو المنهاج المستقيم.

فالعمل ليس بكثرته، إنما بحسنه، ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١١٢] هذا الإخلاص، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ هذا هو التعبد لله على وفق المشروعية وعلى السنة في الأداء والكيفية، ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

وفي الحديث الآخر: «**هلك المتنطعون**» المتكلفون.

والإنسان يرفق بنفسه، إذا أدى الواجب الذي عليه، وترك ما نهاه الله عنه، وتاب إلى الله ﷻ مما أخطأ فيه، فيجتهد في النوافل، من نافلة صلاة ، من نافلة صدقة، نافلة صوم، نافلة ذكر، نافلة حج، كذلك صلة الرحم، والإحسان إلى مستحقه، شهود الجنائز، يجمع من هذه ومن هذه ومن هذه، ويسأل الله ﷻ أن يتقبل ويُبارك، فإن الله تعالى لا يُعطي الثواب ثمنًا للعمل، لأ؛ الثواب من عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فضلًا؛ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾ هذا معيار الجزاء ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ [الأحقاف:١٦]، فهذا هو الذي ينبغي للعبد، وأن الأنسان يرفق بنفسه؛ فإذا وجد منها مللًا أو سآمةً يرفق بها، النبي ﷺ نهى أن الإنسان يصلي بالليل وهو لا يدري ما يقول من النوم، لا يدري؛ لعله يستغفر فيسب نفسه، وقد يكون يناجي الله ﷻ بما لا يليق به، فيأخذ قسطه من الراحة ، ويعطيه الله ﷻ على نيته، وإذا نام العبد من أول الليل على نيةِ أن يقوم من آخر الليل ولم يتيسر القيام، كتب الله ﷻ له نيته، وصار النوم صدقةٌ من الله عليه، من فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. **نعم**.

بَابُ الرَّجَاءِ مَعَ الْخَوْفِ

وَقَالَ سُفْيَانُ: مَا فِي القُرْآنِ آيَةٌ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ: ﴿لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [المائدة:٦٨].

٦٤٦٩ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ».

الشرح: هذا الباب فيه بيان أن الإنسان في سيره إلى الله عز وجل يجمع بين الخوف والرجاء؛ فيخاف من الله عز وجل لا أنَّ الله يظلمه، لا، لكن يخاف من عواقب نَوَازع نفسه هو، إن أحسن العمل أُعجب به وأَدَلى به على الله عز وجل، وإن أساء أتاه الشيطان ووسوس له حتى يقنطه من رحمة الله، وكم يفوته من العمل الصالح، وكم يرتكب من القبائح، وكم وكم، ولو عمل الإنسان أبد الدهر لله عز وجل ما قابل نعمةً واحدةً من نعمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نعمة السمع، أو نعمة البصر، أو نعمة الجلد، أو كذا، ولكن الله عز وجل يعفو ويصفح، ويتكرم -جَلَّ وعلا-، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل:١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]، وقال -جل وعلا-: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠]، فعملك ليس شيئًا إذا قُورن بنِعم الله -جَلَّ وعلا- عليك، بل أنت كلك من نِعم الله، فالله هو الذي خلقك، والله الذي أحسن خلقك، والله الذي وهب لك العقل، والله الذي فطرك على عبادته، والله الذي أرسل إليك الرسول

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأنزل عليك الكتاب، والله الذي هداك لتستجيب لرسوله وللكتاب، والله الذي أعانك، إذا صليت وأطلت الصلاة، وإذا تصدقت وأكثرت الصدقة، من الذي أعطاك المال؟، من الذي أعطاك البدن؟، هو الله -جل وعلا-.

لو كنت جائعًا ما استطعت تصلي، لو كنت خائفًا ما استطعت تصلي، فكلك نِعمٌ الله، وفي نعمٍ من الله، فلا تُدلي على الله بعملك، فتخاف من نوازع نفسك، ومحبطات عملك:

إما من جهة تعبد بغير الشرع.

وإما من جهة تعبد بالشرع على غير السنة.

وإما من جهة الإعجاب بالعمل والإدلاء به،

وإما من جهة ما يصدر منك من قولٍ أو عملٍ يحبط عملك.

الذي قال: «**والله لا يغفر الله لفلان، قال الله تعالى: من ذا الذي يتألى علي ألَّا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأحبطت عملك**».

وجاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**»، فتكون على خوفٍ، لهذا الجانب، ومن هذه الاعتبارات.

وتكون على رجاء لما تعلم من حلم الله -جَلَّ وعلا-، من سعة حلم الله -جَلَّ وعلا-، ومن جوده وكرمه، ومن أن رحمته تغلب أو تسبق غضبه، وأن الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أحب إليه العفو والصفح من العذاب والعقوبة والانتقام، ولِما هداك الله -جَلَّ وعلا- له من طاعته، فترجو أن يُتم الله عليك الطاعة، ويتقبلها منك.

فتكون بين الخوف والرجاء:

١ - الخوف من سوء ظنك بنفسك.

٢ - والرجاء من لحسن ظنك بربك.

فهذا هو المنهاج الذي يسير عليه المسلم في حياته.

لكن في أحوالٍ يُغلب جانب الخوف، وفي أحوال يُغلب جانب الرجاء، فما دمت صحيحًا شحيحًا تُغلب جانب الخوف، حتى لا تتمادى مُغترًا بعافيتك، ومغترًا بقُدرتك، ومغترًا بنِعم الله عليك، ومغترًا بإمهال الله لك، مغترًا بشيء من عملك، فغلِّب جانب الخوف حتى يكون حاجزًا لك، ولجامًا عن التمادي والغفلة، التمادي فيما يُقسي القلب وعن الغفلة، فدائمًا في الحال هذه -حال الصحة والرخاء وإتيان الأمور لك على ما تريد- تُغلب جانب الخوف، ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٥ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥ - ١٦].

وفي الأحوال التي يكون فيها ضيقٌ وشبه يأسٍ وخطر من الشيطان ينفذ إلى قلبك، ويوسوس لك أن تقنط من رحمة الله، تُغلب جانب الرجاء، حتى لا تقنط من رحمة الله ولا تيأس من رَوْح الله، فإذا أُصبت بمصيبةٍ أو عرضت لك عُسرة، وضُيق، أو مرض واشتد عليك المرض، أو عايشت النزع عند الموت، فتُغلب جانب الرجاء، حتى تنشط النفس وتَقْوَى، ويَحْسُن الظن بالله -جَلَّ وعلا-، في هذا الوقت الذي فيه نوعٌ من الانقطاع واليأس، وحتى لا تقنط من رحمة الله ولا تيأس من رَوْح الله.

ولذا **قال العلماء** - رحمهم الله -: إن الخوف والرجاء للمؤمن كمثابة جناحي الطير، لا يطير إلا بجناحين، فإذا تأثر جناحٌ ما تحقق الطيران، فهما بمثابة جناحي الطائر، يطير بهما، لكن في حالة الرخاء يُغلب جانب الخوف، حتى لا يطغى، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦ - ٧]، وفي جانب الشدة والعسرة، يُغلب جانب الرجاء، حتى لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من رَوْح الله، هذا هو المنهاج المستقيم. **نعم**.

بَابُ الصَّبْرِ عَلَى مَحَارِمِ اللهِ

وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

وَقَالَ عُمَرُ: وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ.

٦٤٧٠ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَسْأَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَعْطَاهُ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ نَفِدَ كُلُّ شَيْءٍ أَنْفَقَ بِيَدَيْهِ: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لاَ أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**».

٦٤٧١ - حَدَّثَنَا خَلَّادُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ، حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عِلاَقَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ المُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي حَتَّى تَرِمَ، أَوْ تَنْتَفِخَ قَدَمَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**».

الشرح:

الصبر هو لغةً: الحبس.

وفي الشرع: هو حبس النفس عن الجزع على أقدار الله المؤلمة، والابتلاء بالمكاره، واللسان عن الشكوى لغير الله.

ولذلك الإنسان إذا كان مريضًا، وسُئل عن حاله وعما يجد من المرض وكذا، يقول: الحمد لله، إخبارٌ لا شكوى، أُخبرك إخبارًا لا شكوى، لا أشتكي الله عليك، ولكن أخبرك بما أجد، فيحبس النفس عن الجزع، واللسان عن الشكوى لغير الله، وعن أقوال أهل الجاهلية، التي هي مسبة الدهر، والتي فيها الوعاء بالويل والثبور، والتي ظواهرها القنوط من رحمة الله، واليأس من رَوْحه، ومضمونها سوء الظن بالله.

والجوارح عما يخالف الشرع، عن خمش الوجه، ونتف الشعر، وشق الثوب، والتصرف الذي يكون فيه أذى لنفسه، أو لغيره من غير حقٍّ.

وهو ثلاثة أنواع:

الأول: الصبر على طاعة الله -جَلَّ وعلا- بحيث يستقيم عليها ولا يملها ويتركها، خصوصًا الواجبة.

والثاني: الصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يسخطها، ولا يدعو بدعوى الجاهلية، ولا يتصرف تصرف الجاهلية، ولا يُسيء الظن بالله -جَلَّ وعلا-.

والثالث: الصبر عن المحارم، أن يصبر عن ما حرم الله، فلا يتجرأ عليه، ويتعدى حدوده، ولهذا نهى الله ﷻ عن قربان الحدود، وعن تعدي الحدود، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٧]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩] ، في آيةٍ أخرى ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:١]، ما الفرق بين السياقين؟

الفرق أنكم لا تستكملوا أقصى الحلال، غاية الحلال، فماذا؟ لا تستنفذوه، فتقعوا في الحرام، في نهاية الحلال؛ لأنكم إذا وصلتم نهايته، أوشكتم اقتحام الحرام، ولا تأخذوا أول الحرام، الشبهات وما شابه ذلك، فتقعوا في الحرام، اتركوا من الحلال شيئًا، وابتعدوا عن الحرام أصلًا.

لذلك يقولون الصحابة: **كنا نترك سبعين بابًا من الحلال، خشية الحرام.**

وفي الحديث الصحيح: «**فمن اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الحرام، كراعٍ يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا إن لكل ملك حمى، وإن حمى الله محارمه**».

فأَوْجَبُ الصبر هو الصبر على الطاعات وخصوصا الفرائض، يليه: الصبر عن المحرمات.

فالصبر على الطاعات مقصودٌ لذاته، والصبر عن المحرمات مقصودٌ لغيره لحماية الطاعات وحماية النفس من الوقوع في الهلكات، ثم: الصبر على الأقدار المؤلمة.

والله - عز وجل- هو الذي يُعطي الصبر، لا تسأل الله الصبرَ؛ فإنه سؤالٌ للبلاء، لكن اصبر مستعينًا بالله - عز وجل- بأن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون - لو فيه مصيبة-، تصَبَّر، اصطبر كأنك على جمرٍ، فهذا هو المطلوب، ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل:١٢٧]، فاعلم أنك لا يحصل لك صبرٌ إلا بعون من الله ﷻ، فتصبر لله عبادةً، فإن الصبر من أجلِّ العبادات، ولا تُؤَدَّى العبادات إلا بالصبر، ولا تُتْرك المحرمات إلا بالصبر، ولا تُتَّقى الشبهات إلا بالصبر.

ولذا **قال الصحابة** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ : **الصبر من الدين بمنزلة الرأس من الجسد.**

ما فيه أحد يحيى لو فُصل رأسه عن جسده، فكذلك لا دين بلا صبر.

قالوا: وجدنا أطيب عيشنا بالصبر، يعني حُسن العاقبة.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**الصبر ضياء**»، نورٌ من الله ﷻ، فاصبر لله عبادةً، وبه استعانة، على قَدَره موافقة، وتسليمًا لله ﷻ على قضاءه وقدره، أن كله حقٌّ، أما المقدور فما كان من قبيل المسار فلا تخالف الشرع فتحمد الله على ذلك وتشكره، وإن كان من قبيل المضار فتصبر على ذلك وتستعين بالله -جل وعلا-، وما كان من قبيل المعايب فإنك تصبر عنها مستعينا به محتسبًا، وإذا وقعت في شيءٍ من المعايب والمحرمات تتوب إلى الله ﷻ وتستغفر، ما في إيمان إلا بالصبر.

ولهذا قال **الإمام أحمد** رَحِمَهُٱللَّهُ: **ذُكر الصبر في القرآن في أكثر من ثمانين موضعًا.**

يكفي قوله -جَلَّ وعلا-: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦] ، وقوله -جَلَّ وعلا-: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣].

فشأن الصبر في الدين عظيمٌ جدًّا، كل الدين بالصبر، ومن يتصبر يصبره الله، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٧ - ١٢٨]، فتتحلى بالتقوى والإحسان وأبشر أن الله -جَلَّ وعلا- معك. **نعم**.

بَابٌ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [**الطلاق: ٣**]

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: من كُلِّ مَا ضَاقَ عَلَى النَّاسِ.

الشرح:

التوكل أصله التفويض.

ويراد به شرعًا: تفويض الأمر إلى الله -جَلَّ وعلا- ثقةً به واعتمادًا عليه، لحُسن الظن به والطمع بفضله، مع مباشرة ما شَرَعَه الله وأباحه من أسبابٍ لتحصيل المطلوب، واتقاء أو رَفْع المكروه والمرهوب؛ فيكون المرء مفوضًا أمره لله، يجمع بين تعاطي الأسباب، وتفويض الأمر إلى الله -جَلَّ وعلا-، والرضا بقسمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن أصابه ما يَسُرُّه حَمِدَ الله ﷻ وأثنى عليه بما هو أهله وشكره، واستعمل ما أعطاه الله في طاعته، وحَذِر أن يكون سُلَّمًا إلى معصيته.

وإن أصابه ما يضره صبر لله ﷻ عبادةً، وبه استعانةً، ورجاء من الله ﷻ اللطف وتَنْفِيس العسر، ورفع البلاء والحرج والضيق والغم، وأحسن الظن بالله أن يُحقق له المطلوب، ويدفع عنه المرغوب. **نعم**.

٦٤٧٢ - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ حُصَيْنَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: كُنْتُ قَاعِدًا عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».

الشرح:

هؤلاء المؤمنون الكُمَّلُ -جعلنا الله وإياكم منهم- يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، لصدق وكمال إيمانهم، وبُعْدِهم عما حَرَّم الله عَزَّ وَجَلَّ، عما يَشُوب إيمانهم بما يُنقصه ويضعفه، فضلًا عما يُنافيه ويُضاده، ولذلك من صفتهم؛ أصل صفتهم: التوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ حق توكله، لكمال إيمانهم واجتهادهم في صالح أعمالهم، وتوبتهم من تقصيرهم وإهمالهم.

وهم مؤمنون كُمَّل، ومن كمال ذلك: أنهم يتجنبون الأشياء المحرمة والمكروهة، فالمحرم مثل التطير، التشاؤم بمرئيٍّ أو مسموعٍ، أو شخصٍ أو زمانٍ أو مكانٍ؛ لأن من تشاءم بشيءٍ أو تطير به، فقد أعطاه شيئًا من وصف الربوبية في التدبير، استقلالًا أو مشاركةً، وفي نفس الوقت: هو أساء الظن بالله بأنه يصيبه بما يكره، فجمع بين سوء الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ وحسن الظن بالخَلْق، هذا التشاؤم محرمٌ، وهو شيءٌ يجده المرء في نفسه، ما له في الواقع شيءٌ، فهو يتوهم.

وإنما الطيرة تشاؤم ما أمضاك أو ردك اعتمادًا على الطيرة.

وإذا وقع في نفسك شيءٌ من هذه الأشياء، كراهة مرئيٍّ أو مسموعٍ أو شخصٍ أو زمانٍ أو مكانٍ، خَطَر ببالك أنك تُصاب بسببه أو بواسطته بما تكره، فقل: «**اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»، وتوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ.

فمن صفة السبعين أنهم لا يتطيرون لا يتشاءمون، هذا الشيء المحرم يجتنبونه؛ لأنه شركٌ: إما أكبر أو أصغر، من اعتقد أن الشيء مستقلٌ بإلحاق الضرر بالشخص، فهذا شرك أكبر؛ لأنه من الشرك في الربوبية قبل، ثم يتبعه شركٌ في الإلهية. وإن اعتقد أن الشيء سببٌ، أن ما تطير به سببٌ في الشيء، فهذا شركٌ أصغر؛ لأنه جعل ما ليس سببًا في الشيء لا شرعًا ولا قدرًا سببًا فيه.

ومن كمال إيمانهم وإخلاصهم لله -جَلَّ وعلا-: «**أنهم لا يكتوون**».

الكي مباحٌ وهو من أسباب الشفاء بإذن الله -جل وعلا-، لكن لأنه نوعٌ من التعريض بالنار، لا يُختار بادئ ذي بدء، ما دام يوجد مندوحةٌ عنه، من علاجٍ طبيٍّ، أو علاجٍ مجربٍ، فيُلتمس هذا؛ لأنه خير من تعذيب النفس، فإذا توقف الأمر عليه بأنه عُرِفَ بالتجربة، أنه ما لهذا الداء علاجٌ إلا الكي، مثل ما يسمونه عرق النسا، مثل ما يسمونه العوام الجنب؛ أن تلتصق الرئة في الضلع أو نحو ذلك، فهذا يُستعمل مع كراهته، والنبي ﷺ عَدَّ الكي من أسباب العافية، فجعل من أسباب الشفاء لذعة كيٍّ، وأرسل النبي ﷺ إلى بعض أصحابه طبيبًا، فقطع منه عرقًا وكواه، وأقرهم على التداوي بالكي، لكن ما هو الأولى، إن لم يوجد مندوحة غيره يلتمس غيره : حبوب أدوية أي شيء، فإذا توقف عليه فلا بأس، تذهب الكراهة ويزول الحرج.

والثالث: **لا يسترقون**، يعني لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم؛ بل هم يرقون أنفسهم بما تيسر من الآيات القرآنية والأدعية المأثورة، وإذا تبرع غيرُهم ليرقيهم وهو يُحسن، أَذِنُوا له، لكن ما يَطلبون الرقية من غيرهم؛ لأن فيها نوعٌ من الامتنان، والإذلال للنفس، والحاجة إلى الخَلْق والالتفات إليهم، فابتداءً واختيارًا لا يطلبون الرقية، هو يرقي نفسه، إذا عَرَضَ عليه صاحبه أن يرقيه أَذِنَ له، إذا وجد علاجًا غير الرقية استعمله، لكن إذا توقف العلاج على

الرقية وهو لا يُحسن أو جَرَّب ولم يستفد فلا بأس أن يطلب الرقية من غيره، ويجعل في نيته أن هذا -طلبه للرقية- أن يستفيد هو برقيته، وهذا يستفيد بأنه حصَّل سببًا في العافية، هو ذَكَّرَهُ فأحسن إليه بتذكيره، فيُؤجر الراقي ويُؤجر المرقي.

فهؤلاء المؤمنون الخُلَّص الكُمَّل، استكملوا الإيمان ودخلوا الجنة بغير حساب ولا عذاب لأنهم اجتنبوا هذه الأشياء التي هي إما محرمة أو مكروهة أو فيها نوع منةٍ من الخلق.

نعم.

بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ قِيلَ وَقَالَ

٦٤٧٣ - حَدَّثَنا عَلِيُّ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْهُمْ: مُغِيرَةُ، وَفُلاَنٌ وَرَجُلٌ ثَالِثٌ أَيْضًا، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ وَرَّادٍ كَاتِبِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَى المُغِيرَةِ: أَنِ اكْتُبْ إِلَيَّ بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ المُغِيرَةُ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الصَّلاَةِ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: وَكَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ المَالِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ، وَعُقُوقِ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ البَنَاتِ.

وَعَنْ هُشَيْمٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ المَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ وَرَّادًا، يُحَدِّثُ هَذَا الحَدِيثَ، عَنِ المُغِيرَةِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

الشرح:

يعني أنه ينبغي للمؤمن أن يترك قيل وقال، مثل ما يقول العوام: «يقولون»، من هو «أون» هذا الذي ينسب إليه القول! مثل قولهم «**زعموا**»، فيترك هذا لأنه ما فيه نتيجة، ما فيه فائدة، ما له مصدرٌ موثوقٌ، فالإنسان ما يتكلم إلا بشيءٍ موثقٍ ومفيدٍ، فيترك هذا.

ومن ذلك: أنه يترك ما لا يعنيه، لا تسأل الشخص كم ولده أو كم ماله؟ لا تسأله لم ضرب امرأته، هذه أمورٌ لا تعنيك، لا تتدخل في أمور الناس، لا تسأل عن الشخص نفسه، وين راح؟ وين جاء؟ ما تعنيك على الإطلاق، إن سألت عنه لأنك فقدته في المسجد، تخشى أن يكون مريضًا ولم تعده، أو أن يكون مهمومًا لعلك أن تُنَفِّس عنه همه، فلا بأس، أما السؤال على وجه الإشراف والاستشراف، فلا ينبغي؛ لأن هذا يُعرضك للغيبة، يُعرضك للشماتة، يُعرضك للخطأ والكذب، إذا أخبرت بخطأ تكون كذبت؛ لأن الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، فاجتنب قيل وقال، لو سمعت الناس يَذْكُرون ما يذكرون، لا

تدخل في الموضوع، ما يعنيك؛ اشتغل بما يصلحك وما هو من شأنك، تفقد عيوب نفسك، هذا أولى.

قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **عُدُّوا سيئاتكم، فأنا ضامنٌ على الله** سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ **ألا يضيع من حسناتكم شيئًا.**

فاشتغال المرء بعيوب نفسه أنفع له من اشتغاله بأحوال الناس، إلا إذا كان على وجه الإرشاد والنصيحة، والاجتهاد في نَفْعِ الخلق، فكان ﷺ ينهى عن قيل وقال.

وينهى عن إضاعة المال، إنفاق المال بخلاف وجهه الشرعي، إما أن يُنفق في الحرام، فهذا تبذير، ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٧]، وإن كان في الحلال بزيادةٍ عما يقتضيه الأمر، فهو سَرَفٌ، وإن كان في التوسع في الحلال فهو سرف، فلا تبذر بإضاعة المال، لا تبذل المال إلا في وجوهه المشروعة: في قُوتِك، وقُوت أهلك، في قرى ضيفك، في صلة رحمك، فيما تَستعين به على طاعة ربك، فيما تَدفع به عن عرضك، فهذا الذي ينفق فيه المال.

والثاني إنك تترك: منعًا وهات، المجادلة والخصومة في الدين؛ لأنها تُحدث الشك في القلب وتضعف اليقين، وتقسي القلب، وتضعف الإيمان، ويَحْصُل فيها الغط واللغو، وربما أدت إلى فساد ذات البين، فاجتنب الخصومة في الدين، واجتنب الخصومة في أمر الناس، والدخول في شؤون الناس، اجتنب هذا. **نعم**.

بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ

وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق:١٨].

٦٤٧٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ المُقَدَّمِيُّ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ، سَمِعَ أَبَا حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ».

الشرح:

من يضمن يعني لسانه وفرجه، فهما من أخطر الأعضاء على الإنسان.

ولذا قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **ما شيءٌ أحق بطُول حَبْسٍ من اللسان**.

وهكذا الفرج، عما حرم الله عَزَّ وَجَلَّ.

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧]، فينتبه الإنسان لهذا.

والنبي ﷺ قال: «**وهل يكب الناس في النار على مناخرهم، أو قال على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**».

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الحديث الصحيح: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يُلقي لها بالًا، يزل بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب**»، وفي حديثٍ آخر: «**يتكلم بالكلمة، ما يلقي لها بالًا، أو قال لا يدري ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه**».

فيكذب الكذبة ليُضحك القوم، ويتَحَجَّر على الله، كأن يقول: والله ما يغفر الله لفلان، ويتكلم باللمز والغيبة والنميمة، وغير ذلك، وهو في عافيةٍ وفي غنىً، فيحذر الإنسان شر لسانه. **نعم**.

٦٤٧٥ - حَدَّثَنِي عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**».

الشرح:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

فمن آفات اللسان الغيبة، ومن آفات اللسان النميمة وهي في الغالب مرتبطةٌ بالغيبة، فإنك إذا ذكرت غائبًا في مجلسٍ بما يُنقص قدره عند الحاضرين، أو يحملهم على سوء الظن به، أو على الجفاء بحقه، فهذه صارت نميمة.

وقد قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة قتات**»، يعني نمام.

فالغيبة بوابةٌ إلى النميمة، وعُرضة للخطأ.

قيل للنبي ﷺ: ما الغيبة؟ قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، قيل: أفرأيت إن كان فيه ما أقول، قال: «**إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول، فقد بهته**»، فيحذر الإنسان من الغيبة لأنها بابٌ لشرورٍ كثيرةٍ، بابٌ لفساد ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة التي تحلق الدين، لا تحلق الشعر. **نعم**.

٦٤٧٦ - حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ المَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الخُزَاعِيِّ، قَالَ: سَمِعَ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي: النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**الضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، جَائِزَتُهُ**» قِيلَ: مَا جَائِزَتُهُ؟ قَالَ: «**يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ**».

الشرح:

هذه من خصال الإيمان: إكرام الضيف، والإحسان إلى الجار، وكف الأذى عن الجار، والترفع عن الغيبة والنميمة، كل هذه من خصال الإيمان، ومن أسباب كماله.

والضيافة: المقصود بها قِرى المسافر، الذي يطرق عليك؛ لكونك على الطريق وهو مسافر، فالجائزة المتعينة الواجبة يومٌ وليلةٌ، وما زاد إلى ثلاثة أيام، هذا الحد، ولا ينبغي للضيف أن يُثقل على المضيف، حتى يضطره إلى العجز والضيق واللوم والحرج، الضيافة يوم وليلة، وما زاد إلى ثلاثة أيام، وما زاد عن ثلاثة أيام فصدقة من المضيف على الضيف.

نعم.

٦٤٧٧ - حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ».

الشرح:

يعني من الغيبة، من البَهْت، من الخطأ أنه يتكلم مُتَوَهِّمًا؛ لذلك الإنسان إذا حَدَّث بكل ما سَمِع كَذَب؛ لأنه لا بد أن يُخطئ، والخطأ كذبٌ؛ لأنه إخبارٌ عن الشيء بخلاف ما هو به، فهو من الكذب، فلا يُحدث بكل ما سمع، ولا يتكلم بكل شيءٍ، بل لا يتكلم إلا بما فيه مصلحة له أو لمن حوله، وما فيه مفسدةٌ أو يُؤدي إلى مفسدة -ولو كان مباحًا- فيجتنب ذلك حفاظًا على دينه وعلى إيمانه وعلى المودة بينه وبين إخوانه، لا يمزح مزحًا -كما يقولون الناس- ثقيل؛ لأنه يفسد القلوب، وكثرة الكلام تقسي القلب، حتى ولو كان في المباح. **نعم**.

والكذبة اللي تبلغ الآفاق مثل ما يفعله المُمثلون خصوصًا إذا كان يتضمن استهزاءً بشيءٍ من الشرائع والشعائر، أو استنقاصًا لأهل الإيمان والصلاح والتقوى، هذا -والعياذ بالله- هو الذي رآه النبي ﷺ يُشرشر شدقه إلى قفاه، يؤتى بكلوب، فيدخل في فيه، ويُجَرُّ يجرح ما بين فمه إلى أذنيه، أو إلى مُؤخر رأسه، من يمين، ومن يسار، ومن فوق، ومن تحت، فسأل عنه، فقيل: هذا هو الذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق، هذا عمل الممثلين، يعني شيءٌ لا أصل له، ويُراد منه إضحاك الناس، أو النيل من أهل الخير، فهذا ما يفعله الإنسان، ولا يُصغي إليه، ولا يحضر مجالسه، ولا يتعلق قلبه به، هذا نقصٌ في الديانة، في إضاعة الأمانة، من أسباب قَطْع الأُخوة الإيمانية، وإحداث الجفاء، ومن ضروب النفاق، من أسباب الشر والفتنة. **نعم**.

٦٤٧٨ - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُنِيرٍ، سَمِعَ أَبَا النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللهِ يَعْنِي ابْنَ دِينَارٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ...**».

الشرح:

يعني ما جاء في باله مقدارها عند الله عز وجل، وقَصَدَها؛ لأنها من الخير، لكن ما في باله مبلغ ثوابها وعِظم شأنها، مثل أنه دخل رجل الصلة مع النبي ﷺ، فقال: «**الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا كما يحب أن يُحمد وينبغي له**»، فلما سلم النبي ﷺ، قال: من القائل آنفًا كذا؟ فأَرَمَّ القوم سكتوا، فقال: «**إنه لم يقل إلا خيرًا**»، فقال رجل: أنا قلتها يا رسول الله، قال: عجبت لها، ابتدرها بضعة ملك، أيهم يكتبها -لعظم أجرها-، ثم لم يدروا كيف يكتبوها، يعني كم ثوابها عند الله عز وجل، فرفعوا الأمر إلى الله عز وجل، فقال: اكتبوها كما قال عبدي وعلي جزاءه.

في الحديث الآخر: سمع النبي ﷺ كلمة كذلك، قال: «**عجبت لها، فتحت أبواب السماء، حتى أفضت إلى الله عز وجل**».

مثل كلمة التوحيد «**لا إله إلا الله**»، أن يكون الإنسان قالها تدينًا وعبادةً وحسبةً، لكنه ما يعلم مقدارها عند الله عز وجل، ويترتب عليها من حسن العواقب، وعظم الأجر. **نعم**.

لذلك قال: من رضوان الله، يعني مما شرعه الله عز وجل وارتضاه، يعني من خصال الإسلام، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، لكنه لا يدري عن موقعها، ولا يدري عظم جزائها. **نعم**.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ،** ...

يعني يقول كلمة يُصلح بها بين الناس، يسيرة جدًا هي.

تسمع إنسانًا يتكلم في إنسانٍ، بما يُفسد ما بينهما، وما ذاك وبين الناس، يلومه، إما لسوء ظنٍّ منه، أو لكلمةٍ سمعها منه وحملها على أسوء المحامل، أو لأن ذاك جفا في حقه نتيجة غفلةٍ أو نتيجة ذهولٍ وشُغلٍ لأنه مشغول بأمرٍ أعظم، كان ذاك مشغول البال فتصرف تصرفًا ما وعاه، لكونه في أمرٍ مهمٍ، فتقول: يا أخي اتق الله، والله إني أعلم إن فلان يُحبك، وأنه يدعو لك؛ كلمةٌ طيبةٌ ولا لأ؟ طيبة، صِدْقُ ولا لأ؟ هو ما سمعه يدعو له، ولا يدري إنه يحبه، ما يدري ما في قلبه! لكن هو يدري أنه مؤمنٌ، والمؤمن يحب المؤمنين، ويدري أنه يقول في الصلاة: «**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**»، فقال كلمةً تُنَمِّي الخير، وتَزِيد الود، وتدفع عن الشر والفتنة وسوء الظن، فأصلح بينهما بكلمةٍ واحدةٍ: والله إنه يحبك، والله إنه يدعو لك، ما قاله إلا خيرًا، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب. **نعم**.

الطالب: ولو كذب في هذا.

الشيخ: إذا كذب شيء مباح يحتمل، نعم.

«**وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**».

بركة.

سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت ...

الدرس السادس

الشيخ لم يطلع عليه بعد.

الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لشيخنا ولنا ولوالدينا وللحاضرين ولجميع المسلمين.

قال الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري – رحمه الله تعالى ورفع درجته في عليين – في صحيحه في : **كتاب الرقاق**:

بَابُ البُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

٦٤٧٩ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي خُبَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ: رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**».

بَابُ الخَوْفِ مِنَ اللَّهِ

٦٤٨٠ – حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَخُذُونِي فَذَرُّونِي فِي البَحْرِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَفَعَلُوا بِهِ، فَجَمَعَهُ اللهُ ثُمَّ قَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ؟ قَالَ: مَا حَمَلَنِي إِلَّا مَخَافَتُكَ، فَغَفَرَ لَهُ**».

٦٤٨١ – حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، سَمِعْتُ أَبِي، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَبْدِ الغَافِرِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ، أَوْ قَبْلَكُمْ، آتَاهُ اللهُ مَالًا وَوَلَدًا – يَعْنِي أَعْطَاهُ – قَالَ: فَلَمَّا حُضِرَ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا – فَسَّرَهَا قَتَادَةُ: لَمْ يَدَّخِرْ – وَإِنْ يَقْدَمْ عَلَى اللهِ يُعَذِّبْهُ، فَانْظُرُوا فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي – أَوْ قَالَ: فَاسْهَكُونِي – ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ

عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ - وَرَبِّي - فَفَعَلُوا، فَقَالَ اللهُ: كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ - أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ - فَمَا تَلاَفَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللهُ»، فَحَدَّثْتُ أَبَا عُثْمَانَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ سَلْمَانَ، غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ: «فَأَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ» أَوْ كَمَا حَدَّثَ.

وَقَالَ مُعَاذٌ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، سَمِعْتُ عُقْبَةَ، سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وصحبه.

أما بعد:

فالخشية من الله -جَلَّ وعلا- هي خوف، مشوب بتعظيم وإجلال لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مع حسن الظن به -جَلَّ وعلا- في قبول التوبة، فليس الخوف المحض؛ أن تخاف من السبع، ومن الحية، ومن العدو الظالم، لكن ما هو فيه تعظيم، خوفٌ ما معه تعظيم، ولا معه إجلالٌ، فخوف العبودية هذا يُسَمَّى خوف السر، تخاف الله عَزَّ وَجَلَّ وأنت خاليًا، ما عندك أحدٌ؛ لما تعلم من عظمة الله -جَلَّ وعلا-، عظمة شأنه، وعِزِّ سلطانه، ودوام رقابته، وأنه -تعالى - لا يخفى عليه شيءٌ من أمرك، لا من سريرتك، ولا من ظاهرك، ولا في ماضيك، ولا مستقبلك، فيكون الخوف مشوبًا بتعظيم وإجلال، فهذا هو الخشية وليس خوفًا محضًا، وإذا صار الخوف خاليًا من التعظيم والإجلال ما يكون على الكمال في العبودية؛ لأنه قد يشوبه سوء ظن بالله عَزَّ وَجَلَّ.

وفي التنزيل: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩]، وهذه صفة أصحاب رسول الله ﷺ، فكانوا يخافون الله ﷻ يخشونه، يخافونه خوف تعظيمٍ وإجلالٍ، ولذ يتأثرون بآيات الوعد والوعيد، إذا قرأوا آيات الوعد بالجنة والمغفرة والعفو، بكوا من عِظم الرجاء في الله -جَلَّ وعلا-، وإذا قرأوا آيات الوعيد، بكوا من عظم الخوف والإجلال والتعظيم له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**».

وذكر ﷺ السبعة الذين يُظلهم الله في ظل عرشه تحت ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله، فذكر أصنافًا من الناس: «**إمام عادل**»، حاكم عام ملك رئيس، إمام عادل، «**وشابٌ نشأ في عبادة الله**»، ما كان له سفه وصبوة، منذ نشأ وهو على الطاعة حتى توفاه الله -نسأل الله الكريم من فضله وأين يجعلنا وإياكم كذلك-، «**ورجل تصدق بصدقة**»، من شدة إخلاصه «**أخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»، لبعده عن الرياء، «**ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه، وتفرقا عليه**»، جمعهما الحب في الله -جَلَّ وعلا-، والمعنى تزاورا في الله، لحب بعضهما لبعض في الله -جَلَّ وعلا-، «**ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال**»، إلى نفسها في الفاحشة، فهو قادرٌ ومَدْعُوٌّ، ومع ذلك اعتصم بالله -جَلَّ وعلا- «**وقال: إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خاليًا**»، ما عنده أحدٌ: في المسجد، في البيت، في آخر الليل في أي وقتٍ من الأوقات، ذكر الله خاليًا، وهو يقرأ القرآن، أو وهو يدعو أو يذكر، فذكر الله، فاستحضر عِظم نِعم الله -جَلَّ وعلا-، واستحضر سوء عمله وتفريطه هو في جنب الله وتقصيره، فخجل من الله -جَلَّ وعلا- «**وبكى**»، والعين إذا خرج منها مثل الذباب دمعة، حرمها الله على النار، فما عنده

أحدٌ؛ خاليًا، فما ذكر تَصَنُّعًا، ولا مجاملةً، ولا مجاراةً لأحدٍ بكى، لأ؛ ما عنده أحد، فهذا يدل على فضيلة الخشية من الله.

قلنا: إن الخشية هي خوفٌ مشوبٌ بتعظيم وإجلال، وحسن ظن بالله ﷻ، فهو يرجو الله لِمَا يعلم من كرمه، ووجوده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وسعة رحمته، وعِظم فضله، ويخاف من الله أن يعاقبه لِما يعلم من خطرات نفسه، ووساوس صدره، وسوء عمله، إذا قارن خجل من الله تعالى وخاف.

ولذا أردف البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ بعد أحاديث الخشية بهذا الحديث، حديث الرجل من كان قبلنا، رجلٌ مؤمنٌ لكنه أسرف على نفسه في المعاصي، حتى إنه خاف من الله ﷻ خوفًا شديدًا، فأحس في عاقبة أمره، ولشدة خوفه لإفراطه في الخوف، منشان أنه يغلب على الظن إنه عاميٌّ ما هو عالمٌ، فلشدة خوفه ارتأى أنه إذا مات أن يُحَرِّقه أولاده، وأن يسحقوه حتى يكون ذرات مثل ذرات الرمل، وأن يذروه في الهواء في البحر، ظن أنَّ هذا يُنجيه من الله ﷻ؛ لأن الله لو قبضه عاقبه، فمن فرط خوفه، أساء الظن بالله، كيف أساء الظن؟ أساء الظن بالله من حيث القدرة، أن الله لا يقدر عليه بهذه الحيلة، وصار عنده شيءٌ من الشك في قدرة الله، لفَرَط خوفه ولجهله، مع أنه صالحٌ هو، لكن لأنه عاميٌّ، فلذلك خُيِّل إليه أنه إذا فُعِل به هذا لا يقدر الله عليه، ولا يُحاسبه ولا يُعاقبه، فأوصى بنيه بذلك وأخذ عليهم العهد والميثاق، فلما فعلوا، قال الله ﷻ للبَرِّ أدي ما فيك منه من ذَرَّاته، وللبحر أدي ما فيك، وقال له كُنْ، فمَثَلَ بين يدي ربه -جَلَّ وعلا-، فقال له: ما حملك على ما صنعت، قال: يا رب مخافتك، يعني من شدة خوفي منك، فغفر الله له لشدة خوفه؛ لأن الخوف عبادة في الشر، غَفَرَ الله له هذا العمل الذي يُعتبر أنه سوء ظن بالله -جَلَّ وعلا-، أن الله لا يَقدر عليه، وهذا أُوتِي من جهله، فعَذَرَهُ الله بالجهل.

فينبغي للإنسان أن يَخاف اللهَ ﷻ خوفًا يمنعه من معصية الله ﷻ، ويحمله على صدق وسرعة التوبة إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومن التقصير في حقه، وعلى ألا يُسيء الظن بالله -جَلَّ وعلا-، بل يرجو رحمته ويخاف عذابه، ويُغَلِّب جانب الرجاء كمثل حال الرجل هذا، فهذا لو كان غَلَّب جانب الرجاء عند الموت، كان خيرًا له، سَلِم من سوء الظن، ووجد الله ﷻ عند ظنه به، ظنه الحسن؛ لأنه قد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**»، يعني: الزموا حسن الظن بالله -جَلَّ وعلا- حتى تلقوا الله عليه، وأخبر ﷺ في الحديث الصحيح أن الله تعالى يقول: «**أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**»، يعني: إن ظن خيرًا وجده، وإن ظن غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

والله ﷻ ذم الكفار والمنافقين بسوء ظنهم به، ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت:٢٣]، فهذه الحوادث التي تسمعون من وقتٍ لآخر، هذا يشنق نفسه، وهذا يحرق نفسه، وهذا يُلقي بنفسه، وهذا يقتل نفسه، كل هذا من سوء الظن، وعَبَثِ الشيطان بالناس، من الجهل في دين الله، من الجهل بشأن الله -جَلَّ وعلا-، وإِلَّا لو آمنوا بالله وعرفوا سعة رحمة الله وعفوه، وسعة فضله، وأن رحمته -جَلَّ وعلا- تَغْلِب وتسبق غضبه، وأن العفو أحب إليه -سبحانه- من المؤاخذة، وأنه يرحم العباد يوم القيامة رحمةً يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه، وأنه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - قال: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥ - ٦]، فما من عُسْرٍ يمر بالإنسان إلا وهو مَسبوقٌ بيُسرٍ، وملحوق بيسرٍ، وإذا اشتد الأمر انفرج.

ما بين طرفة عين وانتباهتها   يغير الله من حال إلى حال

وتذكرون قصة أصحاب الغار، انطبق عليهم الغار، حتى لا يجدون منفذًا، ومع ذلك ما يئسوا من الله -جَلَّ وعلا-، بل تَذَاكَرُوا وقالوا: إنه لا ينجيكم من عملكم هذا، إلا أن تتوسلوا

إلى الله؛ تدعوا الله ﷻ متوسلين إليه بصالح عملٍ عملتموه، لأفضل عملٍ عملتموه، فتوسل أحدهم ببره لوالديه، وتوسل الآخر بعفته عن الحرام مع القدرة عليه، وتوسل الثالث بأداء الأمانة وحفظ الحق لصاحبه، وإحسان أداءه إليه، ففرج الله عنهم الصخرة، وخرجوا يمشون.

فمن آمن بلطف الله -جَلَّ وعلا- رجاه، ومن آمن بشدة بطش الله خافه، ومن آمن بسعة رحمة الله تَعَرَّض لها، فلذلك ينبغي على الإنسان أن يكون دائمًا بين الخوف والرجاء، ويُغلب جانب الخوف في حال الرخاء والسعة حتى لا يطغى، ويُغلب جانب الرجاء في حال الضيق والشدة حتى لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روح الله. **نعم**.

بَابُ الِانْتِهَاءِ عَنِ المَعَاصِي

٦٤٨٢ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ العَلاَءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَا النَّجَاءَ، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ فَأَدْلَجُوا عَلَى مَهْلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَاجْتَاحَهُمْ**».

٦٤٨٣ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا**».

٦٤٨٤ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ، عَنْ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**».

الشرح:

هذا في الأمثال.

والأمثال المراد منها تقريب المعقول وفهم المعقول، بأن يُضرب له المثل بشيءٍ محسوسٍ حتى يُفْهَم، قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣].

وأكثر الله ﷻ من ضَرْبِ الأمثال في القرآن، في آيٍ مُحكمةٍ، ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر:٢٩]، فالرجل الذي فيه شركاء هو المُشرك، هذا الذي له عِدَّةُ آلهة، لا يدري هل يُرضي هذا أم يرضي ذاك، وإذا أرضى هذا غضب ذاك، ومثل الذي له سيدٌ واحدٌ رجلٌ واحدٌ، كمثل المُوَحِّد يعبد الله ويرضيه فقط ولا يتكلم.

وهكذا ذكر الله ﷻ عدة أمثال، مثل ما ضرب مثلًا لإحياء الموتى بإحياء الأرض بعد موتها.

وجاء في السنة عن النبي ﷺ ضرب المثل للمُشرك وأنه لئيمٌ وحقيرٌ، مثل العبد الملوك الذي يكسب خراجًا، يعني عنده مهنةٌ، ويُعطي خراجه لغير سيده، فالمشرك يعطي العبادة لغير الله -جَلَّ وعلا-.

والنبي ﷺ ذكر هنا مثلين، إنه نذير عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للناس من العذاب، ما مثله في ذلك؟

مثل إنسانٍ رأى العدو، بعدده وعتاده، وأنه يقصد قومه، وقومه على مسافة، فأسرع في المشي وأخبرهم بأن في الطريق عدوٌ متوجهٌ إليهم يريدهم، فمنهم من صدقه، فمشى وأدلج أسرع، فنجى، ومنهم من لم يُصدقه، فهلك، أتاه العدو وقتله، فالنبي ﷺ بَيَّنَ لنا الطريق، من تحت أقدامنا إلى مُنتهاه، وأن الاتجاه في هذا الطريق إجباري، فأنت كل نَفَسٍ يصعد منك لا يعود إليك، كل يوم يمضي لا يُرد ولا يَرجع إليك، فأنت تستنفذ عمرك، وتستنفذ رزقك، لتبلغ أجلك، فمثل ما خرجت من بطن أمك بلا إذنٍ منك، ستخرج من الدنيا بلا إذنٍ، وستُودع في القبر في البرزخ، وتبقى في الانتظار بين الدنيا والآخرة حتى تستكمل عِدَّة النفوس التي قَدَّر الله خلقها ووجودها، حتى يَحين أجل القيامة، ينتهي أمد الدنيا، ويحين أجل الآخرة، ثم تُبعث، ثم تُحشر، ثم تُعرض وتُحاسب، ثم تُعطى الصحيفة ويُوزن عملك، ثم تذهب إلى النار قبل

الجنة، فلن يدخل الجنة أحدٌ إلا وقد جاوز النار، فهو لا يجاوز بنفسه وإنما يُزحزح، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]، لا يجتنبها هو وإنما يُجَنَّبها، ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل:١٧]، لا ينجو منها وإنما يُنَجَّى، ما هو شرط هذا؟

التوحيد، والطاعة لله ﷻ.

فالنار منزلةٌ قبل الجنة، والنبي ﷺ يخبرنا أن النار قبل الجنة، وأن من لم يتوق النار أصابته، كما في التنزيل: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٤ - ١٨]، اتقاها بالتوحيد والطاعة، وأصل الطاعة الصلاة والزكاة، والنبي ﷺ يقول: أمامكم النار، اتقوها.

ولذلك لما أن الله ﷻ بعثه، صعد على جبلٍ في مكة ونادى في الناس: يا بني فلان! يا بني فلان! يا بني فلان! في بطون قريش؛ فاجتمعوا، فقال: «**يا معشر قريش، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا وراء هذا الجبل، تريد أن تغير عليكم، أكنتم مُصدقيَّ؟**» قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبًا، قال: «**إني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديدٍ**»، يعني: قبل عذابٍ شديد.

ونادى مرةً أخرى: «**يا بني فلان! أنقذوا نفسكم من النار، يا بني فلان! أنقذوا نفسكم من النار، لن أغني عنكم شيئًا، لقد أبلغتكم، حتى قال: يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أغني عنك من الله شيئًا**».

ولذا يقول: «**أنا النذير العريان، العريان**» الذي شمر ثيابه من شدة الجري، وأهمه الأمر وأسرع، حتى ارتفعت ثيابه وهو لا يدري، أو حتى رفعها هو من شِدَّة ما به من الوَجد على قومه، إذا رأوه وهو هكذا عرفوا أن الأمر خطير، يُبين ﷺ شفقته على الأمة ونصيحته لهم، أنا النذير العريان، أشد ما يكون في النذارة يعني، هذا معروف عند العرب.

والمثل الثاني يقول:

«إن مثلي ومثلكم» في شفقتي عليكم، وأمري لكم بما يُجنبكم النار، وما يدخلكم الجنة، «**مثل إنسان استوقد نارًا**» بالليل في البر، «**فجعلت هذه الجنادل والحشرات الطائرة يقعن فيها**»، يأتين إلى النور، هن لا يردن النار، وإنما جذبهن النور، فيقعن فيها، هو يذُبُّهُنَّ، ينفيهم عن النار، «**وهن يغلبنه ويتقحمن فيها**»، فيقول: أنا مثل صاحب هذه النار، أنا أُبعدكم عن النار، أنهاكم عن موجبات النار، وآمركم بموجبات الجنة، وأنتم تأبون وتخالفونني، فتفعلون موجبات النار، وتتركون موجبات الجنة. **نعم**.

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا»

٦٤٨٥ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا».

٦٤٨٦ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا».

الشرح:

والمعنى: أنه أوحى الله إليه من عظمة شأنه -جل وعلا- وعز سلطانه في خلقه وتدبيره لملكه، وأوحى إليه بشأن النار، وبشأن أهوال القبر، بشأن أهوال يوم القيامة، يقول: «**لو أنكم تعلمون مثل ما أعلم**»، كان ما اطمأننتم في الدنيا، «**لبكيتم كثيرا، وضحكتم قليلًا، ولَمَا تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم للصعدات تجأرون لله -جَلَّ وعلا-**»، تخافون وتتضرعون.

والنبي ﷺ أخبر بما يعلم، بما يتعلق بالتكليف والمكلفين، وبَيَّن شيئًا كثيرًا، بَيَّن أن مصاريع الجنة ما بين البابين من أبواب الجنة كما بين مكة وهجر (مكة والأحساء)، وليأتين عليه يوم وهو كظيظٌ من الزحام، والجنة لها ثمانية أبواب، يُدعى كل أهل عملٍ من الباب المخصص له، ويُدعى أناسٌ من جميع الأبواب، ويَتَخَيَّر من أبواب الجنة ما شاء، وذكر من أصناف نعيم الجنة: من طِيب تربتها، ومن طيب شرابها، ومن طيب طعامها وفاكهتها، ومن جمال نسائها، ومن جمال أثاثها، ومن فخامة قصورها، ومما فيها من النعيم الذي لا يتكدر، والشباب الذي لا يبلى، والأُنس الذي لا يزول، والحياة التي لا تنتهي، وذكر أشياء كثيرةً من ذلك وفَصَّلها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تفصيلًا.

وذكر من أهوال النار، ومن أحوال الناس الذين يُعذبون فيها، وكيف أن الكافر يكون ضرسه الواحد من أضراسه كالجبل العظيم، وذَكَر من أهوال النار، وأنواع عقوباتها، وآلات التعذيب فيها الشيء الكثير.

وأخبر ﷺ أنه أُرِيَ الجنة وأُري النار أثناء الإسراء والمعراج، وأخبر أنه أُري الجنة وأُري النار في صلاة الكسوف، حتى صار الجدار الذي أمامه مثل ما تعرفون يسمى «**البروجكتور**»، عُرِض عليه منظر للجنة، ومنظر للنار، حتى كاد يتناول قطفًا من عنبٍ، وحتى خشي على وجهه من النار من قُرْبِها، وكذا في إحدى الصلوات أيضًا، أخبر ﷺ أنه عُرض عليه الجنة، وعرض عليه النار في قبلة المسجد.

يقول: لو أنكم تتصورون حقيقة ما أخبركم به، لما تمتعتم بالدنيا.

وهذا يدل على عِظم ما أمام الإنسان، وأن الاتجاه خطيرٌ جدًّا، وأن الإنسان بحاجةٍ إلى الضراعة وإلى الذل والانكسار بين يديه، وعِظم الرجاء له، والخوف من عذابه، والطمع في رحمته، وكريم ثوابه؛ لأن من عَرَفَ هذه الأمور أهمه الشأن، وعرف أنه لا ينجو من العذاب ولا يفوز بالنعيم وكريم الثواب إلا بالضراعة إلى الله ﷻ، وإجابة الدعاء له، وهدايته، وحسن خاتمته – نسأل الله أن ذلك للجميع –، فهذا هو.

وهذا مما يُبين للإنسان أنه ما ينبغي أنه يغفل، إنسانٌ همته الدنيا، همته التجارة، همته الدراسة والشهادات، لأ، يكون همته النجاة في الآخرة، النجاة في الآخرة ذلك هو الفوز العظيم، والخسران في الآخرة هو الشقاء والعذاب الأليم.

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ – ٣]، آمنوا عن علمٍ، وعملوا الصالحات عن علمٍ، وتواصوا بالحق والصبر والمرحمة عن علمٍ، وثَبَتُوا على ذلك عن علمٍ.

فهذه النصوص ترقق القلوب، وتجعل الإنسان يَحْسِب لِمَا أمامه ألف حساب، ويستعد لما أمامه، ومع ذلك يَجِدُّ في العمل، ويُحسن الظن بالله ﷻ؛ لا بد من هذا: الجد في العمل، وحسن الظن بالله ﷻ؛ لأن حسن الظن من غير عملٍ تمني، والمُتمني مفلسٌ، لكن الجاد في العمل على وفق الشرع خالصًا لله ﷻ، هذا هو الراجي، هذا الرجاء، وفَرْقٌ بين الرجاء والتمني:

فالرجاء: الطمع في تحصيل المطلوب، مع تعاطي سببه.

والتمني: الطمع في المطلوب، من غير تعاطي سببه، أو بتعاطي ما يمنعه، ويحول دونه.

نعم.

بَابٌ: حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ

٦٤٨٧ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ».

الشرح:

والحكمة من هذا: أنه مِنْ فضل الله ﷻ ورحمته فيمن أطاعه، وعَدْلِه وحكمته فيمن عصاه، فإن الحكمة من هذا الحجاب الاختيار؛ لأن مَنْ سَمِعَ بالنار، وما أعد الله فيها من عذابٍ أليمٍ، لن يقبل النار وهو عاقلٌ، ومن سَمِع بالجنة وما فيها من ثوابٍ كريمٍ ورضوان الرب العظيم، لن يقف دونه عاقلٌ، فحتى يظهر الاختيار: حجب الله الجنة بالمكاره، حتى لا يدخل الجنة إلا من هو صابرٌ على المكاره، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وحتى لا يدخل النار إلا مختار، مُقتحم للشهوات، غير مبالٍ بعواقبها.

وجاء في الحديث أن الله ﷻ لَمَّا خَلَقَ الجنة، وأودع فيها ما أودع، قال لجبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، وأتى إلى الله ﷻ، قال إني رأيت ما فيها من كذا وكذا، حتى ظننت ألا يقصر أحدٌ دونها، كل الناس يدخلون الجنة، فحَفَّها الله ﷻ بالمكاره، فنظر إليها ورجع قال: يا ربي إني خفت ألا يدخلها أحدٌ، من شدة ما بين الناس وبينها من المكاره، والنار كذلك لما رآها، قال: أن الناس يتركونها ما يذهبون إليها أصلًا، فحفها بالشهوات، فقال: خفت ألا ينجو منها أحدٌ.

فجعل الله هذا الحجاب حتى إنه ما يدخل الجنة إلا مريدٌ لها، بصدقٍ وجِدٍ، وصابر على المكاره في سبيله، وحجب النار بالشهوات حتى لا يدخل النار إلا مقتحمٌ لها، مريدٌ، لتقوم حجته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على خَلْقِه من أهل النار، وليَظْهَر فضله ورحمته في أحبابه وأوليائه. **نعم**.

بَابٌ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِه، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»

٦٤٨٨ - حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مَسْعُودٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، وَالأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**».

٦٤٨٩ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: أَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَهُ الشَّاعِرُ:

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ.

الشرح:

يعني إنك لا تستبعد؛ لا تنصرف في الحياة تستبعد النار، تراه قريب، ما بينك وبينها إلا أن تموت، ثم تُفتن بعد موتك، ثم يأتيك أنموذجًا من النار، سواءً كنت في الجبل ولا في البحر ولا في الأرض ولا في أي مكان، فأرواح الفجار إلى سجيل، وأنموذج من عذابها يأتيهم وهم في ألحادهم وهم في أماكنهم ولو كانوا في بطون السباع.

وهكذا الجنة، إذا فارقت روحك جسدك، رُفعت الروح إلى الجنة، وفُتح لك في قبرك بابٌ إلى الجنة، وأتاك من روحها وريحانها ونعيمها بأي مكانٍ أنت، سواءً بالبر، أو البحر، أو في الجبل، أو في بطون السباع، أو أي مكانٍ، ما بينك وبين هذا إلا أن تموت فقط، والآجال مغيبة، ولا تأتي -في الغالب- إلا فجأة، تظنون أهل المقابر كلهم خَلَّصوا أشغالهم في دنياهم ورحلوا اختيارًا، لا.

فإذا لا يستبعد الإنسان الجنة، ولا يستبعد النار.

قال معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **أعوذ بالله من ليلةٍ صباحها إلى النار.**

وأنت إذا وُضعتَ في لحدك، عاينت ما أمامك، إن كُنْتَ من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كنت من أهل النار، فمن أهل النار؛ نسأل الله الجنة. **نعم**.

بَابٌ: لِيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَلاَ يَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ

الشرح:

يعني في الدنيا.

في الدنيا: انظر إلى من هو أسفل منك، من هو أقل منك دنيا، حتى تشكر نعمة الله عليك، ولا تزدري النعمة.

وفي الدين: انظر إلى من هو أعلى منك، حتى ترتفع همتك، وتنشط نفسك في العمل، وتتأسى به في الكيفية، فتنتفع في أمر الآخرة، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، وأما الدنيا فهي طريق وممر ليست شيئًا، ينبغي للإنسان أن يهتم بهذا، ينظر في أمر الدين إلى من هو أعلى منه، ومن هو أحسن منه، علمًا وعملًا وتوفيقًا وكذا، حتى يكون عنده علو همةٍ في محاكاته، بل في منافسته، بل في سبقه.

وأما في أمر الدنيا: فلتنظر إلى من هو أدنى منك، حتى لا تحتقر النعمة، ولا تسيء الظن بالله -جَلَّ وعلا-، وحتى تعرف أن الله فَضَّلَك.

فإذا رأيت المبتلى، سألت الله العافية، المبتلى بالفقر، المبتلى بالمرض، المبتلى بالعاهة، المبتلى بالعيب الخِلقي، المبتلى بنقص العقل، فإذا رأيت المبتلى، شكرت نعمة الله عليك، وأثنيت على الله بما هو أهله، وأُجرت، ولم تُصب بهذه البلية، وأما إذا كنت تنظر في الدنيا لمن هو أعلى منك، فأنت تبتلى بالحسد، وتَصْغُر في عينك الطاعات، وتَعْظُم في عينك الدنيا وفي قلبك، وتصير الدنيا همك، وهذا كفيلٌ أن يُشتت الله شملك، ويُفرق جمعك، ويشغلك بما أنت راحلٌ عنه، ولا يأتيك من الدنيا إلا ما كُتب لك، وما كُتب لك ربما لا تنتفع به، تجمعه لغيرك.

لكن إذا كانت الآخرة همك، جمع الله شملك، وجعل غناك في قلبك، وأقر عينيك برزقك، وجعله عونًا على طاعة ربك، فحَصَّلت خيري الدنيا والآخرة. **نعم**.

٦٤٩٠ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ**».

بَابُ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ

٦٤٩١ - حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ، حَدَّثَنَا جَعْدُ بْنُ دِينَارٍ أَبُو عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ العُطَارِدِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

الشرح:

هذا فيه حضٌّ على مراقبة خَطَرات القلب، وأن الذي ينبغي أن تشغل قلبك بالنية الصالحة.

كما قال بعض السلف: **انو في كل شيءٍ الخير**.

لأن نية القلب عملٌ، ولأن القلب إذا شُغِل بالنية الصالحة، سَلِم من النية السيئة، سَلِم من مزاحمة النية السيئة، وقادته النية الصالحة للعمل، فيكون الإنسان مراقبًا لقلبك، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦]، فتراقب أُذُنك لا يدخل منها شيءٌ يُؤثر على قلبك فسادًا، وتُراقب بصرك وعينك لا يَنْفُذ منها شيءٌ يؤثر على قلبك فسادًا، وتراقب فمك لا يدخل منه مطعمٌ أو مَشربٌ يُؤثر على القلب فسادًا، وتُراقب جارحة لسانك لا تتفوه بشيءٍ يَجُرُّ على قلبك فسادًا، بل استعمل هذه الجوارح والحواس في طاعة الله، حتى تجلب إلى قلبك صلاحًا، فالكلمة الطيبة تُصلح القلب، والمطعم الطيب يُصلح القلب، والمشرب الطيب يُصلح القلب، الملبس الطيب يُصلح القلب، سماع الخير يُصلح القلب، رؤية الخير يصلح القلب، وهكذا.

احذر؛ لأن النيات ما تكون إلا من الخواطر، فإذا جاءت الخواطر الحسنة، انبعث القلب بالنية الحسنة، وصار عنده همة وانعقد على نية فِعْلِ الخير، وإذا انعقد على نية فعل الخير، تيسر له فعله.

وإذا جاءته الأمور الأخرى المُفسدة، انعقد قلبه على نية الشر، وإذا انعقد قلبه على نية الشر، ساء فِعله؛ تأسس بالشر، فلذلك انتبه لذلك.

ثم اذكر فضل الله -جَلَّ وعلا- عليك من جهات عدة:

الأول: أن الخاطرة الحسنة تُكتب بمُجرد خُطُورها على بالك، فإذا تحولت إلى نيةٍ، كُتبت لك حسنةً كاملةً، فإذا تحولت إلى عملٍ، تحققت بالعمل، كُتبت لك عشر حسناتٍ مضاعفةٍ.

الخاطرة السيئة لا تُؤاخذ بمجرد خُطُورها، لا تُؤاخذ بمجرد إنها وردت على نفسك، فإذا استقرت في القلب وتحولت إلى نيةٍ، أيضًا لا تُؤاخذ بها، لكن احذر! فإنك إن تعاطيت أسباب تنفيذ النية، كُتبت عليك، فإذا كُتبت -مع هذا- كُتبت سيئةً واحدةً، ومع أنها سيئةٌ واحدةٌ، فقد أكثر الله عز وجل في شرعه من الخصال المُكفرة للسيئات؛ كثيرةٌ جدًّا، وأعظمها وأقربها وأسرعها التوبة إلى الله -جَلَّ وعلا-، فإن التوبة تمحو السيئات، فهذا يجعل الإنسان يهتم بهذا الأمر، ويخشى؛ لما نزل قول الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة:٢٨٤]، شق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم، فجاؤوا إلى النبي ﷺ وجثوا على الركب، جلسوا على الركب، قالوا: يا رسول الله، حُمِّلنا ما نُطيق، وهذه الآية لا نطيقها، كيف نطيق هذه الآية، ونحن نُؤاخذ بمجرد الخواطر، فصعبٌ هذا، فقال ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا**»، فقالوا رضي الله عنهم: سمعنا وأطعنا، وذهب ما في نفوسهم، وقرأوا الآية مع أنها مخيفةٌ،

قرأوها وأكثروا قراءتها، حتى ذَلَّت بها ألسنتهم من كثرة التكرار، فلما ذلت بها ألسنتهم، وسلموا لله ﷻ، أنزل -سبحانه- في إثرها ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] ، وبقيت الآية تُتلى ليش؟

تحذيرًا من الخواطر؛ لأن الخواطر قد تتأصل، فراقب نفسك، ولهذا إذا خطر لك الرياء وجاهدته حتى زال، لا يَضُرُّك، ولو جاهدته ولم يزل لكن لم تحققه مراعاة للناس، لا يضرك، ففي هذا أنك تنتبه للخواطر، لا تسترسل معها.

قال ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم، فيقول له: من خلق كذا؟ فتقول: الله، فيقول: من خلق كذا؟ فتقول: الله، فيقول: من خلق الله؟ فإذا بلغه فلينته**»، وفي رواية: «**فليستعذ بالله من الشيطان ولينته**»، وفي رواية: «**فليقل: الله خالق كل شيءٍ**»، ولو غُلِبَ لا يتكلم بالخاطرة السيئة، فلا تَضره.

فإذًا السيئة لا تُكتب بمجرد الخطور، ولا تكتب بمجرد الهم، وإنما تُكتب بالعمل، ومع ذلك تُكتب واحدةً، ومع ذلك كَثَّر الله ﷻ موجبات محو السيئات، فضلًا منه على عباده وإحسانًا إليهم.

الحسنة تُكتب بمجرد الهم، تكتب حسنة، وإذا عملت بها كُتبت عشر حسنات، مضاعفة إلى سبعمائة ضعف، لأضعافٍ كثيرة.

ولذلك قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **تبًا لمن غلبت آحاده عشراته.**

الآحاد: السيئات تكتب واحدةً واحدةً، والحسنات هي العشرات، تكتب الحسنة بعشرة، إذا غلبت السيئات الحسنات، ويش معنى ذلك؟ معناه الغفلة حتى كثرت السيئات، أو أحبطت الحسنات.

وضرب النبي ﷺ لذلك مثلًا، قال: كمثل قوم؛ يعني مسافرين، نزلوا بطن وادٍ، فأرادوا أن ينضجوا طبيخًا، طعاما، فالتمسوا الحطب، فجاء هذا بعودٍ، وهذا بعودٍ، حتى أشعلوا نارًا أنضجت طبيخهم.

فهذا مثل للسيئات إذا اجتمعن، فالصغائر تتحول إلى الكبائر، والكبائر تتحول إلى إصرار، ثم يُزين للإنسان سوء عمله فلا يتوب، نعوذ بالله.

والسيئة تجر إلى سيئة مثلها، والحسنة تجر إلى حسنةٍ مثلها، أيهما أفضل لك: الحسنة ولا السيئة؟ الحسنة، وأن تتوقى السيئات. **نعم**.

بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ

٦٤٩٢ - حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا مَهْدِيٌّ، عَنْ غَيْلاَنَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ المُهْلِكَاتِ.

الشرح:

هذا لأنه فيه أحاديث ليست على شرط البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ، فلذلك لم يُرِدْها، وأشار إلى معناها:

فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على المرء فيهلكنه**».

وجاء في حديث آخر -هو صحيح- قال يوم عرفة: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن بالتحريش بينهم**»، يعني بالتحاسد والتهاجر والغيبة والنميمة، فهذه تؤدي إلى المهلكات؛ لأنها تهلك أهلها.

فهذه مُحَقَّرات الذنوب، الناس يستهينون بها وهي عظيمةٌ مهلكةٌ، فرضي بما تحتقرون من ذنوبكم، لأنه يعرف أنها إذا اجتمعت سَوَّدَت القلب وقَسَّته، ولذلك يَحْذَرُ الإنسان الصغائر خوفًا من أن يقع أو أن تجره إلى الكبائر.

ومن ذلك: فضول الكلام، لأنه إذا كَثُر فضول الكلام، أدى إلى المزاح الذي يُحدث العداوة، وأدى إلى الغيبة التي هي جناية، وأدى إلى النميمة التي فيها احتقار الناس، وسوء الظن بهم، وهكذا ينبغي على الإنسان أن يحذر، ولا يستهين بالسيئة ولو كانت صغيرة، فهي

تجتمع من الأخرى، ومع الثالثة، وهكذا، وهذا الران: اجتماع الذنوب، اجتماع الذنوب يحدث رينًا أي قسوةً وسوادًا في القلوب. **نعم**.

بَابٌ: الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ، وَمَا يُخَافُ مِنْهَا

٦٤٩٣ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَيَّاشٍ الأَلْهَانِيُّ الحِمْصِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: نَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَجُلٍ يُقَاتِلُ المُشْرِكِينَ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ المُسْلِمِينَ غَنَاءً عَنْهُمْ، فَقَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا**» فَتَبِعَهُ رَجُلٌ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَقَالَ بِذُبَابَةِ سَيْفِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ، فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ، عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا**».

الشرح:

وهذا فيه: أن الإنسان يلزم الطاعة، ويستقيم عليها، رجاء أن يختم اللهُ بها، والله عند ظن عبده به، ويَحْذَر من السيئة، ويخاف من عاقبتها، خشية أن يُختم له بها، ويحتاط.

وفيه: أن الأمور قد ما تكون على الظاهر، فيكون العمل الصالح -في الظاهر- رياءً، يعاقب به صاحبه، وتكون المعصية في الظاهر غير مقصودةٍ، أو بجهلٍ، فيعفو الله عن صاحبها، فلا بد أن ننتبه، ولهذا ما يُحكم على العاصي الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيم الصلاة ما يُحكم عليه بالنار، ما يُجزم، ما يُقطع بالنار إلا لمن أخبر الله عنه ورسوله، وهكذا العمل الذي ظاهره الصلاح ما يُجزم بأن صاحبة من أهل الجنة؛ لأنه قد يكون رياءً، وقد يكون لغرضٍ دنيويٍّ، لكن من استقام رُجيت له الجنة، ومن لم يستقم وأصر على الفسق، خيف عليه من النار، ولا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولذا قال ﷺ: «**فيما يرى الناس**»، يكون على عملٍ من عمل أهل النار فيما

يرى الناس، يكون على عملٍ من عمل أهل الجنة فيما يرى الناس، والذي على عمل أهل الجنة يدخل النار، والذي على عمل أهل النار يدخل الجنة، لأن العبرة بالخواتيم.

وخذ هذا المثال الآن:

هذا رجلٌ مع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يجاهد، وشجاعٌ، وعلى بصرٍ بالحرب، لا يترك شاذة ولا فاذة للمشركين، إلا اتَّبعها يضربه بسيفه، فعجب الصحابة منه، من جلده في الجهاد وسداده، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم ما أجزأ فلان، أحسن واحد فينا فلان. فقال ﷺ: «**أما إنه من أهل النار**»، كيف من أهل النار! وهذا عمله، كاد بعض الصحابة أن يرتاب ويشك، فقال أحد شباب الصحابة: أنا صاحبه، أجيب لكم العلم يعني، فلما نشبت الحرب مرةً ثانيةً اتَّبَعَهُ، إن وقف وقف معه، وإن مشى مشي معه، يرقبه طوال الحرب، فأصابت ذلك الرجل جراحةً شديدةً جزع منها، فلم يتحمل، فجاء وجعل نصل السيف مقبض السيف على الأرض، وذُبَابه الحاد طَرَفَه الحاد بين ثندوتيه، وتحامل على السيف، فخرج به صدره، وقتل نفسه، فجاء إلى النبي ﷺ وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: «**وما ذاك؟**»، قال: الرجل الذي قُلْتَ فيه كذا وكذا، كان من شأنه كذا وكذا، قال: «**قم يا بلال ونادي في الناس، إنه لن يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمةٌ، وإن الله ليُؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»، هذا الرجل فاجر، وسخره الله للمسلمين، ولا يبتغي وجه الله بجهاده، ولم يرضى بقدر الله وما أصابه، ويحتسب أن هذا في سبيل الله، فهذا نموذج.

النموذج الآخر: الرجل الذي كان مجاورًا لرجلٍ صالحٍ وهو مسرفٌ على نفسه، فيمن كان قبلنا، فكان الرجل الصالح الذي ظاهره الصلاح، ينهى هذا الرجل المسرف على نفسه عن معاصيه، ويتكلم عليه ويشدد عليه، فخرج مرةً الرجل الصالح ورأى هذا على إسرافه ومعاصيه، فأُعجب بنفسه، وتحجر على الله ﷻ، فقال: والله لا يغفر الله لفلان، تعدى من؟

تعدى حدود الله وتعدى على الله ﷻ في سلطانه، تعلم الغيب، تعلم حكمة الله، فغضب الله ﷻ وقال: من هذا الذي يتألى علي! يعني: يحجر عليَّ! ألا أغفر لفلان، فإني قد غفرت له وأحبطت عملك، وفي رواية: أدخلتك النار، فهذا كان مسرفًا على نفسه وكان عنده جهل، كان مبتلىً بنفسٍ ضعيفةٍ ما تصبر، ما هو إرادة المعصية العناد لله -جَلَّ وعلا-، لأ؛ لكنه مغلوب مُفَتَّنٌ، ربما أنه يتوب بينه وبين الله في كل مرةٍ، فغفر الله له.

مثل ما جاء في الحديث: أن الرجل يعمل بالسيئة، ثم يستغفر يقول: «**ربِّ أذنبت ذنبًا، فاغفره لي، فيقول تعالى: عَلِم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت له، ثم تكرر مرةً ثانية، ويقول الله ﷻ كذلك، وتكرر مرةً ثالثة، ويقول كذلك، حتى يقول: قد غفرت لعبدي، فليفعل ما شاء**»؛ لأن عنده خوفٌ، وعنده وَجَلٌ من الله، لكنه مبتلىً بنفسٍ ضعيفة، وبقلة مُعينٍ، فيندم، كلما أذنب ندم، وتاب إلى الله عن صدقٍ.

ومثله: الرجل الذي كان يؤتى به عند النبي ﷺ يُدعى حمار، كان يشرب الخمر، ويُؤتى به إلى النبي ﷺ ويجلده، يقيم عليه الحد، وتكرر، فقال رجل: أخزاك الله، ما أكثر ما يشرب الخمر هذا، فقال رسول الله ﷺ -وقد سمعه-: «**لا تقل أخزاك الله، فإنه يحب الله ورسوله**».

هذا سُرٌّ أخبره الرسول ﷺ عن علم الغيب، هذا الرجل مُفَتَّنٌ توابٌ، ما عنده عنادٌ، ولا عنده جرأة على الله ﷻ، لكنه ضعيف النفس مغلوبٌ، ومع ذلك يندم ويتوب فيما بينه وبين الله ﷻ.

وذاك مغرورٌ بنفسه يعمل الصالح ومغرور بنفسه، معجب بنفسه ومُدلٍ بعمله على ربه، فخاب وخسر. **نعم**.

بَابٌ: العُزْلَةُ رَاحَةٌ مِنْ خُلَّاطِ السُّوءِ

٦٤٩٤ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ، حَدَّثَهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ: يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**».

تَابَعَهُ الزُّبَيْدِيُّ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ، وَالنُّعْمَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ وَقَالَ مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَطَاءٍ، أَوْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَقَالَ يُونُسُ، وَابْنُ مُسَافِرٍ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٦٤٩٥ - حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا المَاجِشُونُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ المُسْلِمِ الغَنَمُ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**».

الشرح:

يعني أن الإنسان المسلم أحد رجلين:

إما قويٌّ في إيمانه، وفي علمه وعمله، فيُخالط الناس ويصبر على أذاهم، وهذه سيرة المرسلين -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، يخالطون الناس، ويصبرون على أذاهم.

«**المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ**».

فهو يخالط الناس، ويدعوهم إلى الله ﷻ، وينكر عليهم ما يرى من معصية الله -سبحانه-، وهو مع الناس في خيرٍ، ويَسْلَمُ من أذاهم لأنه ينكر، ولا يُقرهم على الخطأ، ولو لم يُطيعوه فارقهم، حازمٌ، جادٌ، وصادقٌ، فهذا هو المؤمن القوي.

والثاني: مؤمنٌ ضعيفٌ، لا يتحمل أذى الناس، ولا عنده حجة أنه يُنكر عليهم، وينهاهم، فخيرٌ لهذا أن يعتزل الناس، يسلمون من شره، ويسلم هو من فتنتهم، وهذا في الجملة.

ويأتي زمانٌ يتعين على الإنسان هذا التصرف، أن يعتزل الناس ويصبر، سواءً أخذ غُنيمةً وتتبع بها مواقع القطر، أو جلس في بيته، وهذا عند الفتن التي تموج في الناس، التي تنشأ عن الاختلاف والأهواء، فيكون فيها هَرْجٌ، قَتْلٌ عن غير بينةٍ، لا القاتل على بينةٍ في قتله، ولا المقتول على بينةٍ من الأمر الذي قُتِل فيه، أنه يصير تأويلٌ باطلٌ، وأَخْذٌ بالشبهات، واستحلالٌ للحرمات من التأويل، ففي هذا الحال، يتعين على المسلم أن يعتزل الناس، خوفًا من الوقوع في الفتنة وأن تصيبه الفتنة، فهذا المراد.

المراد أيام الفتن، الهرج الذي يكون عن تأويلٍ بسبب الأهواء، مصالح دنيا، جهادٌ للحُكْم، قتال عصبيةٍ بين قبيلتين، قتال من أجل البدعة والهوى.

ففي مثل هذه الأمور قال ﷺ: «**اعتزل تلك الفرق**»، قال: «**الزم إمام المسلمين وجماعتهم**»، قيل: فإن لم يكن لهم إمامٌ ولا جماعةٌ؟، قال: «**اعتزل تلك الفرق، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يأتيك الموت**».

وقال للأخر: اجلس في بيتك، كن حلس بيتك، خَلِّك مثل أثاث البيت، قال: أرأيت إن دُخِل علي! قال: إن دُخِل عليك، فضع ثوبك على وجهك، إن خفت من بارقة السيف، وقل: بُؤ بإثمي وإثمك، يعني لا تواجه بالحرب أنت بالسلاح، هي التي ذكر ﷺ أنه يكون «**القاعد**

خيرٌ من القائم، والقائم خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي والراكب»، كلما أبعد عن الفتنة فهو خيرٌ له، هذا المراد.

وجاء في الحديث الآخر أن الرجل يأتي إلى القبر فيقول: يا ليتني كنت مكانه، ليش؟ لم يرى من الفتنة العظيمة التي تُنتهك فيها الأبضاع، تُستحل الفروج، وتُزهق النفوس، وتُهلك الأموال، مثل ما يجري في بعض البُلدان الآن، فبطن الأرض خيرٌ من ظهرها في الحالة هذه؛ لأنه إذا عاش رأى ما يسوءه، ومع ذلك لا يقتل نفسه، يتمنى فقط؛ يتمنى العافية، ما يقتل نفسه، لأ؛ يعتزل، ولو أن تلحق بالجبال والغنم. **نعم**.

بَابُ رَفْعِ الأَمَانَةِ

٦٤٩٦ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا هِلاَلُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**».

الشرح:

الأمانة من الإيمان، لأن الأمانة هي أصلها الإيمان، فالمؤمن هو الذي يؤدي الأمانة، ومن الأمانة الوضوء، ومن الأمانة الغُسل من الجنابة، ومن الأمانة الصوم؛ لأن هذه أسرارٌ بين العبد وبين ربه، فالأمانة من الإيمان، فإذا رُفعت الأمانة، معناه أنه رُفِع الإيمان، وهذا يكون في آخر الزمان، أزمان الفتن التي يبيع المرء فيها دينه بعرضٍ من الدنيا، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا.

قال حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما وأنا انتظر الآخر**، قال: «**نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال**» في أصل قلوب الرجال، «**فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة**» يعني التفقه في الدين، ثبات الإيمان.

«**وحدثنا عن رفع الأمانة**»، بماذا؟ بسبب المعاصي، فقال: «**ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها كالوكت**» كالشيء السواد الخفيف في البياض الناصع، «**وينام النومة**» الثانية «**فتقبض الأمانة، فيظل أثرها كجمر دحرجته على رجلك فنفض انتفخ**»، وقال: «**حتى ترفع الأمانة؛ تقبض الأمانة، وحتى يتبايع الرجلان، ولا يكاد أحدهما يؤدي الأمانة، وحتى يقال للرجل ما أَظْرَفه**» دبلوماسي أو لَبِق.

«**ما أعقله**» عنده فكر وسعة أفق، يمدحه وهو منافق.

«**ما أجلده**» شرير، عفريت، صاحب عمل، جد،

«**وليس في قلبه من الإيمان مثقال حبة خردل**».

فهذا رفع الأمانة، رفع الإيمان من القلوب بسبب نقص التعظيم لأوامر الله ورسوله والشرع، الاستخفاف بالشرع واتباع الأهواء والآراء، وتحكيم الشبهات والآراء، هذا الذي يكون سببًا في قبض الأمانة ورفع الإيمان، فيمدح الرجل ويقال: ما أظرفه، ما أعقله، ما أجلده، وليس في قلبه من الإيمان مثقال حبة خردل، نعوذ بالله.

فهذا أمرٌ يحتاج الإنسان أن يحذره، أن يُبتلى بخُلطة مثل هؤلاء، فيذهب دينه وهو ما درى، بسبب هذا، يُورد عليه من الشبهات، والاستحسان العقلي، والاستهجان لما يخالف الهوى من الشرع، وانتقاص أهل الشرع، إلى غير ذلك، والإنسان متأثرٌ بمن حوله، فالإنسان مع إنه عاقل، يتأثر بخلطة البعير والشاة، يقول ﷺ: «**الفخر والخيلاء في الفدانين**» المُصَوِّتين يعني، «**عند أذناب الإبل**»، في رواية في الحديث الآخر: «**في أهل الخيل والإبل**»، الكبر يعني، والغرور الإعجاب، عند أهل الإبل ليش؟ لأنه تؤثر عليهم جفاء، لأن فيها جفاء بطبعهم الخيل والإبل، والسكينة في أهل الغنم، فإذا كان الحيوان يُؤثر عليك، فكيف الفاجر! الفاجر أشد تأثير، والمبتدع أشد تأثير، فتحذر على نفسك.

ولذا أئمة السلف الكبار من أئمة السلف وأهل الحديث، إذا جاءه مبتدع وقال أحدثك بحديث، قال: لأ، ويضع إصبعيه في أذنيه، ولا كلمة واحدةٍ، حَذرًا منهم، يقول: **ما يُؤمنني إذا دخلت الشبهة إلى قلبي لا تخرج**، الشبهة تُحدث وساوس وخواطر وشكٌّ والعياذ بالله.

فلابد للإنسان أن يحذر من هذا، من هذه الشبهات، ومن أهل الأهواء، وأهل البدع، وأهل الفجور، الذين ما عندهم حلالٌ ولا حرامٌ، ما يبالون، والذين يستخفون بالدين والشرائع، والفرائض يستخفون بها، ويستهينون بها، ويستهينون بأهلها. فاحذر من هؤلاء؛ لأنهم أعدى من الجرب.

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وجعلنا هداة مهتدين، ومباركين أينما كنا. والله أعلم

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الدرس السابع

الشيخ لم يطلع عليه بعد.

الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولِوالِدينا وللحاضرين ولجميع المسلمين.

الشيخ: آمين.

قال الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري – رحمه الله تعالى ورفع درجته وإيانا في عليين – في صحيحه في: **كتاب الرقاق**:

بَابُ رَفْعِ الأَمَانَةِ

٦٤٩٦ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا هِلاَلُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**».

٦٤٩٧ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا حُذَيْفَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ، رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا: «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ**».

الشيخ: في «ثم علموا من السنة»؛ فعلموا من القرآن ثم علموا من السنة؛ في تعليق في الشرح على هذا؟.

الطالب: لم يعلق عليها.

الشيخ: في الفتح، طيب.

وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ، فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ،**

فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ» وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا اليَوْمَ: فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلاَنًا وَفُلاَنًا.

الشرح:

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

ففي هذين الحديثين، وما جاء في معناهما: أن الذنوب من أسباب نقص الإيمان، والمرد الكبائر، أو الإصرار على الصغائر، وقد يُرفع الإيمان مؤقتًا، فإن تاب وأقلع رجع الإيمان إليه، وإلَّا كان على خطرٍ من الزيغ.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف:٥]، فيُرفع الإيمان بسبب ما يقترف المرء من الذنوب: من كبائرٍ أو إصرارٍ على صغائرٍ واستهانة بها، وكلما رُفع الإيمان، كلما أُنزل من الفتن، وحصل من الشر والفساد، ومن عقوبة السيئةِ السيئةُ بعدها، كما أن من مثوبة الحسنةِ الحسنةُ بعدها، ومن لزم الإحسان فتح الله له أبوابًا من الإحسان، كما قال تعالى ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى﴾ [مريم:٧٦]، وهكذا من وقع في العصيان واستخف بالذنوب، فإن الذنوب تجر إلى جنسها، هذا خطرٌ عظيمٌ، أن الإنسان يتساهل ويتجرأ على المخالفات وهو يعلم، ثم - والعياذ بالله - يبتُلى بالتسويف للتوبة، الذي ينتج عنه الإصرار وقسوة القلب.

ولذلك بُيِّن في الحديثين أن الذنب إذا ارتكبه المرء، نُكت في قلبه نُكتة، فإذا ارتكب ذنبًا آخر نُكت كذلك، حتى تتسع دائرة السواد على القلب -والعياذ بالله-، ولهذا شُبِّه أثر هذه الذنوب بالوَكْت، يعني بالدَّنس في القلب.

وفي الحديث الآخر: حتى تصبح القلوب على قلبين: فصاحب القلب الحِذر من الذنوب والمبادر للتوبة، ما تثبت فيه هذه النُّكت، بل يبقى القلب أبيض كالصفاء أملس نقيًّا من الذنوب.

وأما الآخر الذي يستخف بالذنوب، لا يُبالي ما ارتكب منها، ويُسوِّف بعد وقوع الذنب، حتى يُفرط ويُبتلى بالإصرار، يَسْوَدُّ قلبه شيئًا فشيئًا بسبب هذا الوكت الذي يزيد، حتى يصبح مُربادًا لا هو أبيض ولا أسود، ورُبَّما زاد السواد فيه، كالكوز مجخيًّا، مثل الكوز المقلوب، الكوب المقلوب، لا يدخل فيه الهدى، مثل أن الكوب المقلوب لا يدخله الماء من المطر، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، نسأل الله العافية، وهكذا يتمادى أَثَرُ الذنوب على القلوب وهو الران، ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين:١٤]، فيصبح رين الذنوب خطيرًا على القلوب يُعمي بصيرتها ويُقسِّيها، وأبعد القلوب من الله القلب القاسي.

ويتجلى هذا أثر كمال الإيمان في استقامة صاحبه، وأثر تحري الإحسان في زيادة هُداه، وفي حسن عبادته لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وحسن معاملته للخلق، حتى تُعْطَف عليه القلوب، وتُجبل على محبته والثناء عليه، ويُشهد له بالخير، ويكون هذا ذُخرًا له عند الله -جَلَّ وعلا-، ومقدمة، وبُشرى له بالخير.

والآخر العكس أنه يصير ذكيًّا جلدًا فطنًا لكن في أمر الدنيا، ويُحرم الاهتمام بأمر الآخرة، فيُمدح لجلده وعقله وفطنته وذكائه، وليس في من الإيمان مثقال حبة من خردل، فيقال للرجل: ما أظرفه، ما أعقله، ما أجلده، وهو لا يؤدي الأمانة؛ لأن الأمانة مرتبطةٌ بالإيمان،

وقد رُفع الإيمان من القلب، ولم يُرَدُّ عليه لأسباب الإصرار على الذنوب، والاستخفاف بها، والتسويف في التوبة.

والمعنى: أنه يشتمل قلبه على النفاق -والعياذ بالله-، ويصبح عبدًا للدنيا، تعس عبد الدينار، تعس عبد الدينار، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميلة، تعس وانتكس، فإذا شِيك فلا انْتَقَش، فيصير جلدًا في أمر دنياه، فطنًّا لأمر معاشه، غافلًا عن إيمانه، وعن أمر آخرته والعياذ بالله.

وهذا مثل ما يصير عليه بعض هؤلاء الذين يدرسون في الخارج، ويتربون في أحضان الكفرة، ويأتون منافقين -عياذ بالله-، مُحِبِّين للكفر والفجور، مُبغضين للإيمان، مُجاملين لأهل الإيمان، يصير مثلما يقول العوام «**حمار كِدّه**»، نشيط في عمله الدنيوي، لكن في أمر الآخرة ما له همة، ولا عنده رغبة، ولا يبالي بما ارتكب ولا وقع فيه، هؤلاء اللي يسمون «**العلمانيون**»، كثير منهم على هذه الشاكلة، يقال للرجل، للشخص منهم: ما أظرفه، ما أعقله، ما أجلده، وليس في قلبه من الإيمان مثقال حبة خردل، صار عبدًا لدنياه، عبدًا لهواه، ولا همة له في الإيمان، ونصرة الدين، وعزة الدين وأمور المسلمين، ما يبالي في هذا، بل يُحس نفسه سجينًا في مجتمع المسلمين، ويَوَدُّ لو تمكن حتى ينشر ما رأى وأَلِف من الضلالة والفجور في تلك البلدان التي تلقى الدراسة فيها، وتنمى أن توجد هذه في المجتمع المسلم -والعياذ بالله-، هذا خطيرُ جدًّا، هذا دليل شؤم الذنوب إذا تراكمت على القلوب، وأنها تُعميها وتُقسِّيها، وتصرفها عن الخير، وتُميلها للشر.

فدل على أن الإنسان لا بد أنه يحضر مجالس الذكر، ويلتزم بفرائض الطاعات في أوقاتها، ويحذر المنهيات، ويحافظ على الأوراد والأذكار في مناسباتها، ويجالس الأخيار، ويحذر صحبة الأشرار، ويسمع ما يُصلح قلبه ويُفيده، ويَحْذر من استماع لما يقسي القلوب، من

الكذب والتمثيليات والأغاني والنكت الفاجرة، فيصون الإنسان سمعه وبصره وحواسه، حتى لا يُؤثر ما ينفذ منها من الشر على قلبه، لا يُنَفِّذ شيئًا من الشر إلى قلبه أبدًا؛ لأن القلب كالإسفنجة، يتشرب ما يرد عليه، من الخير ومن ضده، ولذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦]، فإذا تساهل الإنسان وسمع ما يُلقى في مجالس الغيبة والنميمة والاستهزاء والسخرية بالشرع والمتدينين وغير ذلك، قسى القلب، ومال إلى الفجور، ولذا قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٠] ، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام:٦٨]، فلا يحضر مجالس الغيبة، ومجالس البهت، ومجالس الكذب والنميمة، ولا يستمع للأغاني الفاجرة، ولا الموسيقى والمعازف، ولا للنكات التي فيها استهزاء بالدين وأهله، ولا فضول الكلام الذي لا تُفيده، لا تنفعه لا في أمر دينه ولا في دنياه، يحذر هذه مُضرةٌ بالقلوب، ومُنَقِّصة للإيمان، ومن أسباب الزيغ والفتنة، نسأل الله العافية والسلامة.

وهذا الحديث حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برواياته، حديثٌ عظيمٌ، إذا تأمله الإنسان خاف على قلبه من آثار التساهل وسُوء الخلطة، لأنه يخسر أعز ما لديه يخسر الإيمان -والعياذ بالله-.

ويبتلى بالنفاق كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **الغناء ينبت النفاق في القلب كما يُنبت الماء الزرع**. فالأصوات الفاجرة والمعازف تفسد القلوب، ابتُلي الناس بها في هذه الجَوَّالات، وهذه الأجهزة الآن، لا تسلم أبدًا، وإذا كثر المِساس قَلَّ الإحساس، فهي خطيرةٌ على الناس،

صار الناس الذين فيهم صلاح وفيهم خير يتساهلون، يقول: هذه نغمة، لا يقول: هذه موسيقى، لا هذه نغمة، أو يقول هذه اضطرارية من الشركة!، طيب هذا عذرٌ هذا! فالأمر خطيرٌ ولا يصلح التساهل فيه.

وكلما تأخر الزمان -في الجملة- زاد الشر، كما قال ابن مسعود، وذكر عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**لا يأتي زمان إلا والذي بعده شَرٌّ منه**»، سمعت هذا من نبيكم ﷺ، والسبب أنه يَقِلُّ العلم، وينقص الفقه، وتظهر الأهواء، وتغلب الشهوات، ويُعجب كل ذي رأيٍ برأيه، وينقص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتضعف الدعوة، فتُرفع السنن، وتُحْدَثُ البدع، وهذه المصيبة، حتى يستشري ذلك في المجتمع، فيستوجب العقوبة.

ولذلك سُئل النبي ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال ﷺ: «**نعم إذا كثر الخبث**»، إذا ظهر يعني الخبث، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يُعذِّب العامة بذنب الخاصة، إلا إذا تُرِك تغيير الذنب، تغيير المنكر وظهر، فإذا ظهر استوجب المجتمع العقوبة -نسأل الله العافية-، فالذنب الخفي والمنكر الخفي لا يضر إلا صاحبه، لكن إذا ظهر ولم يُنكر لم يُغير، ضر صاحبه وغيره، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٥]، قيل إن الذين ظلموا قسمان: قسمٌ ارتكب المنكر، وقسمٌ سكت وواطأ، لم ينه ولم يُغير ولم يهجر ويُهاجر، فعمتهم العقوبة ويُبعثون على نياتهم. **نعم**.

٦٤٩٨ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا،

الشيخ: رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ جميعًا تغليبًا.

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ، لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً**».

الشرح:

يعني لا تكاد تجد فيها راحلة إلا واحدة، يعني إن وَجَدت وَجَدت واحدةً، فدليل هذا على أن الناس كثيرٌ منهم في غفلةٍ من جهة العلم، وتحري العلم، وطلب العلم، ومن جهة الإيمان: تحقيق العلم بالعمل، ومن جهة الدعوة والسعي في الإصلاح، وهذا هو الذي يُضعفه وينقص إيمانه، فتكون المسؤولية قليلًا في الناس؛ لأن العلم النافع الذي يُحَقَّق بالعمل الصالح ويُزكي أهله، ويجعلهم ينالون من الله ﷻ التسديد والإصابة، وإذا غفلوا وتغافلوا وتُركوا وغُفل عنهم، صار هذا من أسباب النقص، فيَقِلُّ منهم من يُراعي الأمانة، ولو تولى مسؤوليةً لا يُراعي الأمانة، لا يؤدي أمانته، فلذلك يعز وجود الكُفؤ، وإذا كان هذا في زمن النبي ﷺ، وما بعده، فكيف بأزماننا هذه، وهذا يدل على أن الإنسان يتعين عليه أن يَجِدَّ في طلب العلم، وما بَعَثَ به الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نبيه ﷺ من الهدى ودين الحق، وأن يُحقق علمه بالعمل، وأن يُحسن إلى الناس ببذل العلم، ونفعهم به، كما أحسن الله إليه، ويجتهد في ذلك رجاء أن يجعله الله ﷻ حَلْقَةً في سلسلة سند العلم من لدن النبي ﷺ إلى آخر الأمة، فكلما بُذِل العلم وتُقُبِّل من الناس وحُقِّق بالعمل، زكت أخلاق الناس، وزكى إيمانهم ونفوسهم، وكلما أُهمل وهُجر وضعفُ تعاطيه وبذله وقبوله كلما نقص الإيمان وقل الزكاء، ولذا قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ١ - ٢]، هذا فيه تذكيرٌ بنور العلم، إلى

قوله : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ - ٩]، يعني بالعلم النافع والعمل الصالح، والمجاهدة ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ﴾ [العنكبوت:٦]، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:٦٩]، جاهدها على التزكية، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس:١٠]، من وَكَلَهَا إلى نفسها وهواها، فضيعها، وأضلها، ودنسها، خاب وخسر وهلك، فدل على أن الإنسان يُجاهد نفسه على حضور مجالس العلم، وملازمة مجالس الذكر، والحرص على السَّبق للفرائض وأدائها على أحسن الوجوه، ثم تكميل الفرائض بالنوافل من جنسها، والبعد عما نهى الله عنه، والبُعد عن حِماه، والنهي عن أصحابه حتى لا يُبتلى بما هم عليه من الضلالة، فيُصاحب الأخيار ويترك الأشرار، ويحرص على العلم، ويَبْعُد عنها القيل والقال، وحديث الفضول الذي يضر، وهكذا. **نعم**.

بَابُ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ

الشرح:

الرياء: هو الالتفات إلى الخلق بشيءٍ مما يُبتغى به وجه الله، فيكون الرياء في الفعل؛ بالفعل يعني؛ بالطاعة، مثل الذي يتصدق ليقال هو جوادٌ، ويجاهد ليقال هو شجاعٌ، ويُحَسِّن صوته ليقال هو قارئٌ، فالرياء يكون بالأفعال، فالإنسان يتوجه بشيءٍ من الأفعال التي يُبتغى بها وجه الله إلى الخلق، طلبًا لمحمدتهم، والتصدر في مجالسهم، أو تحصيل شيءٍ من دنياهم.

والسمعة تكون مثل ذلك لكن في الأصوات: في الخطابة، في القراءة، في الموعظة، في الدرس، أنه يُحَسِّن صوته في هذه الأشياء، لا ليُوصل الحق للقلوب، وإنما ليُمدح، ويُثنى عليه، ويُحصل شيئًا من دنيا الناس، فتكون السمعة فيما يُسْمَع، في الصوت يعني، وتكون السمعة أيضًا بالفعل الخفي الذي بين العبد وبين ربه من الطاعات: مثل قيام الليل، وصدقة السر، واعتياد متابعة الحج والعمرة مثلًا، ثم يُحَدِّث بذلك الناس لأجل أن يمدحوه، لأجل أن يكون له منزلة في صدورهم، ولأجل أن يُصَدَّر في مجالسهم، أو ينال شيئًا من دنياهم، فيَذْكُر هذا الأمر الخفي الذي بينه وبين الله، من أجل أن يعظموه ويجلوه، فيكون ابتغى به ما عند الناس لا ما عند الله، وهذا -نسأل الله العافية- ضَرْبٌ من النفاق، وأمارةٌ على قلة الخشية.

في الحديث الصحيح أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقول: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري، فعمله للذي أشرك، وأنا عنه غني**».

وفي الحديث الآخر أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يقول للمرائين يوم القيامة: «**اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤون منا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء**» أو كما جاء في الحديث.

وفي مثل ذلك نَزَل قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف:١١٠]، يعني خالصًا لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ من جهة القصد والنية، وصوابًا على وفق الشرع في أصل المشروعية، وعلى السنة في الأداء والكيفية، فلا يكون العمل صالحًا إلا بذلك، ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠] يعني يحذر الشرك الأكبر والأصغر؛ لأن من ابتُلي بالأصغر جَرَّهُ ذلك إلى الأكبر، فكان النبي ﷺ يخاف على أصحابه، مع سابقتهم، وقوة إيمانهم، ورسوخهم في العلم، يخاف عليهم الرياء الأصغر، فنحن يُخاف علينا الأكبر والعياذ بالله. **نعم**.

٦٤٩٩ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ، ح/ وَحَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سَلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدَبًا، يَقُولُ: - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ غَيْرَهُ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ».

الشرح:

وهذا جزاءٌ من جنس العمل والمشاكلة، مشاكلة؛ شاكل العمل، فيكون -والعياذ بالله- حظ المُسَمِّع والمرائي الخسران -والعياذ بالله-، فيذهب عليه أجره، ولا ينفعه الخلق، نسأل الله العافية. **نعم.**

وهذا فيه: الحض على المجاهدة -مجاهدة النفس- على الإخلاص؛ إخلاق القصد والنية وابتغاء ما عند الله -جَلَّ وعلا-؛ لأن الناس قد يفعلون الشيء من الخير أو العمل الصالح على لأغراضٍ دنيويةٍ، لطلب متاعٍ عاجلٍ، أو عصبيةٍ لقرابة، أو حميةٍ، أو لأهداف: يقي ماله أو نحو ذلك.

ولذلك قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ يعني حديث بعضهم إلى بعض ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء:١١٤]، فهذا فيه خيرٌ: إما دنيا وآخرة يعني مع الإخلاص، أو أمر الدنيا فقط، ولذلك لما صارت مقاصد الناس في هذه الأمور مختلفة، فمنهم من يبتغي وجه الله ﷻ، ومنهم من يبتغي حظوظ الدنيا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤]، يعني جعل الأجر العظيم مرتبًا على الإخلاص لله -جَلَّ وعلا-، كما في الآية الأخرى: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ

إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٧٢] فالثواب مترتبٌ على الإخلاص مع الإصابة للشرع، وما سوى ذلك فهو مضمحلٌ ومتلاشٍ وذاهبٌ وباطلٌ. **نعم**.

بَابٌ: مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ

٦٥٠٠ - حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «**هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ إِذَا فَعَلُوهُ**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ**».

الشرح:

هذا الحديث لبيان أن الإنسان يُجاهد نفسه على الإخلاص، حتى ينجو من العذاب، فإذا أدى حق الله عليه فإن الله يُثيبه.

وحق الله التوحيد.

وحق العباد على الله العدل؛ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُجازيه بما يستحق ولا يظلمه، فلا بد أن تفهم هذا.

والثواب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فضلٌ؛ لأن الله هو الذي خلقك، وهو الذي هيأك لما خَلَقَكَ له، وهو الذي فطرك على توحيده وطاعته، وهو الذي أخذ عليك العهد والميثاق وأنت في صلب أبيك آدم على توحيده وطاعته، وأَقْرَرْتَ له بذلك، وهو الذي وهبك العقل الذي تُميز به بين النافع والضار من المعاني، وهو الذي بَصَّر عقلك بالشرع، فَذَكَر محاسن الشرع، ومساوئ مخالفته، ومثوبة الاستقامة على الشرع، وشؤم مخالفة الشرع، وهو الذي شرح

صدرك لقبول العلم والتأثر به، وهو الذي أعانك على فِعْل الطاعة وتَرْك المعصية، وهو الذي ثَبَّتَك على الهُدى، فأَهَّلك للثواب، وهو الذي ضاعف المثوبة، وهو الذي يُعطيك زيادةً في المثوبة من غير مقابل عمل؛ فضلٌ منه، كل هذا فضل من الله وليس لك فضلٌ على الله.

فمن هداه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فبفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه، اللهم اهدنا فيمن هديت.

ومن أضله الله فبعدله فيه، فنعوذ بعزته أن يضلنا بعد إذ هدانا.

فلذلك الإنسان يستذكر هذا الأمر العظيم، فالتوفيق للإخلاص لله -جَلَّ وعلا- وابتغاء وجهه نعمةٌ من نِعمه -جَلَّ وعلا-، وكون الإنسان لا يُوفق حتى يُبتلى بالرياء، ويُبتلى بالسمعة، ويُبتلى بالشرك الصغير والأكبر، فهذا -والعياذ بالله- خذلان، ودليل أن العبد وُكِل لنفسه، بسبب غفلته وتغافله، فيجاهد نفسه على التوحيد وعلى الاستقامة والإخلاص، وعلى السنة والشرع، ولذا قال تعالى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت:٦] ، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ وعد من الله ﷻ ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩]، فيحرص المرء على المجاهدة وعلى الإخلاص، حتى لا تدخل عليه شبهات الشيطان، ولا يُبتلى بخُطواته: أنه يفعل الشيء مجاملةً أو مجاراةً للناس، أو من أجل دنيا، أو محافظةً على السمعة، أو ما أشبه ذلك، فهذه هي البلايا.

ولذا لما قيل لبعض السلف: تعال معنا نشهد هذه الجنازة، قال: دعني حتى أنوي، يعني: دعني أُراجع نيتي وأصحح نيتي لأحضر الجنازة، طمعًا في القيراط، لا مجاراةً للناس ولا مجاملةً ولا محافظةً على سمعة، أني أحضر حسبةً، هذه المجاهدة، هذا ما هو بوسواس، هذا مجاهدة للنفس، وإلزام للنفس بالإخلاص، والتجرد لله -جَلَّ وعلا-.

وقد سئل النبي ﷺ عن المُجاهد، عن الذي يجاهد حمية، والذي يجاهد ليُرى مكانه، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «**من جاهد لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»، ومعنى

ذلك: أن الإنسان عند كل عملٍ مِنْ فِعْلٍ أو تَرْكٍ، لا بد أن يذكر رقابة الله عليه، وينظر هل يُحبه الله ﷻ، وما الذي يُحبه الله ﷻ في هذا المقام، فيفعل ما يحبه الله ﷻ، ويترك ما لا يحبه، فتقوى الله ﷻ في كل مقامٍ بحسبه، استحضر في المقام حق الله عليك، فبادر إليه سواءً كان فعلًا أو تركًا، حتى تعتاد ذلك وتُوفق له وتُثبت عليه، فلا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، وتكون لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على ما يُحب، حتى يكون لك على ما تُحب، هكذا ينبغي. نعم.



بَابٌ: التَّوَاضُعُ

الشرح:

التواضع قريبٌ من الإخلاص؛ لأنه تَرْكُ حظ النفس، وترك وازدراء الخلق، ترى أنك مثل هذا سواسية، كلكم عبادٌ لله، وكلكم محل للصواب والخطأ، وكلكم عُرْضَةٌ للقصور والنقص، ما تتكبر، تتواضع للناس تواضعًا لعظمة الله وجلاله، لا تُنازع الله في شيءٍ من خصائصه.

تواضـــع تكـــن كالبـــدر لاح لنـــاظرٍ ... علـــى صـــفحات المـــاء وهـــو رفيـــع
ولا تكبـــر كالـــدخان يعلـــو بنفســـه ... علـــى طبقـــات الجـــو وهـــو وضـــيع

فيجاهد الإنسان نفسه على هذا، كلما تجرد الإنسان لله ﷻ كلما سَهُل عليه التواضع، وكلما أُعجب بنفسه، ابتُلي بالكبر، بعض الناس يعدون الكبر من باب المحافظة على الشخصية، وتحصيل الهيبة؛ يدخل عليهم الشيطان من هذه الأبواب والعياذ بالله، وهذه فتنةٌ عظيمةٌ وشرٌّ؛ كان ﷺ وهو سيد الخلق، وحبيب الحق، سهلًا متواضعًا، حتى إن الجارية لتأخذ بيده إلى حاجتها فيذهب معها لحاجتها، يعني يمين الطريق أو يسار الطريق؛ ما يستنكف؛ لشفقته ﷺ، ولتواضعه لعظمة الله وجلاله، وخوفه من الله، كان إذا أَخَذَ بيده أحدٌ لا يترك يده حتى يترك ذاك يده. **نعم**.

٦٥٠١ - حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةٌ- قَالَ: ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ: أَخْبَرَنَا الفَزَارِيُّ، وَأَبُو خَالِدٍ الأَحْمَرُ، عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كَانَتْ نَاقَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ تُسَمَّى: العَضْبَاءَ، وَكَانَتْ لاَ تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ فَسَبَقَهَا، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، وَقَالُوا: سُبِقَتِ العَضْبَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يَرْفَعَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ**».

الشرح:

يعني: ما أَثَّر هذا في نفس النبي ﷺ، هذا لحِكمةٍ، حتى يبقى العُلُوُّ لله عَزَّ وَجَلَّ، فلا يُنازع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في علوه، ولا في كبريائه، ولا في عظمته. **نعم**.

٦٥٠٢ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ،..».

الشرح:

الولي ولي الله عز وجل، المؤمن التقي، من أدى فرائض الطاعات، واجتنب المنهيات، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]، فإذا كَمَّل أداء فرائض الطاعات والنوافل والمستحبات التي من جنسها، واحتاط باتقاء المنهيات واتقاء الشبهات، كان هذا أكمل.

فالإيمان والتقوى أعلى درجة الولاية لله عز وجل.

والله تعالى قال: من عادى لي وليًّا، يعني آذاه وترصد له بالإيذاء وغير ذلك، فقد أذنته بالحرب، أعلمته أني محاربٌ له، وهذا من دفاع الله عز وجل عن أوليائه، ومدافعته -جَلَّ وعلا- لأعدائه عنهم.

ثم فَصَّل في هذا وقال: وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه؛ لأن التقرب إلى الله عز وجل بفرائض الطاعات هو الأول، هو الواجب، مثل ما يتقرب بفرائض الطاعات، يتقرب إلى الله عز وجل باجتناب الكبائر؛ المنهيات، ففعل الطاعات مقصودٌ لذاته؛ لأنه به يتحقق الإيمان، وترك المنهيات مقصودٌ لغيره، للمحافظة على الإيمان، والحِيطة واجتناب ما يُسبب نقض الإيمان أو نقص الإيمان.

فالله عز وجل ما أمر بالطاعات إلا لمصلحته الراجحة؛ لأنها مُصلِحةٌ للقلوب، مصلحة للأحوال، مصلحة للعواقب، في الحاضر والعواقب، فهي صلاحٌ بذاتها؛ الطاعات.

وما نهى عن المنهيات للتضييق على العباد، أو لحرمانهم، لا؛ لِمَا فيها من المضرة الراجحة؛ المفسدة الكاملة أو الراجحة، فنهى عن المنهيات ليحفظ لهم الإيمان، ليحفظ لهم الطاعات، ولأجل أن يُثيبهم ويُعِيضَهم عنها من كرامته يوم القيامة، ومن تَرَك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه. **نعم**.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ،..».

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى افترض عليك أداء الواجبات، وترك المنهيات، كل هذه فرائض، فالفعل فريضةٌ، والترك فريضةٌ. **نعم**.

«وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ».

فالنوافل جعلها الله ﷻ مُحَافَظَةٌ على رؤوس الأموال على الطاعات، فالطاعة هي رأس المال؛ الفرائض، وجعل النوافل وسيلةً للمحافظة على رؤوس الأموال على الطاعات والفرائض، إذا كان الإنسان مجتهدًا بالنوافل، فهو حَرِيٌّ أن تكون طاعاته وفرائضه كاملة، أما إذا انتقص النوافل، فهو حريٌّ بنقص الفرائض، لا بد، ثم إن النوافل تُكَمَّل منها نواقص الطاعات، لو وُجِدَ فيها نقصٌ يُكَمَّل من ثواب النافلة، ولهذا جعل الله ﷻ لكل نوعٍ من الفرائض أو جنسٍ من الفرائض مثلها من النوافل.

وفي الحديث الصحيح: «**إن أول ما يُنظر للعمل يوم القيامة، يُنظر للصلاة، فإن وجدت نظر فيه، وإن لم توجد لم ينظر فيه**».

وفي الحديث الآخر أنه إذا نُظر فيه ووجدت الصلاة، فإن وجدت تامةً كُتبت تامةً، وإن وُجدت ناقصة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للملائكة: انظروا هل لعبدي من نوافل فيُكتب بها ما

انتقص من فريضته، فيفعل ذلك، ثم يُسَارُ بعمله على هذا النهج، كل فريضة تُكَمَّل من نافلتها:

ففريضة التوحيد من الذكر والدعاء، وفريضة الصلاة من نافلة الصلاة، وفريضة الزكاة من نافلة الصدقة، وفريضة الصوم من نافلة الصوم، وفريضة الحج والعمرة من نافلة الحج والعمرة، وهكذا.

فهذه من فوائد الاعتناء بالنوافل، أن يحافظ على فرائضه وهي رأس ماله، وأن يستزيد من فضل ربه، وأن يحتاط لتكميل نَقْصِ عمله، ثم في نص الحديث: أن أداء النوافل مما يُحبب العبد إلى الله ﷻ، وأنها من أسباب مدافعه الله عن وليه، وأنها من أسباب إجابة دعاءه، وأنها من أسباب حِفظه، وأهم شيء حِفظ إيمانه، وحفظ عقله وبدنه، وحفظ ما متعه الله به من قُواه ومن رزقه، هذه منافع عظيمة للنوافل، فلا يستهين بالنوافل إلا غير فقيه، لا يستهين بالنوافل إلا محرومٌ، ويكون الإنسان حريص على الفرائض، ثم على النوافل، وهكذا، مثل ما يتقي المنهيات يتقي الشبهات، نفس الشيء. **نعم**.

«وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ».

والمعنى أن الله يحفظه في حواسه وجوارحه، ويُسدده، ويُوفقه لاستعمالها فيما يُرضيه، ويُمتعه بها مُدَّة حياته. **نعم**.

«وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ».

فهذا كذلك: من فوائد النوافل، وأنها من أسباب إجابة الدعاء، وتَحقيق المطلوب، ودَفْع المرهوب. **نعم**.

«وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

وفي رواية أخرى التصريح: «**تَرُدُّدي في قبض رُوح عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته**»، المؤمن يكره الموت، من أجل أنه يترتب عليه انقطاع العمل، ويُحب استمرار العمل، ما هو كراهيةٌ للقاء الله ﷻ؛ لأن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا استشكلت هذا واستفسرت من النبي، لما قال ﷺ: «**من أحب لقاء الله تعالى، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله تعالى، كره الله لقاءه**»، قالت: يا رسول الله، أهو الموت؟ فكلنا نكره الموت، قال: «**لا يا ابنة الصديق، ولكن المؤمن إذا كان في إدبارٍ من الدنيا، وإقبال إلى الآخرة، بُشِّر** - وفي رواية: **أُري مقعده من النار، وأنه أُبدل به مقعده من الجنة، فلا يكون غائبٌ أحب إليه من الموت، فيشتاق للقاء الله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يشتاق للقائه**».

جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠]، قال: ما من أحدٍ يحضره الموت، إلا تمنى الرجعة، فإما محسنًا فيزداد، وإما مسيئًا فيستعتب.

فالمؤمن يكره الموت؛ لأنه يترتب عليه انقطاع العمل، ولهذا عَدَّ الله -جَلَّ وعلا- الموت مصيبةً، قال: ﴿ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [المائدة:١٠٦].

وذُكِر عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لما حَضَرَهُ الموت، قال: **اللهم إني أحتسب نفسي عندك، فإني لم أصب بمثلها قط**.

فهنا يُخبر الله -جَلَّ وعلا- أنه يتردد في قبض روح عبده المؤمن، ليش؟ كرامةً للمؤمن عند الله -جَلَّ وعلا-، إظهارًا لكرامة المؤمن، يكره الموت، وأُكره مساءته، يعني: أكره ما

يسوؤه، لكنه سبق في قضاء الله وقدره أنه يموت، كلُّ نفسٍ لها أجلٌ، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٤]، فصار فيه أمران:

قضاء الله السابق الذي لابُدَّ من نفاذه.

ورغبة المؤمن اللاحقة في أن يفسح له في أجله ليزداد من صالح عمله، ويستقيل ويستعتب من تقصيره وزلله؛ فسمي هذا ترددًا، ثم بُيِّن أنه لا بد أن يَنْفُذ ما سبق به العلم، وجرى به القلم، لا بد له من الموت، لكن صار في هذا إظهار التردد بيان كرامة المؤمن على الله ﷻ، ومحبة الله لما يحبه المؤمن، وكراهته لما يكره المؤمن، وفي هذا إظهارٌ لقدر المؤمن عند الله -جَلَّ وعلا-. **نعم**.

بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»

الشرح:

أنا والساعة كهاتين، السَّبَّاحة والتي تليها الوسطى، يعني: قُرب بعثته ﷺ من الساعة بحساب الزمن الذي قد مضى، فبُعث النبي ﷺ في آخر الزمان، وبَعثته كانت من أشراط الساعة، ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨].

وفي هذا: الحض على اغتنام فرصة الحياة بصالح العمل، والتوبة من التقصير والزلل.

نعم.

﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النحل:٧٧].

٦٥٠٣ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ، عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَكَذَا» وَيُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ فَيَمُدُّ بِهِمَا**.

الشرح:

السباحة والوسطى، هذه السباحة يُسميها العوام السبابة، ويُشار بها عند السب والتعيير، وهي في الشَّرع السباحة، كان النبي ﷺ يشير بها عند التسبيح والذكر، والوسطى التي تليها، يعني القُرب ما بين بعثة النبي ﷺ والساعة بالنسبة لما مضى من الزمن، فما بَقِي يسيرٌ بالنسبة لما مضى. **نعم**.

٦٥٠٤ - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ هُوَ الجُعْفِيُّ، حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، وَأَبِي التَّيَّاحِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**».

الشرح:

هذا مثل ما سبق في عمر الزمن بالنسبة لما مضى، فمضى زمنٌ طويلٌ قبل بعثة النبي ﷺ من أول الدنيا، فإن النبي ﷺ بُعث في آخر الدنيا، على قُرْبٍ من الساعة، ولهذا من أسمائه ﷺ: **الحاشر**، يعني: الذي يُحْشَرُ الناس على قدميه، يعني على أَثَرِه، وإلا فالزمن طويلٌ بالنسبة للناس، حتى أنه ذُكِرَ في بعض الآثار أنه بعد نزول المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقَتْله الدجال، وموت المسيح، أنه يَتَمَثَّل الشيطان للناس، ويُزين لهم عبادة الأوثان، فيَبقى من شاء اللهُ على إيمانه، ويقع كثيرٌ من الناس في عبادة الأوثان، ثم بعد ذلك تطلع الشمس من مغربها، وتخرج الدابة، فأيتهما كانت الأولى، فالأخرى على إثرها، فيُختم على القلوب، فالمؤمن لا يَكفر، والكافر لا يُؤمن، ويَتَبَايع الناس، ويُخاطب أحدهما الآخر، فالمؤمن يقول لذاك: يا كافر، والكافر يقول لذاك: يا مؤمن، ثم تهب ريحٌ من قِبل الشام باردةٌ، فتصيب المؤمنين في آباطهم، فتقبض أرواحهم، ويبقى الكفار يتهارجون كتهارج الحُمُر، ذُكِر أنهم هذه المدة تبلغ مائة وعشرين سنة، يعني قبل قيام الساعة، وهذا دليلٌ أن حساب الزمن طويل في عِلم الله -جَلَّ وعلا- بالنسبة للناس، وهو عند الله ﷻ قصيرٌ، كما قال تعالى عن يوم القيامة: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ - ٧]؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحي القيوم، الحي الذي لا يموت.

نعم.

٦٥٠٥ - حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**» يَعْنِي إِصْبَعَيْنِ.

تَابَعَهُ إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ.

الشرح:

وأنت: انظر إلى عمرك، وأنه محدودٌ، ومنذ وُلدت وأنت تهدمه، فما مضى منه لا يعود إليك، فتستنفذ الأنفاس، وتستكمل الرزق والعمل، والأجل مُغَيَّبٌ، فلا تغتر بطُول الدنيا؛ لأنك لا تدري ما نصيبك منها، فاغتنم حياتك بطاعة الله -جَلَّ وعلا-، واحذر الغفلة، ولا تغتر بالغافلين، لا تكن من الغافلين، ولا تغتر بالغافلين، احزم أمرك.

ولذا جاءت النصوص بالأمر بالمسابقة إلى الخيرات، والمسارعة إلى الجنات، جاء في السنة المبادرة إلى الطاعات، ومبادرة الفتن بالأعمال الصالحات، وما لغير ذلك. **نعم**.

بَابٌ: طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا

٦٥٠٦ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨] وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ، وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَحَدُكُمْ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا».

الشرح:

يعني: هذا بيان بأَخبار آخر الزمان، لما تستحكم الغفلة، ويُفاجئ الناس بالقيامة، وتظهر الأمارات الكبرى، والأشراط الكبرى، ومنها طلوع الشمس من مغربها، ومنها ظهور دابة الأرض، التي تَسِم الناس وتُخاطبهم، وأنهما على الولاء أيتهما كانت أولًا ظهرت الأخرى على إثرها، وعندئذ يُختم على القلوب، فيُبادر المرء فرصة الحياة بالعمل الصالح، والتوبة من القبائح، قبل أن يغلق الباب. **نعم**.

بَابٌ: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ

٦٥٠٧ - حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ». اخْتَصَرَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَعَمْرٌو، عَنْ شُعْبَةَ.

وَقَالَ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ سَعْدٍ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

الشرح:

ولا بد له من الموت يعني.

الله - تعالى - قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾ [البقرة:٢٢٣]، فلقاء الله ﷻ يكون عند الموت، عند مُقَدِّمات النزع، فيُبشر المؤمن بما يسره، فيفرح، ويُحب لقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويُبشر الكافر والمنافق بما يسوؤه، فيحزن ويتمنى عدم الموت، ولا بد له منه، وهذا من عاجل بشرى المؤمن:

وأول هذه البشرى: أن يُوَفَّق الإنسان إلى الرغبة في طلب العلم، ويتحقق له الطلب ويتيسر، لقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيرا، يفقهه في الدين**».

والثاني: أن يُوفق للعمل بعلمه، على وفق الشرع ابتغاء وجه الله ﷻ، لقوله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير استعمله؟**»، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**يفتح له بين يدي موته باب عمل صالح**»، والمعنى: يثبته الله عليه، حتى يلقى الله عليه.

كذلك من المبشرات: أن الإنسان يَثْبُت على طلب العلم، وعلى تحقيقه بالعمل، ونفع الخلق به، حتى يصير سجيةً له، ويحبه من يعرفه ومن لا يعرفه، ويشهد له به صديقه وخَصْمه، فيُثْنَى عليه يوم موته بعمله الصالح، هذا من عاجل البشرى لحديث: «**أنتم شهداء الله في أرضه، من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار**».

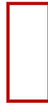
من البشرى كذلك: أنه يُيسر الله ﷻ له رؤيا صالحة، يراها هو لنفسه، أو تُرَى له، تكون مبشرةً ومطمئنةً، فلم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة، يراها الرجل الصالح أو تُرَى له، كل هذا من عاجل البشرى.

ومن عاجل البشرى: أنه عند النزع، يُبَشَّر بالأمن من النار، وأنه من أهل الجنة، ويُرى مقعده، وهذا مما يُذكر في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [يونس:٦٤].

بركة.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

الله يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح.



الدرس الثامن

الشيخ لم يطلع عليه بعد.

الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالدينا وللحاضرين ولجميع المسلمين.

قال الإمام البخاري -رحمه الله تعالى ورفع درجته في عليين- في **كتاب الرقاق** في:

بَابٌ مَنْ أَحبَ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ

٦٥٠٨ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ العَلاَءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**».

٦٥٠٩ - حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، فِي رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: «**إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ**» فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى السَّقْفِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى**» قُلْتُ: إِذًا لاَ يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا بِهِ، قَالَتْ: فَكَانَتْ تِلْكَ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ قَوْلُهُ: «**اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الأَعْلَى**».

الشرح:

الحمد لله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها، تفيد بأنه لا بد من لقاء الله ﷻ، واللقاء إنما يكون بعد الموت، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ﴾ [البقرة:٢٢٣].

ومن اللقاء أن المؤمن يرى ربه -جَلَّ وعلا-.

وفي الأحاديث هذه: الحض على أن الإنسان المؤمن يستعد بالعمل الصالح، ويتهيأ للقاء الله -جَلَّ وعلا- متى ما جاءه الموت؛ لأن الموت مغيبٌ، والساعة مغيبةٌ ساعة الموت مغيبة، لكن المؤمن إذا كان على العمل الصالح، وحضره الموت، وبدأ به النزع، فإنه يُبشر بما له عند الله -تبارك وتعالى- من الكرامة، فيحب لقاء الله -جَلَّ وعلا-؛ لأنه اطمأن على مستقبله، وإن كان يكره الموت؛ لأنه يقطعه عن صالح عمله، لَكِنْ بشارةٌ بمستقبله وما له عند الله من الكرامة تهون عليه المصيبة، وتهون عليه شدة الموت؛ لأنه علم مقعده، ولذا جاء في الحديث الصحيح: «أنه لا يكون غائبٌ أحب إليه من الموت».

ففي هذا: التذكير بالاستعداد بالعمل الصالح قبل معاينة الموت، حتى أن الإنسان يُبشر بمثوبة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وكرامته.

والنبي ﷺ حضره الموت، وبُشِّر، ولذلك قال: « **اللهم الرفيق الأعلى**».

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء:٦٩] ، فيُلحق بالكرام والصالحين؛ بالأخيار، وهكذا المؤمن إذا احتُضر بُشِّر، وفرح، واغتبط، وهان عليه الموت مع شدته، وهانت المصيبة به مع الفجيعة -فجيعة انقطاع العمل-؛ لأنه يُطمئَن على مستقبله، يُرى مقعده من النار ومقعده من الجنة، ويقال: هذا مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فلا يكون غائب أحب إليه من الموت. **نعم**.



بَابُ سَكَرَاتِ المَوْتِ

٦٥١٠ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ أَبَا عَمْرٍو ذَكْوَانَ مَوْلَى عَائِشَةَ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ -أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، يَشُكُّ عُمَرُ- فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: العُلْبَةُ مِنَ الخَشَبِ، وَالرَّكْوَةُ مِنَ الأَدَمِ.

٦٥١١ - حَدَّثَنِي صَدَقَةُ، أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رِجَالٌ مِنَ الأَعْرَابِ جُفَاةً، يَأْتُونَ النَّبِيَّ ﷺ فَيَسْأَلُونَهُ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى أَصْغَرِهِمْ فَيَقُولُ: «**إِنْ يَعِشْ هَذَا لاَ يُدْرِكْهُ الهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ**»، قَالَ هِشَامٌ: يَعْنِي مَوْتَهُمْ.

٦٥١٢ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَةَ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ، فَقَالَ: «**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا المُسْتَرِيحُ وَالمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: «**العَبْدُ المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلاَدُ، وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**».

٦٥١٣ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ رَبِّهِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَلْحَلَةَ، حَدَّثَنِي ابْنُ كَعْبٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ، المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ**».

٦٥١٤ - حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاَثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ**».

٦٥١٥ - حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ، غُدْوَةً وَعَشِيًّا، إِمَّا النَّارُ وَإِمَّا الجَنَّةُ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى تُبْعَثَ إِلَيْهِ**».

٦٥١٦ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الجَعْدِ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا**».

الشرح:

هذه الأحاديث كسابقتها ولاحقتها، كلها في الرقاق، يعني فيما يُرقق القلوب، ويُذكر بالمستقبل الحقيقي بعد الموت، وذلك يَحمل العاقل على الاستعداد له، بما يكون سبب نجاته من عذاب الله ومن ناره، وسعادته بدخول الجنة، نسأل الله الكريم ذلك.

ومن ذلك الحديث الأول: أن النبي ﷺ كان وهو يُعالج النزع، كان بجانبه علبة أو ركوة يعني إناء من جلدٍ أو من خشبٍ، أو من جلدٍ فيه خشبٌ في أعلاه، وفيه ماءٌ باردٌ، فكان ﷺ يُعاني من شدة الحرارة، حرارة النزع، فكان يجعل يده أو يديه في الإناء، ويمسح بهما وجهه ليخفف الحرارة، ويقول -في هذه الأثناء-: «**لا إله إلا الله، إن للموت لسكرات، اللهم أَعِنِّي على سكرات الموت**».

فدل ذلك على أن النبي ﷺ عانى من شدة النزع، مع أنه أكرم خلق الله عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لكن لله الحكمة في ذلك، ليكون أسوة للمؤمنين، ولأن التشديد في النزع من أسباب محو الخطيئات، وعِظم الحسنات.

مثل ما كان النبي ﷺ مرض، وكان يوعك كما يوعك رجلين منكم.

فكذلك يُشَّدد عليه النزع؛ لأن هذا يكون تسلية للمؤمنين، إذا شُدِّد عليهم، ولما فيه من استكمال الأجر، ورفعة الدرجة، وما بعد الموت بالنسبة للمؤمن أهون من الموت، وبالنسبة للكافر ما بعده أشد منه، وإذا بُشِّر المؤمن خَفَّف ذلك من ألم الموت ومعاناته، وقد حدثت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا عن ما عانى النبي ﷺ من شدة النزع حتى قالت: **أني لا أغبط أحدًا على سهولة الموت بعدما رأيت من النبي ﷺ**.

جاء في الحديث الصحيح، أن فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا حضرت أباها عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وهي في النزع، فقال: واكرب أباه! فقال: «**ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم**»، يعني أنه الآن في كربٍ، لكن ليس عليه كربٌ بعد اليوم، فأقرها على توجعها له لشده كربه عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، وهذه سنة الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وحكمته، إذا كان أنه الإنسان يُعاني شدة وخطر الموت، عند خروجه من رحم أُمِّه، فمن باب أولى أنه يُنازع ويُعاني الشدة العظيمة والكرب الشديد عند انفصال روحه من جسده؛ لأن الموت ليس فناءً محضًا، وإنما هو انفصال الروح عن الجسد، والروح تخرج من كل ذرةٍ من ذرات الجسد.

وفي هذا التذكير بهذا الأمر الذي لا بد من أجل أن يستعد المرء له بالعمل الصالح، ولذلك المؤمن يستريح بالموت؛ لأنه يُفضي إلى رحمة الله -جَلَّ وعلا-، وإلى جنته.

ولهذا أردف البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ هذا الحديث بالأحاديث التي فيها أن النبي ﷺ قال عن الميت: «**مستريح ومستراح منه**»، فالمؤمن يستريح من عناء الدنيا وتعبها وأذاها إلى رحمة الله وجنته، والفاجر الكافر أو المنافق، أو المسلم العاصي الضال يستريح منه العباد والبلاد والمخلوقات، ولا شك أن المؤمن إذا مات، خُتِم له بالخاتمة حسنة - نسأل الله حسن الخاتمة -، فإنه يأمن من اثنتين:

يأمن من الفتنة في الدنيا.

ومن الفتنة في الدين.

وهذه غنيمة لأنه في حياته مُعَرَّضٌ لفتن الدنيا التي فيها الإحراج، وفيها كذا، والقهر وتسلط الكفرة والظَّلمة، ويكون في منجاةٍ من فتنة الدين أنه لا يزيغ قلبه بعد هداه ولا يضل بعد استقامته.

والمؤمن لا يلقى الله ﷻ إلا وقد أحب الله لقاءه، ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**».

وقد ذُكِر أن ملك الموت لَمَّا أرسله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأخبره أنه جاء لقبض روحه، تردد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتعجب، وقال: كيف الخليل يفعل هذا بخليله؛ يميت خليله؟ فذهب ملك الموت إلى الله ﷻ وأخبره ما قال إبراهيم، فقال له: قل له إن الخليل يشتاق إلى خليله، فقال إبراهيم: نعم الآن.

وفي الحديث الصحيح: أن ملك الموت عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ لما أرسله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليقبض روحه، ولم يعرفه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلما دنا منه صَكَّه موسى أي لطم ملك الموت لطمةً شديدةً فقأ منها عينه، أو فقأ بها عينه، فذهب ملك الموت إلى الله -جَلَّ وعلا- وقال: يا رب أرسلتني إلى عَبْدٍ لا يريد الموت، فأمره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرجع إليه، وقال: قل له إن الله يقول لك: ضع يدك على مَتْنِ ثَوْرٍ -يعني ابسط يدك على ظهر ثور- فلك بكلِّ شعرةٍ غطتها يدك سنة، يعني: نُعَمِّرك بقدر الشعر الذي تحت يدك وهو كثيرٌ جدًّا، فرجع ملك الموت إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأخبره أنه ملك الموت، وأن الله أرسله إليه، وأن الله تعالى يقول له كذا وكذا، قال: ثُمَّ مه؟ ما بعد هذا؟ قال: الموت، قال: فالآن، خلاص سَلَّم، عَرَفَ أن هذا ملك الموت، وأنه جاءه ليقبض روحه، ليلقى الله -جَلَّ وعلا-؛ لأن الله يحب لقاءه، فقال:

الآن، وسأل الله ﷻ أن يُدنيه من بيت المقدس رَمْيةً بحجرٍ؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمِرَ أن يفتح بيت المقدس، ولما عَرَضَ الأمر على بني إسرائيل نكلوا، وجَبُنوا، وقالوا ما ذكر الله ﷻ عنهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤].

ثم أجرى الله ﷻ عليهم عقوبةً لهم التيه، ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة:٢٦]، وحكمة الله في ذلك أن ينشأ جيلٌ ما عَرَفَ الذِّلة والاستعباد لفرعون وغيره من الطُّغاة، وأن يكون مُؤَهَّلًا لفتح بيت المقدس، وقضى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهم بالتيه في وادي الأردن عند نهر الأردن، صاروا يتنقلون من أعلاه إلى أسفله، ومن أسفله إلى أعلاه، وأنزل الله ﷻ عليهم المَنَّ والسلوى، وكان معهم حجرٌ يُحمل على البعير، فإذا أرادوا الماء، ضربه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه بعصاه، ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة:٦٠]، عدد أسباط بني إسرائيل، فإذا استقوا ضربه موسى فوقف الماء بقدرة الله، فكان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يتيسر له فتح بيت المقدس، بسبب نكول بني إسرائيل، ولِمَا لله ﷻ من حكمةٍ، فإنه في مدة التيه مات هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم مات موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعده، وقاد بني إسرائيل بعد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تلميذه والنَّبِيُّ من بعده يوشع بن نون عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو الذي فتح الله على يديه بيت المقدس.

فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تعلق قلبه بفتح بيت المقدس، وأراد أن يَكتب الله له غزو بيت المقدس على نيته، ولذلك سأل الله ﷻ أن يُدنيه من بيت المقدس رميةً بحجرٍ، يعني يُقَرِّب قبره إلى أن يكون على مسافة رَمْي حجرة يعني، خمسين ذراع مثلًا، وفعل الله ذلك به، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**فلو كُنْتُ ثَمَّ**» أي هناك «**لأريتكم قبره، خلف الكثيب الأحمر، على يمين الداخل**».

والمقصود من ذلك: أن المؤمن عامة وأنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام- خاصة، لا يلقون الله ﷻ إلا وقد أحب الله لقائهم، ولذلك لمؤمن يفرح، ويحسن الظن بالله -جَلَّ وعلا-، ويعلم أن له أجل لا بد من نفاذه، وما قضاه الله ﷻ للمؤمن خير؛ لأن الله ﷻ لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له، فيكون في موته -وإن فجأه الموت- عصمة من الفتن، ويُفضي إلى رحمة الله، ولذلك يصبر المؤمن عند هذه المصيبة الشديدة، ويُحسن الظن بالله -جَلَّ وعلا-، ويَطمع في فضل الله - تعالى- وكرامته، فيكون بالموت مستريحًا من عناء الدنيا ونَصَبِها ووصبها مرضها وتعبها إلى الجنة، إلى رحمة الله ﷻ وفضله، فتكون نَسَمَةُ المؤمن طيرٌ في الجنة، يَرِد أنهار الجنة، ويأكل من ثمر الجنة، ويأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، هذه الراحة، راحةٌ للمؤمن من عناء الدنيا وتعبها، وهذا معنى قوله ﷺ: «**مستريح**»، يعني المؤمن مستريح، يستريح بالموت، الموت فيه مشقة وفيه كربة، لكن المؤمن يستريح بعد ذلك؛ لأنه يفضي إلى رحمة الله ﷻ، وإلى فضل الله -جَلَّ وعلا-، فتكون أرواح المؤمنين مدة البرزخ من حين ماتوا وإلى أن يبعثهم الله ﷻ، عندما تَستكمل الخليقة التي قَدَّر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجودها، وتستكمل أيام الدنيا، فتكون أرواح المؤمنين هذه الطير المعلقة في العرش، وهذه الراحة، فإذا آن أوان البعث، أرسلت الروح إلى أجسادها بعد أن تُخْلق في الأرض، ثم تُبعث من أجل الحشر والحساب، وبيان مقادير الأعمال وغير ذلك.

وفي الحديث الآخر: أن الأعراب كانت تفد إلى النبي ﷺ، الأعراب أهل البادية، فكانوا يفدون إلى النبي ﷺ وهم في جهلٍ وجفاءٍ، ويسألون النبي ﷺ عن الساعة؛ لأنها ذُكرت في القرآن، وأنها قريبةٌ، ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١]، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣]، فيسألون النبي ﷺ عن ذلك، وهؤلاء جهالٌ ما يُتَبَسَّط معهم بالقول؛ لأنهم قد يستخفون بالقول أو بالقائل، وهذا صعبٌ، فكانوا إذا سألوا النبي ﷺ عن الساعة،

نظر إلى أصغر غلامٍ معهم، وقال: إن يعش هذا يعني: يُعَمَّر عُمْر الأدمي، فإنه لا يموت حتى تأتيكم ساعتكم، يعني: ساعتكم تأتيكم قبله، والمعنى آجالكم، فاستعدوا للساعة، ستأتيكم قبل أن يموت هذا الغلام، يعني ساعة أجلكم، وهذا أنفع لهم، أنهم يتذكرون الموت وأنه قادمٌ إليهم، وأنه جُعل عُمُر هذا الغلام علامةً عليه، هذا من أجوبته ﷺ، وهذا جوابُ الحكيم؛ لأنكم كونكم تسألون عن ساعتكم أنتم، أولى من سؤالكم عن ساعة الكون؛ لأن ساعة الكون لن تُقدِّم ولن تُؤخِّر، ولن تُقدَّم هي ولن تُؤخَّر، وهي لن تقوم إلا على شرار الخلق، تريدون أن تقوم عليكم، لأ؛ ما يصح، فكان هذا من أجوبته ﷺ.

وأحيانًا يقول للسائل إذا كان عاقلًا، فطنًا، حازمًا، يقول: «**ما أعددت لها؟**» هل استعديت لها؟ اسأل عن استعدادك أولًا، هذا المعنى، وأحيانًا يقول: «**إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة**»، فتَضْيع الأمانة، وفسره ﷺ إذا وسد الأمر إلى غير أهله، أن يتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فإذا سُئلوا أفتوا بغير علمٍ، فضلوا وأضلوا، وأن يتولى القوم أراذلهم، فهي لا تقوم إلا في آخر الزمن عند فساد أوضاع الناس.

وفي **الحديث الأخير** أن النبي ﷺ يقول؛ يُوجه الأمة إلى أنهم يذكرون الأموات أهل الخير بالخير، ويسكتون عن أهل الشر، إلا إذا كان في ذِكْرِ شرهم عظةٌ وعبرةٌ للناس، ومن ذلك أنهم لا يُسَبُّون، ليش؟ لأنهم أفضوا إلى ما قدموا، ما عملوا قدموا عليه، فلا يُسَبُّون؛ لأن السب يُؤذي الأحياء، ويُحدث الفتنة، ويجعل الإنسان يُعجب بنفسه؛ لأنه يكون غافلًا عن نفسه ومتطاولًا على غيره، ما فيه فائدة؛ أفضوا إلى ما قدموا. **نعم**.

بَابُ نَفْخِ الصُّورِ

قَالَ مُجَاهِدٌ: الصُّورُ كَهَيْئَةِ البُوقِ.

﴿زَجْرَةٌ﴾ [الصافات:١٩]: صَيْحَةٌ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر:٨]: الصُّورِ.

﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات:٦]: النَّفْخَةُ الأُولَى. وَ﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات:٧]: النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ.

الشرح:

يعني هذه إشارةٌ إلى مقدمات القيامة، هذه مقدمات للقيامة.

كما قال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٤ – ٦].

قال تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ١ – ٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ يعني: كهيئة السكارى ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ – ٢].

وقال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ١ – ٦].

فهذه مقدمات القيامة، وأحوال القيامة، والحوادث التي تكون فيها، والمراد هنا القيامة الكبرى، قيامة الكون، الساعة يعني، **لأن القيامة قيامتان:**

قيامةٌ صغرى: وساعةٌ صغرى، وهي ساعة الأجل لكل شخصٍ.

وقيامةٌ كبرى: وساعةٌ كبرى، هي قيامة الكون، التي يَخْرُب فيها هذا الكون المنظور، وينتقل الناس من هذه الدار إلى دار القرار.

فهذه مقدماتها، وهي وشيكةٌ وقريبةٌ، ومن لم تقم عليه القيامة الكبرى قامت عليه القيامة الصغرى قبلها، فإذًا لا بد للعاقل أن يأخذ حِذره واستعداده، فلا تقول القيامة طويلة، وباقي أخبار، فيه أخبار عنها ما بعد تحققت، علامات لم تقع، فقيامتك أنت لا تأتيك إلا فجأة، نفس الشيء، فاستعد، فإذا قامت قيامتك، ويش عليك من الكون وأهل الكون؟! فخذ حذرك واستعدادك.

وذكر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصور.

والصور: قال هو القرن، قال: هو البوق؛ لأنه مخلوقٌ عظيمٌ دائريٌّ كهيئة البوق، والبوق الذي يسمونه المِحْقان، اللي يُصَبُّ فيه العسل أو اللبن أو السمن في الوعاء في السقاء، مثل ما يعرف الآن بسماعات مكبر الصوت الخارجية، لكنه مخلوق عظيم دائرته كما بين السماء والأرض، يعني مخلوقٌ عظيمٌ، وُكِّل به ملكان، يُسميان **النَّافخان:**

أحدهما: إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو ملك الروح، ملك الأرواح المسؤول الأول عن نفخ الأرواح في الأجساد، وعن قبض الأرواح من أجسادهم إذا انتهت آجالها، وعن رد الأرواح إلى أجسادها يوم البعث.

والثاني: ملك الموت، الملك الموكل بالموت، ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١] واشتهر على ألسنة العامة وبعض أهل العلم أنه يقال له: عزرائيل، وهذه

التسمية لم تثبت بسندٍ صحيحٍ، والله تعالى قال: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾، فلم تثبت تسميته، وملك الموت مساعدٌ لإسرافيل؛ لأن سادات الملائكة:

١ - جبرائيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ملك الوحي وله أعوان.

٢ - وميكائيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ملك الرِّزق وله أعوان.

٣ - وإسرافيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ملك الروح وله أعوان.

٤ - ورضوان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ملك الجنة وخازن الجنة الرئيسي وله أعوان.

٥ - ومالك عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ملك النار وخازن النار الرئيسي وله أعوان.

فهكذا إسرافيل له أعوان، وأخص أعوانه ملك الموت، فملك الموت مُكَلَّفٌ بنفخ الأرواح في الأجساد يوم القيامة، بنفخة البعث، فإنه يُنفخ في الصور، هذا القرن العظيم يُنفخ فيه مرتان -على القول الراجح-، وثلاث مراتٍ على قولٍ مشهورٍ، لكن الراجح أنه نفختان:

فالأولى: نفخة الصعق:

التي يموت بها الخَلْق الذين في هذا العالم المنظور، يعني يموت فيها أهل السماوات وأهل الأرض.

والثانية: نفخة البعث:

والتي يُبعث فيها الأموات، من ماتوا من أول الدنيا ومن يموت بنفخة الصعق.

وبين النفختين زمنٌ الله أعلم بمُدته، والمشهور والراجح أنه أربعون سنة.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]، فهذا على القول بأنهما نفختان.

والثاني: أنه ثلاث نفخات:

فالأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة البعث جمعًا بين الآيتين: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل:٨٧]، والآية الأخرى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨].

والجمع بين الآيتين وما جاء في الأحاديث أنهما نفختان، فالأولى تبتدأ بالفزع وتنتهي بالصعق، فتكون نفختان في نفخةٍ، فالفزع هو أنه أول ما تبدأ ما ينفخ النافخ في الصور يكون الصوت خفيٌّ، لا يُدرى، ويأت من السماء، أو من الأرض، أو من يمين، أو من يسار، أو من أمام، أو من وراء، يصير الإنسان يستمع إلى الصوت خفي، ثم يرتفع ويرتفع، لذا جاء في الحديث: «**أنه إذا سمعه السامع، أصغى لِيتا ورفع لِيتا**»، أصغى أُذنًا يتسمع هكذا، ورَفَع يتسمع؛ فهو لا يدري من الأرض أو من السماء، فيكون في هذا الفزع، ثم جاء في رواية أخرى: «**أن النافخ إسرافيل أو ملك الموت يمدها**» أي يطول فيها، «**حتى ترتج الأرض، وحتى تندك الجبال، وحتى تتشقق السماء، فيخرب هذا العالم**»، فنفخة الصعق تبدأ بالفزع وتنتهي بالصعق، فهي نفخةٌ واحدةٌ، ولذلك قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٣ - ١٤]، فصارت نفخةً واحدةً، لكنها تبدأ بالفزع وتنتهي بالصعق، وانتهى الأمر على هذا، الذي هو إماتة الأحياء وخراب الكون، ثم بعد مُدَّةٍ، أخبر أبو هريرةٍ عن هذا وسئل كم بينهما؟ أربعين! قال: نعم أربعين، أربعين جمعة! قال: أبيت. أربعين شهرًا! قال: أبيت. أربعين سنة! قال: أبيت. يعني ما عندي علم هذا المعنى؛ أنه ما عنده علم، لكن ورد في أحاديث أخرى عن غير أبي هريرة أن بينهما أربعون سنة.

فهذا الصور الذي ينفخ فيه، أنه بوقٌ كبيرٌ جدًّا دائرته كما بين السماء والأرض، وأن الملك الموكل به قد التقمه يعني وضعه في فيه، وحَنَى جبهته، وانتظر الإذن يعني جاهز، وهذا يدل على قرب القيامة.

وجاء في الأحاديث الأخرى أن ملك الصور هذا لمُنحني على الصور، وينظر إلى العرش، يعني ينظر متى يُؤمر، يتحرى يعني جاهز.

وجاء في بعض الأحاديث أن إسرافيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمام هذا الملك: ملك الموت أو ملك الصور أو ملك الروح، فإذا إن إسرافيل ضَرَبَ بجناحيه نفخ هذا في الصور، يعني جاءه العلم من الله ﷻ من طريق إسرافيل.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠١]، والمراد هنا النفخة الأولى التي تصعق بها الخلائق في السماوات والأرض، ثم النفخة التي تليها التي بها البعث كما يأتي في الحديث.

وإنما قُلْتُ لكم أنه يَخْرب هذا العالم المنظور، يعني السماوات والأرض، للاستثناء الذي قاله الله – تعالى – فيه: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ [النمل:٨٧] ، صاغرين منقادين.

﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [النمل:٨٨] ، فمن شاء الله؛ لأن هذا استثناء، فمن استثناهم الله ﷻ هم لا يُصعقون.

واختلف العلماء –رحمة الله عليهم– فيهم على أقوالٍ كثيرةٍ:

أرجحها: أن المراد بالذين لا يصعقون هم من في الجنة من الحُور والوُلدان، هم الذين لا يصعقون، لأنهم في عالمٍ آخر غير منظورٍ، فما دون سدرة المنتهى هذا هو الذي يخرب، ما فوق سدرة المنتهى هو الذي لا يخرب.

فهذا هو أقرب الأقوال للصواب: أن المستثنى هم من في الجنة من الحُور والولدان؛ لأن كل النصوص التي جاءت في ذِكر ما يَعْتَلِي هذا الكون من حَدَثِ القيامة كلها مقيدةٌ بالسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما. **نعم**.

٦٥١٧ - حَدَّثَنِي عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الأَعْرَجِ، أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ: رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، وَرَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ المُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى العَالَمِينَ، فَقَالَ اليَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى العَالَمِينَ، قَالَ: فَغَضِبَ المُسْلِمُ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَطَمَ وَجْهَ اليَهُودِيِّ، فَذَهَبَ اليَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ المُسْلِمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَكُونُ فِي أَوَّلِ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ العَرْشِ**.

الشيخ: في رواية: بقائمة العرش.

فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ مُوسَى فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ».

الشرح:

وهذا فيه: تواضع النبي ﷺ مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأن النبي ﷺ ما أراد أن يُنتقص موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بشيءٍ، وذكر مزيةً وخاصية لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وكرامةً له، قال أنه يُصعق الناس يوم القيامة، وهذا قال بعض أهل العلم: أن هذه الصعقة غير الصعقة التي في الدنيا، التي يكون فيها خراب للكون، هذه صعقةٌ تكون في القيامة. **نعم**.

٦٥١٨ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَصْعَقُ النَّاسُ حِينَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ قَامَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالعَرْشِ، فَمَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ**» رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

الشرح:

يعني هذا مما يكون يوم القيامة من الحوادث التي تكون يوم القيامة. **نعم**.

بَابٌ: يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ

رَوَاهُ نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٦٥١٩ – حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**».

الشرح:

ولا يجيبه أحد، فيجيب نفسه.

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦] ؟

فلا يجيبه أحد، كلهم قد صُعقوا، حتى الملائكة الكرام، حتى خاصة الملائكة، وحملة العرش، فيجيب الله -جَلَّ وعلا- على نفسه، فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٦ – ١٧].

وفي هذا: أن الله يقبض السماوات ويقبض الأرض، فدل هذا على أن هذه المخلوقات العظيمة الضخمة ليست شيئًا بالنسبة لله عَزَّ وَجَلَّ، فهي قبضة يده -جَلَّ وعلا-، هذه مقبوضة وهذه عن يمينه، سبحان الله العظيم، يعني تدل على عظمة الخالق، وعز سلطانه، وعظمة شأنه -جَلَّ وعلا-. **نعم**.

وهذا -والله أعلم- أيضًا أنه حين تبدل الأرض غير الأرض، والسماوات، فتقبض لتبدل.

نعم.

٦٥٢٠ - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ خَالِدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلاَلٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّؤُهَا الجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الجَنَّةِ**» فَأَتَى رَجُلٌ مِنَ اليَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا القَاسِمِ، أَلاَ أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**بَلَى**» قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ...

الشرح:

تصديقًا لقول الحبر، واغتباطًا بأن ما عند الحبر اليهودي موافقٌ لما جاء به النبي ﷺ في هذا الشأن.

وهذا تكلم عليه أهل العلم الحديث أن الأرض تكون خبزةً يعني حقيقية، أو أنها كهيئة الخبز مُدَوَّرة، خبزة المَلَّة أو الجمر، فتكون مخلوق عظيمة جدًّا، لكنها كهيئة الخبز، وضيافة أو نزل ضيافة يعني، فتكون ضيافة.

فالله ﷻ قادرٌ على كل شيء، فيجعلها الله ﷻ خبزةً يأكل منها الناس، يأكل منها أهل الإيمان، وهم في انتظار الحساب، هذا قول بعض أهل العلم.

وبعضهم قال: لا، نُزُلًا يعني ينزلون فيها، أرضٌ أخرى ينتقلون من هذه الأرض إلى تلك الأرض، فينزلون فيها فتكون كهيئة الخبزة.

والأصل: حمل النصوص على ظاهرها، والكيفية يعلمها الله ﷻ لا نعلمها نحن، وأما ضيافة أهل الجنة نُزُل أهل الجنة فهذا يكون في الجنة، فضيافة أهل الإيمان تكون في الجنة ما هي في الدنيا؛ الذي جاءت به النصوص، وأنهم أول ما يُعطون من الطعام والشراب أنه يُذبح لهم أو يُنحر لهم ثور الجنة، الذي يأكل في أطراف الجنة مَدَّةً يعلمها الله ﷻ، فيُذبح لهم

ضيافةً، ويضاف إلى هذا زيادة كِبد الحوت النون، حوتٌ عظيمٌ، لا يعلم عِظمه إلا الله -جَلَّ وعلا-، فزيادة كبده هي تكون من ضيافة أهل الجنة، مع ثواب الجنة، فيُضَيِّف أهل الجنة بهذين: ثور الجنة وزيادة كبد الحوت ويُسقون السلسبيل، نسأل الله أن يرزقنا. **نعم**.

ثُمَّ قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالاَمٌ وَنُونٌ، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا.

يعني الثور الوحشي، ثور الجنة الذي يأكل في أطراف الجنة، يرعى في أطراف الجنة. **نعم**.

٦٥٢١ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ**».

الشيخ: قُرْصة ولا قَرْصة؛ كقَرْصَة النقي، وهو الطحين الأبيض.

قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «**لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**».

الشرح:

يعني ما فيها مرتفعٌ متوازيةٌ؛ ﴿قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٦ - ١٠٧]. **نعم**.

يعني أن الأرض تُمَدُّ، ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٤ - ٥]، فتُمد الأرض وتُوسَّع، أو يُنقل الناس إلى أرضٍ أخرى. **نعم**.

هذه الأرض الأخرى هي اللي موصوفةٌ بأنها كقرصة النقي، المعنى: أنها نظيفةٌ بيضاء لم يُسفك عليها دمٌ حرامٌ، ولم يُنتهك عليها فرجٌ حرامٌ؛ لأنها موضع العدل، موضع الحكم من الله -جَلَّ وعلا-، فنُقلوا من الأرض التي جَرَت عليها هذه الأمور، إلى أرضٍ أخرى نقيةٍ، ما عُصي الله ﷻ عليها. **نعم**.

بَابٌ: كَيْفَ الحَشْرُ

٦٥٢٢ – حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ».

الشرح:

والمعنى: أنه جاءت نصوص متنوعةٌ في الحشر، جملة نصوص أحاديث؛ مُؤَيِّدةٌ لِمَا جاء في الآيات المُحْكمات بشأن الحشر، وأهل العلم تَتَبَّعُوها، ونظروا فيها، وقَارنوا بينها، وتَبَيَّن لهم من خلال دراستها والعناية بها، أن الحشر ثلاثة أنواع، كل نوعٍ دَلَّ عليه نَوْعٌ من النصوص:

فالحشر الأول:

هو الذي يكون في الدنيا في آخر الزمان يكون هذا الحشر إلى بيت المقدس، يعني جَمْع الناس من أطراف الأرض إلى بيت المقدس، وتجمعهم نارٌ تخرج من قعر عدن من أقصى عدن؛ حضرموت، تخرج من هذه الجهة: الجنوب الشرقي، ثم تمتد إلى الشرق أول شيء، وتَحْشُر الناس ثم تتسع، فتحشرهم، تَقِيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، بمعنى أنها ما تَستعجل عليهم، والناس يمشون مُشاة، ومنهم الركبان على الإبل؛ على الحيوانات، الإبل وغيرها، فواحد على الدابة، واثنان على الدابة، وثلاثة، وعشرة، والنار تمشي معه ولا تُزعجهم، لكنها تَحُوشُهم إلى بيت المقدس، تَجْمَعُهم إلى بيت المقدس، فهذا حشرٌ يكون في الدنيا في آخر الزمان ولأشرار الخلق وقبل قيام الساعة، تهيئة لقيام الساعة.

والحشر الثاني:

هو الذي يكون بعد البعث من القبور، فإن الناس إذا أراد الله ﷻ أن يبعثهم، فإن الله ﷻ يُرسل على الأرض مطرًا كالطَّل، أو كالظِّل، أو كمَنِيِّ الرجال، يُصيب الأرض كلها، ما يَسْتُر شيئًا من الأرض، فبهذا المطر تُخلق الأبدان التي اضمحلت وتلاشت وتَفرَّقت، يجمع الله ﷻ ذَرَّاتها ورُفاتها بقُدرته، إلى نواتِها، والنواة هي حبةٌ صغيرةٌ؛ خرزةٌ صغيرةٌ تكون في المخلوقين في أسفل الظهر في آخر الظهر، الذي يقال له: العصعص، هذه النواة ، هذه الذرة أو الخرزة الصغيرة لا تفنى، لا من جهة طول الزمن، ولا من جهة المُؤَثِّرات، حتى لو أُحرقت لو أُبيدت بمبيدٍ ما تفنى، فيجمع الله ﷻ ما تَفَرَّق من رُفات الناس المخلوقين، وذَرَّات أجسامهم إلى هذه النواة الصغيرة، فيُصيبها هذا المطر، فيُعاد الخلق منها، فيُخلقون في باطن الأرض كالطراثيث، يعني مثل الكما، في جوف الأرض، بقُدرة الله -جَلَّ وعلا-، ويرجع إليهم كل شيءٍ ذَهَب منهم: من شُعورٍ، من أظفار، من أشياء؛ كل ما ذهب يرجع كاملًا، فتكون هذه الخِلقة قويةً، غير قابلةٍ للفناء، ما هي مثل الخِلقة في الدنيا، لأ؛ تكون قويةً غير قابلة للفناء، ولهذا يُخلدون في الدار الآخرة، فأهل الجنة – جعلنا الله وإياكم منها – مُنَعَّمُون، وأهل النار معذبون – أعاذنا الله وإياكم من عذابها-.

فالمقصود: أنه إذا تَمَّت الخِلقة في جوف الأرض، نُفخ في الصور نفخة البعث، وقد حُشرت الأرواح في هذا الصور: هذا البوق، حُشرت الأرواح كلها، فبالنفخة تطير الأرواح مُتوجهةً إلى أجسادها، لا تغادر روحٌ جسدها، وإذا الجسد قد كَمُلت خِلقته، فتَحِلُّ فيه، فتَحْصُل الحياة، ثم تَشَقَّق الأرض عنهم سراعًا، فيخرجون من الأجداث كأنهم جرادٌ منتشرٌ، فبعد ذلك يُحشرون؛ يُوَجَّهُون إلى موضع الحشر الذي يُحشرون فيه، يُجمعون فيه أولهم وآخرهم.

موضع الحشر: عَرْصَةٌ من عرصات يوم القيامة، الناس يتنقلون من مكانٍ إلى مكانٍ، فأول مكانٍ هو الذي يجتمعون فيه وهو الحشر، يَجمعهم الله ﷻ يجمع الله الأولين والأخرين في مكانٍ واحدٍ، على سعته، يُسمعهم الدَّاعي إذا صَوَّت كلٌّ يسمع وينفذهم البصر، إذا أُريد أن يُرى الناس واحدً من الناس يرونه كلهم بقدرة الله ﷻ، فهذا الحشر الثاني.

فالأول قبل القيامة تمهيدًا للقيامة، وهذا بعد البعث يُحشرون إلى موضع الحشر، إلى عرصة الحشر.

والحشر الثالث:

أن يحشر أهل كل دارٍ إلى دارهم، فيُحشر أهل الجنة إلى الجنة - جعلنا الله وإياكم منهم -، ويحشر أهل النار إلى النار - أعاذنا الله وإياكم من عذابها-.

فهذه خلاصة مقتضى نصوص الحشر الواردة في الكتاب والسنة.

لكُلِّ حشرٍ حالٌ، وله حكمةٌ وغرضٌ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالدينا وللحاضرين ولجميع المسلمين.

قال الإمام البخاري - رحمه الله تعالى وإيانا -:

بَابٌ: كَيْفَ الحَشْرُ

٦٥٢٢ - حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلاَثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلاَثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا».

الشرح:

وهذا سبقت الإشارة إليه: أن هذا النوع من الحشر الذي يكون في الدنيا، في آخر الزمان قُبيل يوم القيامة، وأنهم يُحشرون إلى بيت المقدس من جهتين: المشرق من الجنوب، والمشرق، ثم من بقية الجهات. **نعم**.

٦٥٢٣ – حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ البَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**» قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا.

٦٥٢٤ – حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ عَمْرٌو: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّكُمْ مُلاَقُو اللهِ حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً غُرْلًا**» قَالَ سُفْيَانُ: هَذَا مِمَّا نَعُدُّ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ، سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ.

الشرح:

هذا النوع الثاني من الحشر:

الذي يكون بعد البعث، كما جاءت في الأحاديث الصحيحة الصريحة، يقول: أنكم يحشرون إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

حفاةً: يعني غير منتعلين.

عراةً: غير مكتسين.

وغُرلًا: غير مختونين، يعني أن القُلفة التي قُطعت في الحياة الدنيا من الإنسان التي كانت فوق حشفة الذكر، لتحقيق الطهارة وغير ذلك من مصالح، أنها تُرجع في الخلق الثاني مكانها، ما نقص من خلقهم شيءٌ، فأُعيدت إليهم هذه القلفة، وأعيدت إليهم شعورهم، وأعيد إليهم كل شيء.

وهذه الخِلقة قويةٌ غير قابلة للفناء، خِلقة الأخيار والأشرار كلهم، ويحشرون حفاةً غير منتعلين، عراةً غير مكتسين، فيُكسون يوم القيامة عند الحساب، وأول من يُكسى إبراهيم

عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الحَيِيُّ الكريم، غرلًا غير مختونين يعني ما نُقص من خلقتهم شيء، بُهمًا ليس معهم إلا أعمالهم فقط الحسنات والسيئات.

فهذا الحشر الثاني يُحشرون به إلى الله -جَلَّ وعلا-.

ويحشرون على أحوال وطرائق، ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾ [طه:١٠٢]، ألوان وأشكال قبيحة وسيئة، فيحشرون على أحوال كلٌّ على حسب سريرته، واحدٌ يحشر يمشي على رجليه، وواحدٌ يمشي على وجهه - والعياذ بالله -، هذا جمعهم، ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٩]، حشرهم ليوم الحشر للفصل بينهم، واستيفاء الحقوق منهم لبعضهم البعض، وتقريرهم بأعمالهم، وترتيب الثواب عليهم، فيُحشرون ويَبْقُون في الحشر ما شاء الله، حتى أنه يَبلغهم من الكرب والهون ما لا يُطيقون، يتمنون الخلاص من الموقف، بغض النظر عما بعده، لعِظم الأهوال التي فيها، فيُهدون إلى أن يطلبوا الشفاعة من أحدٍ من أشراف الناس، فيُهدون ليطلبوها من آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فيعتذر، ثم من نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فيعتذر، ثم من إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فيعتذر، ثم من موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فيعتذر، ثم من عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فيعتذر، وكلٌّ يَذْكُر أمرًا من عمله يراه أنه نقص من حقه، غير مُسَوِّغ للشفاعة، ويعتذر لشدة خوفه من الله ﷻ، ويطلب النجاة لنفسه، إلا عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لا يذكر خطيئةً، كلهم يقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضي قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، نفسي، نفسي، نفسي، ويُحيلهم إلى من بعده حتى ينتهون إلى النبي ﷺ، فيقوم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيقول: أنا لها، ثم يستأذن ربه، فيؤذن له، ثم يقوم فيسجد تحت العرش، ويفتح الله ﷻ عليه المحامد، ولم تكن تحضره في الدنيا، ولكن يُلهم إياها فيثني على الله ﷻ، فتكون سببًا في قبول شفاعته، وتحقيق طلبته، فيقال: **يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعطى، وقل يسمع، واشفع تشفع**.

وهذه الشفاعة العامة في الخلق، وهي من خصائص نبينا ﷺ، هو الوحيد الذي يشفع لفصل القضاء، لا يشفع غيره.

وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله تعالى إياه.

فلا يكون الفَصْل بين الناس ولا ينتهي أمر الحشر إلا بالفَصْل، فصل القضاء بين الناس، فيما يتعلق بحق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليهم، وفيما يتعلق بحقوق بعضهم على بعض، من مُكلفين وغير مكلفين، فيُحاسبون، يأتي الله -جَلَّ وعلا- على ما يليق بجلاله وعظمته لفصل القضاء.

كما قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ [الفجر:٢٢].

في حال كون الملائكة صافين، محيطين بالخلق: دائرة من وراء دائرة، كل أهل سماءٍ يكونون دائرةً محيطة بالخلق، فيكون أهل السماء الدنيا من الملائكة محيطين بالخلق؛ صف واحد، ثم ملائكة السماء الثانية لأنهم أكثر من أهل الدنيا، فيكونون من ورائهم فتكون الدائرة أوسع، ثم السماء الثالثة كذلك، وهكذا إلى سبع سماوات، فتكون الملائكة سبعة صفوفٍ محيطة بالخلق، بأمر الله -جَلَّ وعلا-، ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ [الفجر:٢٢]، يعني حال كون الملك صفًا صفًا، يعني صفًا من وراء صفٍ، ﴿ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ [الفجر:٢٣]، كل ما قُرِّر به يَعْتَرِف به.

ولذلك يُعرض الناس ثلاث عرضات على الله -جَلَّ وعلا-:

فعرضتان معاذير، يعني فيه إنكار، وفيه لف ودوران.

والعرضة الثالثة يكون فيها الإقرار، يتذكرون ويُقرون بما عملوا، فعندئذ يُوَثَّق إقرارهم بصُحِف الأعمال، ثم يُصرفون إلى الموازين لمعرفة مقادير جزاء الأعمال، بالوزن الذي يكون: تارةً للعامل، وتارةً للعمل، وتارةً لصحف العمل، فيتنقلون بين عرصات القيامة، من

الحشر إلى موضع العرض والحساب، ومن ذلك إلى مكان أخذ الصُّحُف، فأهل اليمين من المُقربين، وأصحاب اليمين والذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا عسى الله أن يتوب عليهم، يأخذون صُحفهم بأيمانهم، ومن سواهم من الكفار والمشركون والمنافقون نفاقًا اعتقاديًّا يأخذون صحفهم بشمائلهم من وراء ظهورهم، ثم يحالون إلى الموازين، ثم بعد ذلك بعد الموازين يُصرفون، فالكفار والمشركون إلى النار، والمؤمنون والمنافقون يبقون في المكان عند الحوض، فيأتيهم الله ﷻ في صورة غير التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، يعني غير الصورة التي جاءهم بها لفصل القضاء، يقولون: لست ربنا، إذا جاء ربنا عرفناه، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونها؟ فيقولون: الساق، فيكشف لهم عن ساقه، فيسجد له كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ كانوا يسجدون له في الدنيا اختيارًا، أما المنافق فيعود ظهره طبقًا واحدًا كصياصي البقر، فلا يستطيعون السجود، ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢ - ٤٣]، فهؤلاء هم الذين يمرون على الصراط، ويُميزهم الصراط، أما الكفار والمشركون من ضُلَّال أهل الكتاب والدَّهريين وعبدة الأوثان، فهؤلاء يُؤْمَرُ بهم إلى النار، يُساقون إلى جهنم وردًا والعياذ بالله.

فيكون الناس هكذا: أول شيء يُحشرون، ثم يعرضون ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحاقة:١٨] ثم ينكرون ويُعترفون، وآخر شيءٍ يُقرون، ثم يُوثق إقرارهم بالصحف، ثم يُصرفون إلى الميزان، ويَظهر لهم مقادير الأعمال، والكفار لا يقام لهم وزنٌ؛ لأن أعمالهم فاقدةٌ للإخلاص، فاقدةٌ لموافقة الشرع والسنة، ومَنْ سواهم يظهر لهم على قدر عمله.

فهكذا يتنقلون، وتُسمى المواقف التي يُجمع فيها الناس يوم القيامة تسمى عرصات القيامة.

والعرصة: هي المكان الواسع الفسيح، فعَرْصَةٌ للحشر، وعرصةٌ للعرض، وعرصةٌ لأخذ الصحف، وعرصةٌ عند الموازين أو التي فيها الموازين، وهكذا، ثم يُجمعون في الظلمة يُوجهون في الظلمة دون الجسر، ثم يمرون على الصراط مع أنوارٌ بحسب أعمالهم، فناجٍ مخدوشٌ، وناجِ مُسَلَّمٌ، ومُكردس في نار جهنم، ثم يُحبسون في القنطرة بعد مجاوزة الصراط؛ ليُقتص ما بينهم من المظالم، ما بين أهل الجنة من المظالم، إما أن يأخذوا حقهم وإما أن يعفوا، حتى يستوفون حقوقهم، ويذهب ما في صدورهم من الغل والشحناء قبل دخول الجنة.

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧].

فهذه ترتيبات يوم القيامة التي دلت عليها النصوص: أولها الحشر، يحشر في موقف الحشر المكلفون وغير المكلفين، من الجن والإنس، وحتى البهائم العجماوات، وغيرها من المخلوقات، لتأخذ حقها، حتى يقاد الشاة الجلحاء الجماء من الشاة القرناء، وتُؤدى الحقوق إلى أهلها، والملائكة تحيط بهم صفوفًا، ويقال عندئذ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن:٣٣]، فالحشر أول المنازل، أول العرصات. **نعم**.

٦٥٢٥ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى المِنْبَرِ، يَقُولُ: «**إِنَّكُمْ مُلاَقُو اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**».

٦٥٢٦ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٠٤] **الآيَةَ، وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلاَئِقِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ**: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ -إِلَى قَوْلِه- ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧ - ١١٨] **قَالَ: فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ**».

الشرح:

هذا فيه: إشارةٌ يعني إلى بداية المواقف في الحشر، ونهايتها عند الحوض.

فقول النبي ﷺ: «**أصيحابي أصيحابي**» عند الحوض؛ لأنه يُطرد أناسٌ من المنافقين عن الحوض، فيناديهم النبي ﷺ، فيذادون عن الحوض كما تذاد الإبل العطاش، بسبب كفرهم الاعتقادي، هذا نهاية مواقف القيامة، بعد هذا الموقف يُصرف الكفار والدَّهريون والوثنيون والمشركون كلهم أولًا بعد الوزن يُصرفون إلى النار، تُمَثَّل معبوداتهم كهيئتها يوم عُبدت، ويقال: لِتَتْبع كل أمةٍ ما كانت تُعبد، فتذهب المعبودات، حتى الشيطان أولهم، ويتبعها عابدوها، فتهوي في دركات النار، ويهوون معها، ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨].

وأما من أظهر الإسلام حقيقةً أو نفاقًا، فهؤلاء هم الذين يبقون عند الحوض، لكل نبيٍّ من أنبياء الله -عليهم الصَّلاة والسَّلام- حوضٌ، فهؤلاء هو الذين يأتيهم الله ﷻ مرةً أخرى في صورةٍ غير التي يَعرفون، فإذا سجدوا له، سَجَدَ من يسجد، وامتنع من السجود من لم يكن يسجد في الدنيا، عندئذ يذهب الله -جَلَّ وعلا- على ما يليق بجلاله وعظمته، فيتبعوه لأنهم مُظهرين لعبادته في الدنيا، الصادق والكاذب، فيمرون أول شيءٍ بالظلمة دون الجسر.

ثم الجسر: الصراط هو الذي يُميزهم كل بحسب إيمانهم وأعمالهم، فيتساقط المنافقون في النار، والعصاة وأهل الكبائر تأخذهم الكلاليب بذنوبهم يتساقطون في النار، ومنهم من يُرفع مرةً أخرى للصراط، ويسقط، ويرفع، ويسقط، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]، فإذا جاؤوا إلى الصراط، نجا من نجا، يكونون من جهة الصراط من جهة الجنة، من طرف الصراط من جهة الجنة، فطرفه الأول من جهة الموقف وهو الظلمة، وطرفه الثاني هو القنطرة من جهة الجنة، فأول شيء يناشدون الله ﷻ أن يُنجي ذويهم وقراباتهم من وقعوا في النار من أهل الإيمان والأعمال، فيَشفع النبي ﷺ في الجملة، ثم يشفع صالحوا كل أُمَّةٍ فيمن يَخُصُّهم، يناشدون الله كثيرًا بإلحاح أن يُنجيهم، وتتكرر الشفاعات من النبي ﷺ ومن الناس، فالنبي ﷺ يشفع في الجملة، بل تتكرر أربع مرات، ثم يشفع كل أحدٍ فيمن يخصه، فيُخرجون من النار، ولا يُخرج إلا أهل التوحيد، أما أهل الشرك والكفر فخالدون مخلدون في النار، لكن أهل التوحيد هم الذين يَخرجون، فبعد ذلك يكون الموضوع أن يُقتص لبعضهم من بعضٍ الحقوق التي كانت بينهم في الدنيا.

ومن حكمة ذلك -والله أعلم-:

أن يشتاقوا إلى الجنة فيعفوا بعضهم عن بعضٍ، حتى لا يتأخر عن الجنة، هم اطمأنوا من جهة النار ورجوا الجنة، فيكون هذا أدعى للتسامح؛ لأنها أطيب للنفس، أطيب من الحكم،

ومن لم يتسامح فهو يُحكم له، فبعد هذا إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا، أُذن لهم في دخول الجنة، ولا يُؤذن لهم حتى يشفع النبي ﷺ، يَستفتح باب الجنة، يُشَفَّع فيستفتح باب الجنة، ويطرق باب الجنة بعصاه، فيفتح له، وهذه من الشفاعات الخاصة به ﷺ مثل شفاعة الفصل. **نعم**.

٦٥٢٧ - حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الحَارِثِ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ أَبِي صَغِيرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي القَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: «**الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**».

الشرح:

يعني أن هذا في أول الأمر، ثم يُكسون بعد ذلك. **نعم**.

والله أعلم: أنهم يكسون تهيئة لفصل القضاء، إذا جاء الله عز وجل يكونون قد كُسوا. **نعم**.

٦٥٢٨ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي قُبَّةٍ، فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ».

الشرح:

وهذا زِيدَ أيضًا عن النبي ﷺ بعدها، أُخْبِر بأنَّ هذه الأمة ثُلُثَي أهل الجنة، زيادةٌ عن الشطر والنصف، وجاء في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**أن أهل الجنة مائةٌ وعشرون صفًا، أنتم ثمانون منها**»، وهذا دليلٌ أن هذه الأمة ثُلثا أهل الجنة. **نعم**.

لأن الأمم السابقة أكثرها لم يستجب لله ورسله، فما كان يستجيب إلا أفراد، كما رأى النبي ﷺ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، ما تبعه من قومه إلا هذا، والنبي معه الرُّهيط، العدد الذي دون التسعة أو دون العشرة وأقرب إلى الثلاثة، والنبي معه الرُّهط، العدد دون العشرة وأقرب إلى التسعة، بل والنبي من أنبياء الله -جَلَّ وعلا- ليس معه أحدٌ؛ يأتي وحده، ويقف عند حوضه وحده، لا يرد على الحوض غيرهُ، فجملة الأمم السابقة مُكذبةٌ للرسل، ولذلك أُهلكت عن آخرها.

قال تَعالَى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]، قيل أنهم لا يجاوزون أربعين رجلًا، مع أنهم أمضى نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعوتهم ألف عام إلا خمسين عامًا.

وأكثر الأمم استجابة لله ورسوله -قبل هذه الأمة- بنو إسرائيل قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، هم الذين أكثر؛ لأنها طالت مُدَّة الأمة هذه؛ عُمِّرت أكثر من غيرها من الأمم، فكانت بنو إسرائيل

تسوسهم الأنبياء، إذا هلك نبيٌّ خَلَفَهُ نَبيٌّ، وبقيت فيهم شريعة التوراة حتى نُسخت بالقرآن، والمدة طويلةٌ بين موسى وعيسى -عليهما السلام-، المدة طويلةٌ جدًّا.

فالمقصود: من هذا أنه ما استجاب للرسل إلا قِلةٌّ، فلا يُستغرب أن تكون هذه الأمة ثلثي الجنة؛ لأمور:

أول شيء: لما جَعَل الله ﷻ في النبي ﷺ من البركة، لكرامته على الله ﷻ.

وثانيًا: أن الله أيده بالقرآن، أعظم حجة أَيَّد بها الله ﷻ نبيًّا من الأنبياء والرسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-.

قال ﷺ: «**ما بعث الله نبيًّا قبلي، إلا أتاه من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي**»، والفرق بين آيات الرسل - عليهم السلام - السابقة وبين القرآن الذي آية النبي ﷺ وأعظم آية للنبي ﷺ:

أن القرآن معنيٌ يهتدي به من في زمان نزوله، ومن يأتي بعد ذلك إلى أن يُرفع القرآن.

بينما آيات المرسلين غير النبي ﷺ كانت وقتية، شيءٌ خارقٌ للعادة وقتيٌّ، مثل عصا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومثل إحياء عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للموتى، وغير ذلك، وإبراء الأكمه والأبرص، فلذلك كانت هذه من أسباب الهداية.

مع ما منَّ الله تعالى به على هذه الأمة أنها خير أمةٍ أُخرجت للناس، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

مع ما ضَمَّن الله ﷻ شريعته ومِلته من السماحة واليسر.

فلذلك تكون هذه الأمة أكثر أهل الجنة، ثلثي أهل الجنة، جعلنا الله وإياكم من أئمتهم.

نعم.

إذا اجتمع أن أكثر الأمم الماضية مكذبة، ويأجوج ومأجوج كَفَرَةٌ مُشركون، فتكون نسبة الأمة قليلةٌ لهؤلاء، ولذلك قال ﷺ: «**ما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة الحمراء في جلد الثور الأسود، أو كالرقعة**» يعني السوداء «**في ذراع الحمار**».

وفي حديثٍ آخر قال: «**إن منكم واحد**» يعني واحد إلى النار من هذه الأمة «**ومن يأجوج ومأجوج تسع وتسعون**».

وهذا مما اسْتَدَل به من فَسَّر يأجوج ومأجوج بالكثرة، وأن أكثر الأمم مكذبون.

«**ما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرقعة السوداء في ذراع الحمار**»، لكن دلت النصوص الصحيحة على أن يأجوج ومأجوج قبيلان من بني آدم، وأنهم مشركون كلهم إلى النار، شر الخليقة، فهم شر الخليقة ومعهم المكذبون من الأمم وهم كثرةٌ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣]، فيكون أكثر الناس إلى النار، وأقل الناس إلى الجنة، وأكثر أهل الجنة من هذه الأمة، فدل ذلك على فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على هذه الأمة، وعلى ما خصها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به من ألوان الكرامة. **نعم**.

٦٥٢٩ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي أَخِي، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ ثَوْرٍ، عَنْ أَبِي الغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ القِيَامَةِ آدَمُ، فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ، فَيُقَالُ: هَذَا أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ كَمْ أُخْرِجُ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِذَا أُخِذَ مِنَّا مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا؟ قَالَ: «إِنَّ أُمَّتِي فِي الأُمَمِ كَالشَّعَرَةِ البَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَسْوَدِ».

الشرح:

نعم، في الأمم المكذبة، وفي يأجوج ومأجوج.

بركة، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الدرس التاسع

الشيخ لم يطلع عليه بعد.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالدينا وللحاضرين والسامعين ولجميع المسلمين.

قال الإمام البخاري -رحمه الله وإيانا- في **كتاب الرقاق**:

بَاب قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:١] ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ﴾ [النجم:٥٧]، ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر:١]

٦٥٣٠ - حَدَّثَنِي يُوسُفُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، قَالَ: يَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ»، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: «أَبْشِرُوا، فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ» ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قَالَ: فَحَمِدْنَا اللهَ وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِنَّ مَثَلَكُمْ فِي الأُمَمِ كَمَثَلِ الشَّعَرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوِ الرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الحِمَارِ».

الشرح:

الحمد لله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فقد سمعتم من الكلام مما أورده البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب من ذكر اقتراب يوم القيامة، أي دُنُوُّها، وذِكْرُ شيءٍ من أسمائها، أسماء القيامة، وذِكر ما تدل عليه هذه الأسماء من الأهوال العظيمة، وذكر الأحاديث الدالة على كثرة من يدخل النار، وأكثر الناس يدخلون النار والعياذ بالله.

فأما الأول: وهو دنو يوم القيامة، فإن الله ﷻ أفصح عنه بقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١]، فجعل انشقاق القمر -الذي هو آيةٌ من آيات نبوة النبي ﷺ- علامةً على قُرب الساعة، كما أن بعثة النبي ﷺ علامة على قرب الساعة.

قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣]، فاقتربت الساعة معناها دنت وأوشكت أن تقوم، والمراد ساعة الكون، التي يَخْرُب فيها هذا العالم المنظور في الحياة الدنيا، ويبدأ فيها اليوم الآخر، وتُبَدَّل الأرضُ غير الأرض والسماوات، ويَبْرُز الخلائق لله الواحد القهار.

ولذا قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾، يعني: قَرُبت القيامة، فالأَزَف والأُزُوف معناه القرب، ووشك الوقوع.

أزف الترحل غير أن ركابنا لَمَّا تزل برحالنا وكأن قدن

ويعني: كأن قد زالت.

والساعة كأن قد قامت، لشِدَّة قُربها، وقِصَر ما بقي من عُمُر الدنيا قياسًا بما مضى من عمر الدنيا، وما مضي من عُمُر الدنيا أَكْثَرُه، وبقي القليل، فالدنيا قد آذنت بزوال، ولم يبق منها إلا

شيءٌ يسيرٌ، كصُبَابَة الماء في قاع القِدر أو الإناء، وإن لم تقم ساعة الكون فستقوم ساعتك أنت قَبْلُ، ومن الخير لك ألا تقم الساعة وأنت حي؛ لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق.

وذَكَرَ الله -جَلَّ وعلا- في كتابه جُمْلَةً من أسماء يوم القيامة، والشيء المُهم تَكْثُر أسمائه، وهي أعلامٌ وأوصافٌ، فكل اسمٍ من أسماء يوم القيامة يتضمن وصفًا وإشارةً إلى حالٍ من أحوالها، أو حَدَثٍ من أحداثها، وحالٍ من أحوال الناس فيها.

وقد جاوزت أسماء يوم القيامة في الكتاب والسنة أكثر من ثمانين اسمًا، فمن ذلك:

القارعة: فالقارعة اسمٌ من أسماء يوم القيامة؛ لأن حَدَثَ القيامة يَقْرَعُ القلوب بهَوْله، وسميت القارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها، ولذلك كَرَّرها الله ﷻ على وجه التفخيم، ثم بُيَّنَها، فقال: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١ - ٢]، يعني يومٌ عظيمٌ وحدثٌ كبيرٌ؛ جللٌ، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:٣]، ثم فَسَّرها بقوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٤ - ٥]، فهذا اسمٌ من أسماء يوم القيامة، إشارة إلى حدثٍ عظيمٍ يكون فيه.

الصاخة: قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ [عبس:٣٣]، يعني القيامة، حَدَث القيامة، سُمِّيت صاخة؛ لأنها تُصخ الأسماع، تُصم الأسماع بصوتها، وذلك بالنفخ في الصور، فإنه لا يصم الأسماع فقط، بل يَصْعَقُ الناس فيه من أثره، ويُقضى عليهم؛ يموتوا.

وسماها الله -جَلَّ وعلا-: الطامة الكبرى؛ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات:٣٤]؛ لأن حَدَثَ القيامة أعظم حَدَثٍ يَعْرض لهذا الكون، أكبر وأخطر حَدَثٍ يَعْرض لهذا الكون العظيم.

وهكذا سمى الله ﷻ يوم القيامة: يوم الفصل؛ لأن الله ﷻ يفصل بين عباده بالقضاء، يحكم بينهم، فتُحصى الأعمال وتُقَدَّر الأجور والعقوبات، وتُقْضَى حُقوقُ الخَلْق بعضهم من بعضٍ.

وسماه تعالى: يوم الجمع؛ لأنه يُجْمَعُ فيه الأولون والآخرون في صعيدٍ واحدٍ.

وسماه: يوم الحشر؛ لأن الناس يُحشرون فيه إلى ربهم حفاةً عراةً غرلًا بُهمًا.

وهكذا كل اسم من أسماء يوم القيامة يدل على حدثٍ يحدث فيه، ويدل على حالةٍ يكون الناس فيها.

ولذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ [الحج:١]، فسماها الزلزلة، وقال: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ١ - ٤]، فيحصل فيها زلزالٌ عظيمٌ، ولذلك تَنْدَكُّ الجبال، وتتشقق السماوات، وتكون غمامة، ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان:٢٥]، فتضطرب الأرض، وترتج، ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ۝٦ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ﴾ [الواقعة: ٤ - ٧]، فهذا التهويل ليوم القيامة من أجل حض الناس على الاهتمام به والاستعداد له، وتحذيرهم من الغفلة عنه، وكما سبق من لم يدرك قيامة الكون، فإن قيامته هو قبل ذلك، ومن لم يُدرك ساعة الكون، فإن ساعته هو قبل ذلك، فأولى به أن يَهتم؛ لأنه إن غَفَلَ فليس بمغفولٍ عنه.

كذلك مما يكون يوم القيامة أن الله ﷻ يخاطب آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على رؤوس الأشهاد، ويقول: يا آدم، أنت بيني وبين ذريتك، أنت أعدل في ذريتك، ابعث بعث النار من ذريتك، فيقول: يا ربي من كم؟ كيف بعث النار؟ فيقال له: من كل ألفٍ تسعمائة وتسع وتسعون إلى النار وواحدٌ إلى الجنة، قال ﷺ: «**فعندئذ يشيب الوليد**» لو كان صبيًّا طفلًا صغير يشيب من

هذا الهول، «**وتضع كل ذات حَمْل حملها**» لو كانت فيه نساء حوامل لوضعن من شدة الهول.

وفُسِّرَ ذلك أيضًا بأنه مَنْ ماتت في حَمْلِها، تُبعث على ما ماتت عليه، وتَضَع في يوم القيامة، وهذا يحتمل.

فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما سمعوا هذا بُهِتُوا، وما استطاعوا أن يتكلموا، وسَاوَرَهم شيءٌ من الفزع والخوف، فإذا كان واحدٌ من الألف إلى الجنة والبقية إلى النار، قالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل؟ فبَيَّن لهم النبي ﷺ أن هذا العدد الكثير إلى النار من الكفار، ومن أهل الشرك، ومن يأجوج ومأجوج، والكفار جملة الأمم الماضية مكذبةٌ كافرةٌ، كما دل عليه حديث رؤية النبي ﷺ للأنبياء والمرسلين قَبْلَه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأنه رأى النبي من أنبياء الله ورُسُله أنه لا يتبعه إلا عددٌ قليلٌ، ما يُقارب العشرة فقط، ومنهم ما دون ذلك خمسة، ومنهم الرجل والرجلان، لا يتبعه إلا الرجل أو الرجلان من قومه، ومنهم الرجل الواحد، ومنهم من لم يتبعه أحد؛ يأتي وحده، ويقف على حوضه وحده، ما يَرِدُ عليه أحدٌ، فالأمم المكذبة كثيرةٌ، ولذلك أهلكها الله ﷻ بعقوباتٍ عامَّةٍ، استأصلتها عن أخرها.

كما ذكر الله ﷻ عن قوم نوح، وعاد، وثمود، وأصحاب الأيكة، فهذه أُمَمٌ أُهْلِكَت بكاملها، فالمكذبون للرُّسُل كثيرٌ، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩] ، ويأجوج ومأجوج أُمَّتان من البشر كافرتان، شَقِيَّتان.

فبهذا يتبين أن أكثر الأمم الماضية مع يأجوج ومأجوج كلهم في النار، وأن أهل الإسلام والإيمان قليلٌ، ولذلك قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠].

وذكر الكثرة أنها على الكفر، ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]، فلا يُسْتَغْرب أن يكون هذا القَدْر إلى النار؛ من المائة تسعة وتسعون إلى النار وواحدٌ إلى الجنة، ولذا قال ﷺ: «**ما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة الحمراء في جلد الثور الأسود، أو كالرقمة أو الرقعة في ذراع الحمار**» يعني الحمار الأبيض؛ يشير إلى قلة المؤمنين والمسلمين من الجن والإنس بالنسبة للمجموع المكلفين، ولذا فهذه الأمة المرحومة -جعلنا الله وإياكم من المرحومين- هم أكثر أهل الجنة؛ لأن الذين يدخلون الجنة من الأُمم الماضية قِلَّةٌ.

فبهذا يبين حجم هذه الأمة في الجنة، أنهم أكثر أهل الجنة.

ولذلك أسباب:

منها: أنها أمةٌ مرحومةٌ.

ومنها: أنه بُعِثَ إليها خير الخلق، وأُنْزِل إليها أشرف كتاب، وتُعُبِّدت بأيسر شريعةٍ.

وأن الله ﷻ تعهد ألَّا يَسُوء النبي ﷺ في أمته بل يرضيه.

ومنها: أن هذه الأمة أكثر الأمم على الإطلاق استجابةً لنبيها ﷺ، ولذلك أهل الإسلام كثيرٌ، وعلى مَرِّ القرون وهم كثيرٌ، ولم يُوجد التَّحَلُّل والإلحاد والجهل بأحكام الشرع مثل ما وُجِد اليوم عبر القرون، إلى ما يقارب القرن الحادي عشر أو الثاني عشر، وجملة الأُمَّة على الإسلام وإن أخطأوا، وإن وُجِد بِدَعٌ، وإن وُجِد معاصي، لكن الجملة منتسبةٌ للإسلام،

ومُعتزةٌ بالإسلام، ومفتخرةٌ بالإسلام، ومرتبطةٌ بالإسلام، وترى فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليها بالإسلام، وتحس بعزتها وكرامتها بالإسلام، ولا وُجِدَ التحلل والتميع والانسلاخ من الدين إلا لَمَّا تمكن المُستعمر من بلاد الإسلام، لما تمكن الغرب من المسلم، وإلا دَخَلَ التتار، ودخل الصليبيون في البلاد الإسلامية، وتَمَكَّنُوا، ومَلَكُوا، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يُغيروا أحوال الناس، أو أن تتحلل المجتمعات مثل ما هو اليوم.

وهذا لأسباب :

منها: وجود وسائل الإعلام.

ومنها تَحَكُّم الكفار في الحكومات، عن اختيارٍ أو عن قهرٍ.

ومنها زوال الحواجز بين المسلمين والكفار.

ومنها البُعُوث والدراسات التي ذهبت إلى الغرب.

ومنها المستشرقون الذين دخلوا بلاد الإسلام؛ مُنافقون، وأفسدوا في مجتمعات الإسلام بإفساد الأنظمة، وتحريف الدين، والتشكيك في الثوابت.

وإلا فجملة الأمة على الإسلام، منذ دخلوا في دين الله أفواجًا، إلى قبل مائة سنة، فلذلك لا يُستغرب.

ولذلك جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة**»، فكبر الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فرحًا واغتباطًا، قال ﷺ: «**إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة**»، يعني أُخْبِر وزِيدَ النبي ﷺ، فكبروا، فقال: «**إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة**»، -كما في الحديث- فكبروا، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إني لأرجو أن تكونوا ثُلثي أهل الجنة**».

وقال في الحديث الآخر: «**أهل الجنة مائةٌ وعشرون صفًّا، أنتم ثمانون منها**»، مما يدل على أنهم ثُلُثا أهل الجنة، فعامة المسلمين أتباعٌ للسلف الصالح، والمخطئ ما قصد الخطأ

ولا رَغِب في الخطأ، لكن هذا مبلغ علمه، أو أنه أحسن الظن بمن قلده، لكن فطرتهم الإسلام، ورَغْبَتُهم في الإسلام، وحبهم للإسلام عظيمٌ، فعامة المسلمين تبعٌ للسلف الصالح ولأهل السنة والجماعة، والذي يُجَيِّرُهم لأهل البدع ضالٌ ومخطئٌ وجاهل.

فأكثر أهل النار من الأمم الأخرى: الأمم المكذبة، الأمم الماضية، ومن يأجوج ومأجوج، ومن عُصاة هذه الأمة: من كفروا ولم يقبلوا الدعوة في زمن النبي ﷺ وهلكوا على الكفر، وممن نافقوا وماتوا على النفاق -كما في الحديث السابق- أنهم يُطردون عن حوض النبي ﷺ، فيقول: «**أصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين منذ فارقتهم**»، يعني منافقون نفاقًا اعتقاديًّا، وعُوملوا على ما أَظهروا من الإسلام، وهم في الحقيقة منافقون مرتدون عن الإسلام في الدرك الأسفل من النار، وممن فَسَقَ من الأمة وأعلن الإلحاد والكفر والشرك بدعوة غير الله معه وهو يعلم.

وإلا فهذه الأمة مرحومةٌ، وهي أكثر أهل الجنة، ولا يُساء الظن بها، ما يجوز إساءة الظن بها؛ حتى قول النبي ﷺ: «**ستفترق هذه الامة على ثلاثة وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة**»، ما معناه أنهم في النار خالدين مخلدين فيها أبدًا؛ لأ، معناه: أنهم أهل وعيدٍ؛ مستحقون للعقوبة، ولا يكون من أهل النار الخالدين فيها إلا من كان على بدعةٍ مكفرةٍ، أو كان على إلحادٍ، أو على الشرك الأكبر.

وإلا فالأمة مرحومةٌ، والأصل فيها أنها مرحومة، كونهم يكونون في النار هذه الفرق؛ الفِرق ما يلزم أنهم مخلدون في النار، بمعاصيهم مُؤقتًا، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين، أو برحمة وعفو أرحم الراحمين، لا بد من التفطن لهذا، لا يجوز إساءة الظن بالأمة.

والله تعالى يقول: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠].

ويقول -جل وعلا-: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

ويقول -جل وعلا-: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٢ - ٤].

ويقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

وقال -جل وعلا-: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾ [فاطر:٣٢] الكتاب المُنَزَّل: القرآن، ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ يعني هذه الأمة، اصطفاهم الله ﷻ واختارهم من الأمم، فكما جعل النبي ﷺ حظهم من الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، جعلهم حظ النبي ﷺ من الأمم، قال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ يعني خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، ويش بعد الآية؟ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٢] و«عسى» من الله إيجاب -كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-، هؤلاء أدنى الأمة، أدنى أمة الإجابة، هؤلاء الظالمون لأنفسهم، وأفضل منهم وأشرف وأكمل: المقتصدون، فالظالمون لأنفسهم الذين خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، والمقتصدون الذين أَدَّوا الواجبات وتركوا المحرمات، لكنهم لم يفعلوا المُستحبات، ولم يتقوا الشبهات، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أفضلهم وأشرفهم وخيرهم السابقون بالخيرات، فذكر الله ﷻ أصناف الأمة المستجيبة، أصناف أمة الإجابة، قال: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٢ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾

[فاطر: ٣٢ - ٣٣] ، فوعد الله الأصناف هؤلاء الجنة كلهم، فالله ﷻ يُشَفِّع مُحْسِنَهُم في مُسيِئهم، ولهذا من الدعاء المأثور: «**اغفر لنا أجمعين، وَهَبِ المُسيئين منا للمحسنين، وعمنا برحمتك يا أرحم الراحمين**».

والنبي ﷺ بَشَّر الأمة بأنهم أكثر أهل الجنة، وسيأتي مزيد بيان لهذا إن شاء الله.

لكن لا يجوز إساءة الظن بالأمة، ولا يجوز تقنيط الناس من رحمة الله، ولا يجوز تجرأتهم على معصية الله، فالفقيه كل الفقيه من لم يُقنط الناس من رحمة الله، ولم يُجرِّؤهم على معصية الله، فهذه الأمة مرحومة، ولذلك كَثَّر الله لها أسباب المغفرة، وموجبات حط الخطيئات، وموجبات رفعة الدرجات، ويَزيدهم الله ﷻ فوق ذلك ثوابًا غير مقابل عمل، فضلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويكفيك حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، وأن النبي ﷺ أُعْطِي مع كل ألفٍ من السبعين ألف سبعين ألفًا، جاءت روايات أُخرى أن السبعين غير الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يَدْخلون بعد الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وجاءت روايات أن السبعين يخرجون من مَقْبَرَة البقيع، يعني بعد الصحابة، بعد جيل الصحابة، كل هذا يدل على خيرية الأمة، وعلى رحمة الله ﷻ بها، وعلى كرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في معاملته وعفوه، ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨]، فعلى المرء أن يجتهد في صالح العمل، وأن يستغفر ويتوب من التقصير والزلل، وأن يتجنب الوسائل التي تُوقعه في الضلال والانحراف والزيغ، وليُبْشر من الله ﷻ بالرحمة. **نعم**.

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين: ٣- ٥].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة:١٦٦] قَالَ: الوَصْلَاتُ فِي الدُّنْيَا.

الشرح:

يعني أسباب الصلة والتواصل انقطعت.

وهذا فيه التحذير من خطر يوم القيامة وهوله، وأن الإنسان لا يتساهل بمعاصي الله، ولا يترك طاعة الله الواجبة متعمدًا وهو يعلم؛ لأنه على خطرٍ عظيمٍ، والله تعالى يقول: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥].

فيُحسن الظن بالله ﷻ لكن يصدق في العمل؛ يُخلص، ويتوب إلى الله ﷻ، ويتوب من التقصير والزلل، ويَحْذَر من البدع والأهواء، وتكون ثقته بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا بعمله، فيُحسن العمل ويخشى الله ﷻ، ويَوْجَل؛ كما قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون:٦٠]، فهول يوم القيامة عظيمٌ، وإذا آخذ اللهُ العبدَ بعمله فعامله بعدله هَلَكَ، فلا نجاة للعبد إلا أن يُعامله الله بفضله، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَعَدَ أن يُعامل المحسنين بالإحسان، أن يجزي الإحسان بمثله، ووعد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يعفو عن أهل الإيمان أيضًا، وبَيَّن -سبحانه- أن رحمته تَسْبق أو تغلب غضبه، وأنه تعالى إلى العفو أقرب منه إلى المؤاخذة، وأنه يُحب العفو -جَلَّ وعلا-، ولكن لا يتكئ الإنسان على هذا، بل يجتهد في صالح العمل، ويتوب من التقصير والزلل، ويحذر من الزيغ بارتكاب المنهي عنه عن علمٍ وذِكْرٍ واختيارٍ؛ لأن الإنسان يُعاقَب بظُلمه بِأَنْ يَقَع في ظلمٍ آخر، ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ

ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٠ - ١٦١]، فمِن عقوبة السيئةِ السيئةُ بعدها -والعياذ بالله-، كما أن من ثواب الحسنةِ الحسنةَ بعدها.

فهذا: في الذين يطففون، يبخسون الكيل والميزان، كيف أنهم يفعلون هذا، وهم يعلمون أنهم مُلاقوا الله ﷻ، موقوفون بين يديه، مسؤولون عن عملهم، من يضمن لهم النجاة لو عَاملهم الله بعدله؟، وأن هذا التطفيف من خطره ومن شُؤمه أنه قد يَعْرِض لصاحبه عند النزع، فيحول بينه وبين الشهادة.

كما ذكر **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «**الجواب الكافي لمن سأل عن الجواب الشافي**»، فذَكَر من خطر المعاصي أنها قد تَعْرِض للإنسان أو تُعْرَض عليه عند الموت، فتَصُدَّه عن ذِكْرِ الله -جَلَّ وعلا-، ينشغل بها عن ذِكر الله -جَلَّ وعلا-، ومما ذَكَر من الأمثلة أن إنسانًا كان يبخس الكيل والوزن، يَنْقُصه ويُطَفف، فلما حضره الموت، وقيل له، يعني قال له من حوله: قُلْ لا إله إلا الله، لم يقل لا إله إلا الله، رُدِّدَ عليه لم يقل، فقيل: ما لك يا فلان؟ فقال: أنَّ كِفَّة الميزان على لسانه ثقيلة، يعني ما يستطيع أن يُحرك لسانه، فخُيِّل إليه في هذه الحال أن كِفَّة الميزان بما فيها مما يُوزن على لسانه، الذي كان يبخسه في صحته، فحيل بينه وبَيْن أن يقول لا إله إلا الله، فهذا خطرٌ عظيمٌ، هذا نذيرٌ بسوء الخاتمة، ما يجوز القطع بسوء خاتمته، لكنه خطرٌ.

وإنسانٌ كان يسأل الناس أموالًا، يعني مُتسولٌ من غير حاجة، مفتونٌ، فكان طول دهره يحضر مجتمعات الناس في المساجد والأسواق، ويشحذ بيده ويقول: فُلَيْس لله، أعطوني شيئًا يسير لله، يعني أنا مسكين، وهو لا تحل له المسألة، فقيل له عند النزع: قل لا إله إلا الله، فبدأ يُردد: فُلَيس لله، حتى قَضَى، فهذا من شؤم المعاصي.

ومن شؤم المعاصي كذلك، ذكر **ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجلًا كان صاحب دكان، يبيع أشياء، وكان في الحَيِّ مستحمٌّ خاصٌّ للنساء؛ لأنه كانت العادة أن يكون فيه مستحم للرجال، ومستحم للنساء، يدخله الناس للاستحمام والسباحة والنظافة بأُجرة؛ لأن الناس ما يتوفر لهم الماء ولا مواد النظافة، فمرت به امرأةٌ وسألته عن الحمام، وينه المسبح الخاص بالنساء يسمى «حمام منجاب»؟ فنَظَرَ للمرأة نظرةً غير شرعية؛ حرام، ففُتن بها، فقال على الفور:

وقائلـــــة يومـــــًا وقـــــد تعبـــــت أيــن الطريــق إلــى حمــام منجــاب؟

يتغزل بها، فمضت الأيام، وحضره الأجل، وبدأت عليه علامات النزع، فقيل له: يا فلان، قُلْ لا إله إلا الله، فقال:

وقائلـــــة يومـــــًا وقـــــد تعبـــــت أيــن الطريــق إلــى حمــام منجــاب؟

فصار يردد هذا بدل الشهادة والعياذ بالله.

وحَدَثَتْ حادثةٌ قبل سنين: إنسانٌ في طريقٍ في سفرٍ، وإذا أمامه حادث سيارةٍ جديدٌ، فنَزَل ليُسعف من في السيارة، ووجد فيها شخصًا واحدًا، وإذا هو قد أصاب حديدُ السيارة عُنقَه، فقصم عنقه، انتهى ما بقي إلا اللحم، وإذا مُسَجِّل السيارة مُشتغل على الأغاني، وهو يُردد الأغاني، هذه متأكدٌ منها أنا، يردد الأغاني مع المسجل وهو في النزع، وما لبث أن قضى، ما أمكن إسعافه، هذا من شؤم المعاصي.

الإنسان ما يجوز أن يستهين بالمعاصي ولا يستخف بها، لا يقول: هذه بسيطة، أو الناس كلهم يفعلون كذلك، أو هذا عمت به البلوى، أو إذا ما عَلَيَّ إلا هذا أمرها سهل!،

ما يجوز؛ هذا نفاق.

قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: **المؤمن يَرى ذُنوبَه كجبلٍ يوشك أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كذبابٍ طار على أنفه فقال به هكذا.**

يستخف بالذنب ويستسهل به، لا تنظر إلى صِغَر الذنب في عينك، انظر إلى عِظَم من عصيت، من تعصي؟ تعصي جبار السماوات والأرض، الذي لا مفر منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلا إليه، فلا بد أن يُنتبه إلى هذا.

فإذا قلنا: أن الأمة مرحومة، وأن الأمة خير الأمم، وأن الأمة أكثر أهل الجنة، وأنهم كذا، هل تضمن أنت أن ينطبق عليك هذا؟، لأ، الرجل ممن كان قبلنا، الذي كان له جارٌ ظالمٌ لنفسه، وكان ينهاه ويزجره، ويقول ذاك له -لجهله-: **خَلِّني وربي، ما بُعِثْتَ عليَّ رقيبًا**، فخرج ذات يوم وإذا صاحبه على معاصي، فأُعِجب بنفسه واحتقر صاحبه، وبلغ به الإعجاب بنفسه والغرور أن تجرأ على الله عَزَّوَجَلَّ، وقال: **والله لا يغفر الله لفلان**، يعني كيف هذا فعله ويغفر الله له؟! تدري يعني إرادة الله؟! تحيط برحمة الله؟! فحلف أن الله لا يغفر لفلانٍ رجمًا بالغيب، فغضب الله عليه، وقال: من ذا الذي يتألى عليَّ، يَحْجُر عَلَيَّ أَلَّا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأدخلتك النار، كلمةٌ واحدةٌ، يقول أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **تكلم بكلمةٍ واحدةٍ، أحبطت عمله، أو أوبقت عمله**.

فالواجب على العبد أنه يُخلص الدين لله عَزَّوَجَلَّ، ويجتهد في صالح العمل، ويبادر بالتوبة من التقصير والزلل، ويحذر من الاستهانة بشيءٍ من المعاصي أو احتقار شيءٍ من الأعمال الصالحة اليسيرة والتفريط فيها؛ لأن أثر ذلك على القلوب خطيرٌ.

وهذه من أخطر مداخل الشيطان على الإنسان، أنه يدخل عليك من هذا الباب. **نعم**.

٦٥٣١ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانَ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦] قَالَ: «**يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ**».

٦٥٣٢ - حَدَّثَنِي عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي الغَيْثِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ**».

الشرح:

وهذا تنبيهٌ على هولٍ من أهوال يوم القيامة، وأن الناس في موقف الحشر يضيق بهم الموقف، من كثرة الناس من جهةٍ، ومن جهة أخرى أنها تُدْنى منهم الشمس، حتى تكون قَدْر ميلٍ، وجاء في بعض الروايات أنه يُزاد في حرارتها عشر مراتٍ، فيكون من أَثَر ذلك أنهم يعرقون، ويكون العرق -بقُدرة الله- من الشخص بحسب سُوء عمله، كلما ساء عمله كلما زاد عرقه - نعوذ بالله -، فمنهم من يكون العرق إلى كعبيه فقط، ومنهم من يكون إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم إلى نصف فخذيه، ومنهم إلى حقوة إلى خاصرته أسفل ظهره من اليمين أو اليسار، ومنهم من يكون إلى ثندوتيه إلى صدره، ومنهم من يُلجمه العرق إلجامًا، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على كل شيءٍ قديرٌ، فيتفاوتون، وحتى يسيخ العرق في الأرض سبعين ذراعًا، هذا يدل على هَوْل الموقف، هذا صورةٌ ومظهرٌ من هول الموقف، أنه عظيمٌ خطيرٌ، وليس كل الناس هكذا، كما سبق: حسب العمل.

وفيه أُناسٌ كما جاء في الحديث الصحيح: «**يظلهم الله في ظله في ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله**»، ومنهم السبعة أصناف: «**إمام عادل**» يعني سلطان عام عادل، «**وشابٌ نشأ في طاعة الله، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأةٌ ذات منصبٍ وجمالٍ فقال:**

إني أخاف الله»، دعته للفاحشة، واعتذر يخاف الله ﷻ، ومنهم رجلٌ تصدق بصدقة، يعني فأخلص لله ﷻ، ولذلك أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، وجاء في الحديث الآخر: «**كل امرئٍ يوم القيامة في ظل صدقته**»، فمن الناس من يستظل بظل صدقته، وهكذا.

فالناس أصناف، خِيار الناس أصناف، وشِرار الناس أصناف، وما بين ذلك أصناف أيضًا.

وفيه مظاهر متنوعة من الناس:

فأحدٌ يؤتى به على رؤوس الأشهاد، يقال: هذا فلان، هذا عمله - نسأل الله العافية والسلامة -، فهذا بيانٌ وصورةٌ وحالٌ وهولٌ مما يكون يوم القيامة يوم الحشر، هذا يوم الحشر. **نعم**.

بَابُ القِصَاصِ يَوْمَ القِيَامَةِ

وَهِيَ الحَاقَّةُ؛ لِأَنَّ فِيهَا الثَّوَابَ وَحَوَاقَّ الأُمُورِ. الحَقَّةُ وَالحَاقَّةُ وَاحِدٌ، وَالقَارِعَةُ، وَالغَاشِيَةُ، وَالصَّاخَّةُ، وَالتَّغَابُنُ: غَبْنُ أَهْلِ الجَنَّةِ أَهْلَ النَّارِ.

٦٥٣٣ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنِي شَقِيقٌ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالدِّمَاءِ**».

٦٥٣٤ - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ**».

٦٥٣٥ - حَدَّثَنِي الصَّلْتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف:٤٣] قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي المُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا**».

الشرح:

الحاقة : اسمٌ من أسماء يوم القيامة، ودلالته أنه يتحقق ما أَخْبَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ به في كُتُبِه وعلى ألسنة رُسُله، من اليوم الذي يفصل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به بين خلقه، فتُؤَدَّى الحقوق إلى أهلها مهما كانت، إلا أن يعفو أهلُها، حتى يكون العَدْلُ بين البهائم، كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في

الحديث الصحيح: «**لتُؤَدَّنَ أو لَتُؤَدُنَّ الحقوق إلى أهلها، حتى يقاد للشاة الجلحاء**» أي الجماء «**من الشاة القرناء**»، فسميت الحاقة بالحاقة لأنه يتحقق فيها خبر الله -جَلَّ وعلا- ووَعْدُه، ولأنه يُحْكَمُ بين الناس، ويُفصل بينهم، فيُؤخذ الحقُّ لمستحقه، ويُقضى بين الناس بالحق، ﴿لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [غافر:١٧]، ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّ﴾ [غافر:٢٠]، وهو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، فهذا مما يجري يوم القيامة، الحُكم بين الناس فيما بينهم من الحقوق، فتُؤَدَّى الحقوق إلى أهلها، وهذا يكون في عدة أماكن، فالله ﷻ يفصل بين الناس، حتى الكفار بينهم فيما اختلفوا فيه؛ حقوق بعضهم عند بعض، يفصل بينهم، وكذلك يفصل الله ﷻ بين المكلفين والبهائم، يُؤخذ حقوق البهائم من المكلفين، وبين السيد والمَسُود، السيد وعَبْده، فمَنْ جَلَدَ عبده بغير حق، يُؤخذ حق العبد يوم القيامة من سيده، وحق المرأة من زوجها، والزوج من زوجته، وهكذا، فتُؤدى الحقوق إلى أهلها، فأول ما يقضى بين الخلق -عمومًا- أنها تُؤخذ حقوق العجماوات البهائم من الناس الذين أساؤوا إليها، ولذلك الذي يمنع البهائم من وِرْدِها وَقْتَ الوِرْد أو لا يحلبها وقت الحلب، أو يُجيعها أو غير ذلك، فإنه يُؤخذ حقها منه بأن يُبْطَح لها في قاعٍ قرقرٍ، ومن ذلك أنه لا يُؤدي زكاتها، فتعضه بأفواهها، وتطأه بأخفافها، كلما مَرَّت عليه أُخراها أُعيدت أولاها، إلى أن يقضى بين الخلق في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة.

ومن ذلك: المرأة اليمانية التي حبست الهرة فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، أُرِيَهَا للنبي ﷺ في النار وهِرَّتُها تنهشها مع أليتها مع عجيزتها.

ومر النبي ﷺ على غلامٍ من الأنصار في نخله، فجاء بعيرٌ يُهمهم إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**إن هذا البعير يَشكوك أنك تُجيعه وتُتعبه**»، وأمره بالإحسان إليه.

فتُؤخذ الحقوق من المكلفين الظالمين للبهائم المظلومة، ثم يقال لها: كوني ترابًا، فتكون ترابًا، فعندئذ يقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ:٤٠]، هذا موقف من مواقف الفصل والحكم بين الخلق.

ومن ذلك: أنه يُؤخذ الكفار حقوق ما بينهم، قبل أن يُؤْمَرْ بهم إلى النار.

ومن ذلك: أهل الإسلام، أهل الإيمان: أنهم إذا جاوزوا النار، جاوزوا الصراط، زُحزحوا عن النار وأدخلوا الجنة - جعلنا الله وإياكم منهم -، أو الذين أُدخلوا النار بذنوبهم وهم من أهل التوحيد، ثم أُخْرِجُوا منها بشفاعة الشافعين أو رحمة أرحم الراحمين.

كل هؤلاء يُحبسون في القنطرة، بين الجنة والنار، وهي طَرَفُ الصراط مما يلي الجنة، فيُقْتَصَّ لبعضهم ما بينهم من المظالم.

وفي هذا من الحكمة - والله أعلم -: أنه أدعى للتسامح؛ لأنهم إذا نجوا من النار، طمعوا إلى الجنة واشتاقوا، تَعَجَّلُوا الجنة، فلذلك يكون هذا أدعى للتسامح والتصالح، أن يتنازل المُحِقُّ عن حقه، خشية أن يتأخر عن الجنة، كونه يتنازل عن طيب نفسٍ منه أسلم لصدره، ويكون بينه وبين أخيه تسامحٌ وتصافحٌ، ولذا قال تعالى: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]، فهذا مما يحصل.

وهذا فيه أحوال، والناس فيه أصناف، وحقوق الناس متنوعة، ولذلك النبي ﷺ أمر بأداء الحقوق إلى أهلها، ورَدِّ المظالم والتحلل من الناس، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، يعني ما ثَمَّ إلا الحسنات والسيئات، فالظالم يُؤخذ للمظلوم من حسناته، ولو لم تكف حسناته يُحَمَّل من سيئات المظلوم، لشدة الظلم، ولأن الله ﷻ حَرَّم الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرمًا، وتوعد عليه بالوعيد الشديد، قال: ﴿وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان:١٩].

والمظالم كثيرةٌ، جاء في الحديث أن أُناسًا يأتون يوم القيامة معهم حسناتٌ أمثال الجبال، ويكون أحدهم قد لطم هذا، وشتم هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، فيُعْطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يَقْضِي ما عليه، أُخْذَ من سيئاته فطُرِح عليه، ثم طُرِح في النار.

وجاء في حديثٍ صحيحٍ نموذجٌ واحدٌ مما يكون بين الناس من الخصومة بين يدي الله – جَلَّ وعلا– في حقوقهم، فيجثو رجلان، جاء في الحديث: «**يجثو رجلان بين يدي الله –جَلَّ وعلا–، ظالمٌ ومظلومٌ، فيقول المظلوم: يا ربي خُذْ حقي من هذا**» يعني هذا ظلمني، «**فيقال: خُذْ من حسناته، فيأخذ من حسناته ولا يكفيه، فيأخذ ولا يكفي، يأخذ ولا يكفي، حتى تنفذ حسنات الظالم، فيقول المظلوم: يا ربي، خُذْ حقي منه**» ما تنازل، «**فيقول الله –جَلَّ وعلا–: كيف وقد فنيت حسناته؟ ما بقي شيءٌ**»، هذا – والله أعلم – أنه من حسنات العمل، أما حسنات الإيمان فهذه تَخُصُّ صاحبها وما تُنْقَص، «**فيقول المظلوم: يا ربي، خُذْ من سيئاتي، فاطرح عليه**»، ولما ذكر النبي ﷺ هذا بكى، وقال: هذا يوم معنى الكلام: أنه يحتاج أحد أنه يُحَمَّل عليه سيئات! يصير في حيرة الآن وشك، كيف الحل؟ خذ من سيئاتي، واطرح عليه، يعني ما يتنازل، قال: «**فبينما هما كذلك، قيل له للمظلوم: ارفع رأسك، فرفع رأسه، قال: يا ربي، أرى قصور وجنان، لمن هذه؟ ألنبيٍّ هذه؟ قال: لا، قال: أَلصِدِّيقٍ هذه؟ قال: لا، قال: أَلشَهِيدٍ هذه؟ قال: لا، قال: لمن يا ربي؟ قال: لمن عفا وأصلح، قال: قد عفوت، فيقال: خذ بيد صاحبك، فادخلا الجنة**».

هذا لطف الله ﷻ وعفوه، وهذا مما فُسِّر به قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]، يعني يفر؛ يخشى أن

يَنْقُصَ أقرب الناس إليه من حسناته، أو أن يُحَمِّلَه شيئًا من سيئاته، لما يرون من دقة الحساب ومن العدل.

هذا يوم عظيم، والوضع فيه خطير، فلذلك يحتاج الإنسان أن يتخلص المظالم ومن حقوق الناس، يتحلل من الناس، ويَصْلُح معهم قبل فِراق الدنيا؛ لأن الناس في الدنيا يُمكن أن يتصالحوا، لكن يوم القيامة صعبٌ، كيف يتصالحون ويفر المرء من أقرب الناس إليه، ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج: ١١ - ١٤]، ولذلك شُرِعَتْ عيادة المريض، وصلاة الجنازة، وشهود الدفن، وزيارة المقابر، من أجل التذكير بهُون الدنيا، وإقبال الآخرة، والاعتبار بمَنِ انتقل من الدنيا إلى الآخرة، وهو عنده آمالٌ عريضةٌ، وأمورٌ كبيرةٌ متنوعةٌ، كيف ذهب وترك كل شيء، فيكون هذا مما يقتضي أن الإنسان يراجع نفسه، ويُصحح مساره إلى الله ﷻ، ويتخلص من حقوق الخلق، ويصفح عن الخلق رجاء أن يصفح الله عنه يوم القيامة، أو أن يقيضه من يصفح عنه.

فهذه من المقصد لشرعية العظيمة، وهذا من الخوف، الإنسان يخافُ هذا اليوم، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]، فإذا عُرِفَ أن الحقوق مأخوذةٌ، وأنه لا مفر من ذلك أصلًا، وأنه ما ثَمَّ يوم القيامة إلا الحسنات أو السيئات، لا مال الدنيا وما فيها، إلا أن يَمُنَّ الله ﷻ بلطفه وعفوه؛ مثل هذا الرجل الذي قيل له: خذ بيد صاحبك يوم عفا.

فلا بد من التنبه لهذا والعناية بهذا، فهو يومٌ عظيمٌ، يومٌ خطيرٌ جدًّا. **نعم**.

اقرأ آخر حديث.

٦٥٣٥ - حَدَّثَنِي الصَّلْتُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف:٤٣] قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

الشرح:

فهذه: مواقف يحصل فيها القصاص لأَخْذِ الحقوق لأهلها، ممن هي عنده.

ففي أول الحشر يكون أَخْذُ حقوق العجماوات والبهائم، ثم يكون بين الكفار بعضهم وبعضٍ، ثم بين المؤمنين بعضهم من بعضٍ، وهذا يكون في القنطرة بين الجنة والنار، ثم بعد ذلك يُشْفَع لهم في دخول الجنة، والشافع هو النبي ﷺ، يسجد بين يدي الله ﷻ، ويثني عليه من محامدَ يُعلمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إياها، ثم يُقال له: سل تعطى، وقل يُسمع، واشفع تشفع، فيذهب ويَطْرق باب الجنة بعصاه، ويقول خازن: من أنت؟ فيقول: أنا محمد، فيقول: بك أُمِرْتُ لا أفتح لأحدٍ قبلك، فيَفتح، ويَدخل النبي ﷺ، وتَدخل أمته تبعًا له، كل أمةٍ تابعةٌ لرسولٍ من رسل الله وأنبيائه -عليهم الصلاة والسلام- تدخل مع نبيها؛ تبعًا لنبيها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فإذا دخلوا تدلهم الملائكة -عليهم السلام- على قصورهم ومنازلهم من الجنة، الملائكة -عليهم السلام- يدلونهم، فهم يستقبلونهم عند أبواب الجنة، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤]، ثم هو المسلم أهدى بمَنْزِله في الجنة منه بمنزله في الدنيا، فحصل الأمن الحقيقي، والطمأنينة، والاستقرار؛ لأنه جاوز الدنيا بسلامٍ، جاوز

عرصات القيامة بسلامٍ، وجاوز النار بسلامٍ، نسأل الله وأن يجعلنا إياكم كذلك، وجاوز القنطرة ودَخَل، خلاص أَمِنَ واطمأن، نسأل الله الكريم من فضله. **نعم**.

بَابٌ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ

الشرح:

يعني يفهم من الحساب أنه التدقيق يعني، والإحصاء، والتقرير، يعني إحصاء الأعمال على العباد، وتقريرهم فيهم، بما في ذلك: التفاصيل والجزئيات، بحيث أن العامل يعترف بعَمَلِه، وبالتالي يُقِرُّ بأنه أهلٌ للجزاء، هذا الغرض، ولكن هذا ليس لكل أحدٍ:

فالمؤمنون حسابهم العرض، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٨]، فحسابهم العرض، أن أعماله تُعْرَض عليه؛ نماذج منها يعني، فيُعْرَضُ على العبد المؤمن صغارُ سيئاته، ويَعترف بها، ويتذكر كبار سيئاته، ويَعْجَب أنه لم يرها، فيقول الله ﷻ له: أنا سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فحساب المؤمنين هو العرض.

جاء في الحديث:

أن الناس يُعرضون على الله ثلاث مرات، فعرضتان معاذير وإنكار، وعرضةٌ إقرارٌ، ثم تطير الصحف إلى الناس، فيأخذونها، فآخِذٌ كتابه بيمينه، وآخِذٌ كتابه بشماله من وراء ظهره.

لكن هذا العرض له صورٌ:

المؤمنون يُعرضون عرضًا فقط، أما الكافر فهو يُوَقَّفُ عند كل واحدةٍ: «**ألم نُصحَّ لك جسمك؟ ألم نُشبعك؟ ألم نُسقك من الماء البارد؟ ألم نجعلك تَسْرَح وتَرْبع في أهلك ومالك؟**» ولا يكون عنده عذرٌ؛ لأنه ما استعمل نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في طاعته، بل جعلها سُلَّمًا لمعصيته، فالمؤمن يُعرض عليه بعض عمله ويُسْتَرُ عليه الآخر، ويُبشر بالعفو والمغفرة، وأما الكافر فهو يُعْرَضُ عليه الدقيق والجليل، ويُبَكَّتُ ويُقَرَّع.

ولذلك أخبر ﷺ شرحًا وتفسيرًا للقرآن، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢]، كيف النبي ﷺ بَيَّنَ هذا وشرحه، كان يقول في صلاته، والأحرى أنه في التشهد قبل التسليم: «**اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا**»، فسمعته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فتعجبت وأوردت على النبي ﷺ الآية، فأخبرها ﷺ أن حساب المؤمنين هو العرض، وأما حساب الكافرين المنافقين فهو النقاش عند الصغير والكبير، الدقيق والجليل، وقال: «**من نُوقش الحساب فقد هلك**».

فهذا مما يكون يوم القيامة، ويتفاوت الناس فيه تفاوتًا كبيرًا، ولذلك بعض السلف من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَهَمَّهُم الأمر هذا؛ لأنه سَمِع الكلام هذا على الجملة، وأن المؤمن يحاسب حسابًا يسيرًا، فيقول: أنا أيش يضمن لي؟ فكانوا يزهدون في الدنيا والتجارة، مع أنهم من أهل التجارة في الجاهلية، يقولون أنَّ هذا الحرام عذاب، لكن الحلال حساب، والحساب مع كثرة المال والمُتعلقات يَطُول، فيصير فيه إشكالات، ويتأخر عن الجنة، ولذا يدخل فقراء الأمة قبل الأغنياء بنصف يوم، يوم الحساب، خمسمائة عام، قد يتأخر الأغنياء، ويدخلون بعد ذلك، لكن يكونون في أعلى المنازل لأنهم من أهل الصدقة والإحسان، «**ذهب أهل الدثور بالأجور، والدرجات العلى، والنعيم المقيم**»، لكن الذين زهدوا في الدنيا قالوا: ما نريد أن نتأخر عن الجنة، ما نبغي، فقال قائلهم: ما يسرني أن لي دكانًا بسُدَّة المسجد، يعني عند الباب على اليمين أو اليسار، أكسب منه في اليوم ألفين وخمسمائة دينار، أُنْفِقُها في سبيل الله، كل هذا حلال، قالوا: لم؟ فقال: لأن الحلال حساب، والحساب مع الكثرة والتبعات يطول، قال: لا أريد هذا، فهذا يهمه موضوع الحساب، هذا ما فيه عذابٌ ولا فيه شيءٌ، بس يقول: التأخر عن الجنة ما يريده، يتقللون من هذا.

فكيف الذين يغشون الناس؟! وكيف الذين يأكلون أموال الناس بالباطل؟! كيف الذين يسرقون؟! كيف الذين يأخذون الأموال قهرًا؟! كيف الذين يسفكون الدماء؟! كيف الذين ينتهكون الفروج المحرمة؟!، كيف بأهل الغيبة الذي لسانه طول النهار وهو في غيبةٍ ونميمةٍ وبهتٍ؟!

قد لا تُقابل حسناته والسيئات ترى، فيطلع من المفلسين في آخر شيءٍ -والعياذ بالله-.

فالأمر خطيرٌ، فأمر الحساب ينبغي أن يكون على البال، ولذلك قال تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ٤ - ٦]، تنسى هذا اليوم؟! وهو أمامك وأنت قادمٌ عليه، وربما أنك في آخر خطواتك إليه، فتنبه لذلك قبل فوات الأوان.

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، وسلك بنا سبيل أولى التقى، وجعلنا مباركين أينما كنا، ونجانا من نارٍ تلظى، وأورثنا الفردوس الأعلى، ووالدينا، ومشايخنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وأحبابنا فيه.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الدرس العاشر

الشيخ لم يطلع عليه بعد.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولشيخنا وللحاضرين والمستمعين.

قال المصنف -رحمه الله تعالى وإيانا- الإمام البخاري، في **كتاب الرقاق**:

بَابٌ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ

٦٥٣٦ - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الأَسْوَدِ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ**» قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٨] قَالَ: «**ذَلِكِ العَرْضُ**».

حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ الأَسْوَدِ، سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ مِثْلَهُ.

وَتَابَعَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمٍ، وَأَيُّوبُ، وَصَالِحُ بْنُ رُسْتُمَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٦٥٣٧ - حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ أَبِي صَغِيرَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، حَدَّثَنِي القَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ: حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧- ٨] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الحِسَابَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ**».

٦٥٣٨ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**يُجَاءُ بِالكَافِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ**».

٦٥٣٩ - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي الأَعْمَشُ، قَالَ: حَدَّثَنِي خَيْثَمَةُ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلاَ يَرَى شَيْئًا قُدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».

٦٥٤٠ - قَالَ الأَعْمَشُ، حَدَّثَنِي عَمْرٌو، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ**» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، ثُمَّ قَالَ: «**اتَّقُوا النَّارَ**» ثُمَّ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ ثَلاَثًا، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**».

الشرح:

الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم علمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، والحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل الظلال.

اللهم اهدنا وسددنا، اللهم نسألك الهُدى والسداد.

هذه الأحاديث التي سمعتم، أخرجها البخاري -رحمه الله تعالى- في صحيحه في «**كتاب الرقاق**»، فيها تذكرةٌ للنفوس، وترقيقٌ للقلوب، وتذكيرٌ بما أمام الإنسان من أهوالٍ بعد

الموت، وفي البرزخ، ويوم القيامة؛ لأجل أن يكون المرء على بَيِّنةٍ من ذلك، فيأخذ حِذره ويستعد لما أمامه، بما يكون سببًا في نجاته وفلاحه، جعلني الله وإياكم من الناجين المفلحين.

قد اشتملت هذه الأحاديث على التذكير بالعرض على الله -جَلَّ وعلا-، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة:١٨]، وهذا العرض يكون بعد الحشر، فإن الحشر هو جَمْعُ الناس من أصقاع الأرض، إلى موضع المَحشر بعد البعث، وبعد النفخ في الصور النفخة الثانية والأخيرة، فإن الناس يُحشرون في مقامٍ واحدٍ، في أرضٍ واحدةٍ، كقُرْصَة النَّقِي الخُبْزَة الدائرة، لا ترى في الأرض عوجًا ولا أمتًا، فيُحشرون في مقامٍ واحدٍ، يُسمعهم الداعي ويَنْفُذهم البصر، وتكون الملائكة -عليهم السلام- قد طوقتهم، دائرة من ورائهم، ومن وراء الدائرة دائرةٌ، ومن ورائها دائرةٌ، إلى سبع دوائر، فإنه قبل مجيء الله ﷻ تشقق السماء بالغمام، ويُنَزَّل الملائكة تنزيلًا، فيكون ملائكة السماء الدنيا دائرة من وراء الناس في الموقف، ثم ملائكة السماء الثانية دائرة من وراء ملائكة السماء الدنيا، ثم من ورائهم أهل كل سماءٍ حتى السماء السابعة، وهذا يكون مقدمةً لمجيء الله -جَلَّ وعلا- للقضاء والفصل بين عباده، كما قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢] ، يعني حال كون الملائكة صفًا صفًا، صفًا من رواء صفٍ، دائرةً من وراء دائرةٍ.

فهذا موقف الحشر يطول على الناس طُولًا شديدًا، ويعتري الناس من الأهوال والكروب ما لا يُطيقون وما لا يحتملون، حتى يتشاورون فيما بينهم في سبيل الخلاص من هذا الموقف، فيُهدون إلى طلب الشفاعة لهم لفصل القضاء، فيطلبونها من أولي العزم من الرسل -عليهم السلام-، بل من آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قبلهم، ويعتذر كل واحدٍ منهم، ويقول: «**نفسي نفسي نفسي**»، أو يقول: «**لست لها**»، أو يقول: «**أن ربي قد غضب اليوم غضبًا، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى غيري**»، ويحليهم لهم إلى من دونه، فآدم

عَلَيْهِ السَّلَامُ يحيلهم إلى نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يحيلهم إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يحيلهم إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يحيلهم إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يحليهم إلى النبي ﷺ، فتنتهي الشفاعة إليه، فيقوم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ويقول: «**أنا لها**»، لِمَا أخبره الله ﷻ، ولِمَا أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له من الكرامةٍ، والمقام المحمود، فيقوم ويَسْجُد تحت العرش، ويَفتح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه بمحامد لم تكن تحضره في الدنيا، وإنما يُلهمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إياها، فيُثني بها على ربه -جَلَّ وعلا-، فتكون سببًا في قبول شفاعته، وتحقيق طلبَته، فيقول الله ﷻ له: «**يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعط، وقل يُسمع، واشفع تشفع**»، فيشفع لفصل القضاء، فيأتي الله ﷻ لفصل القضاء، على ما يليق بجلاله وعظمته.

فيُصرفون من هذا الموقف إلى العرض على الله -عز وجل- والحساب، الذي هو العد والإحصاء، فيُعرضون على الله عرضًا عامًّا، ثلاث عرضات: الأولى والثانية معاذير، والثالثة يُقِرُّون بأعمالهم، ويَقْبَلُون ما يترتب عليها من الثواب أو العقاب، فهذا العرض كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٨]، فهذا عرضٌ عامٌّ للأمم، ثم يكون العرض الخاص للأشخاص، والله أعلم بكيفيته، ومما جاء فيه قوله ﷺ في الحديث الذي سمعتم: «**ما منكم من أحدٍ إلا وسيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، فينظر أشام منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة** » يعني تتصدقون به «**فإن لم تجدوا فبكلمةٍ طيبة**».

وهذا العرض الثاني العرض الفردي أيضًا يختلف الناس فيه:

فأما المؤمن: فيُدنيه الله -جَلَّ وعلا- ويضع كَنَفَه عليه، ويَعْرض عليه بعض أعماله، ولعله يعرض عليه صغارها، ويُخفي عنه كثيرًا منها، فيُقِرُّ بذنبه ويستغفر ربه، فهذا تقريرٌ بالعمل، وهذا حسابٌ يسيرٌ.

والصنف الثاني هم الكفرة الفجرة وأشباههم وأشكالهم: فهؤلاء يُناقشون الحساب، يُناقشون عند كل صغيرةٍ وكبيرةٍ.

أما المؤمن فيستر الله عليه -جَلَّ وعلا- بفضله وكرمه ورحمته كثيرًا من ذنوبه، فيقول: «**يا ربي، لي ذنوبٌ لا أراها**»! فيقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له: «**أنا سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم**».

في هذا من الحض والموعظة على الاستتار، وأن الإنسان إذا ابتُلي بالذنب، يتوب بينه وبين ربه عن قُرْبٍ، ويندم على فعلته، ويعزم على ألا يعود إليها، ويُلازمه الندم فترة الاستغفار، حتى تُمحى عنه، وحتى لا تَسُوؤه يوم القيامة.

فهذا هو العرض الذي قال الرسول ﷺ فيه لعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «**إنما ذلك العرض**».

وأما الفجرة الكفرة وأشباههم فإنهم يُناقشون، ومن نُوقش الحساب هلك؛ لأنهم يُعاملون بعدل الله، والمؤمن يُعامل بفضل الله وعفوه وستره، والفاجر والكافر يُعامل بعدل الله، ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٩]، فهذا العرض يكون بعد الحشر.

فإذا عُرِض الفريقان على الله -جَلَّ وعلا-، كلٌّ يُقِرُّ بعمله، وكُلٌّ يحمد الله عَزَّوَجَلَّ: فالمؤمن يحمد الله عَزَّوَجَلَّ لما يرى من عفوه وجوده وكرمه وستره، ويغتبط بفضل الله عليه، والفاجر والكافر يُقِرُّ بعدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه، وأنه ما ظلمه.

فإذا حصل هذا منهم، يُصرفون إلى موضع الصحف، فتُخرج لهم الصحف بأعمالهم التي قُرِّروا بها وأَقَرُّوا بها، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ١٣

ﭐقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ لا تحمل نفسٌ ذنب غيرها ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٥].

فتُخرج لهم الصحف، ويُعطون إياها:

فالمؤمن يأخذ صحيفته بيمينه، والفاجر والكافر يأخذ صحيفته بشماله من وراء ظهره، فيكون إخراج الصحف وظهورها وتسليمها للعاملين من باب التوثيق للعمل، والإقرار، والإلزام والالتزام بما يترتب على ذلك من الثواب لأهل الطاعة، والعقاب لأهل المعصية، وأن مقادير الثواب والعقاب بحسب هذه الأعمال التي قُرِّروا بها فأَقَرُّوا.

فإذا أخذوا صُحفهم، صُرفوا إلى موضع الموازين، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]، فيَذهبون إلى مواضع الموازين، وتُوزن الأعمال، وتُوزن العُمَّال، وتُوزن صحف الأعمال، ويختلف الناس في ذلك، فأما الكفرة والفجرة فلا يُقيم الله لهم وزنًا؛ لأن أعمالهم فاقدةٌ للإخلاص؛ لأنهم على الشرك والكفر، على جحود التوحيد، ولأنها فاقدةٌ لموافقة الشرع، فليست على الكتاب في أصل المشروعية، ولا على السنة في الأداء والكيفية، فإذا وُزِنت أو وُزنوا أو وُزنت صحف الأعمال، لا يظهر لها وزنٌ، ويظهر مقدار العقاب عليها، وأما المؤمنون فتُوزن أعمالهم، وتُوزن صُحُف الأعمال، أحدٌ يُوزن عمله، وأحدٌ يُوزن صحف عمله، وأحدٌ يُوزن هو بنفسه، فيظهر مقدار الثواب على العمل.

ولهذا جاء الحض على الإخلاص لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في القصد والنية، أن يُبتغى وجه الله - جَلَّ وعلا- في الأعمال، في الفعل أو الترك، وأن يستقيموا على الشرع في أصل المشروعية والأداء والكيفية، من أجل أن يستعدوا لذلك، ويُفكروا قبل الهَمِّ بالعمل: بالفعل أو الترك،

هل هذا سيكون في كِفة الحسنات أو كِفة السيئات؟، فإن كان في كفة الحسنات أَقْدَمُوا عليه، وبادروا إليه، وأخلصوا فيه، وداوموا على جنسه، واغتبطوا بفضل الله ورحمته وهداه، وإن كان خلاف ذلك أعرضوا عنه، وتركوه، وأحجموا عنه، وخافوا من تبعات ذلك.

ولذلك عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا استشكلت لَمَّا قال النبي ﷺ: «**من نُوقش الحساب فقد هلك**»، كيف يعني؟ فأخبرها النبي ﷺ أن المؤمن لا يُناقش الحساب، وإنما يُقَرَّر ببعض عمله أو بعمله، فتُستر عنه بعض سيئاته، ويُرَى من صحيفته ما يَسره، ليُقرر بذلك، ويتبين له فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه ورحمته، ويستره الله ﷻ لا يفضحه على رؤوس الأشهاد، أما الكافر أو الفاجر، فيُناقش حتى يُقال له: ألم نُصِحَّ لك جسمك! ألم نروك من الماء البارد! ألم نجعلك تَرْبَع في دنياك وفي عشيرتك! ويقال له: لو كانت لك الدنيا، هل تفتدي من هذا الأمر بالدنيا وما فيها؟ فيقول: نعم، يُقال: طُلِب منك أيسر من هذا، أن تُوَحِّد الله ﷻ، وتعبده بما شَرَعَ على الوجه الذي شَرَعَ.

فلذلك أورد البخاري - رحمه الله تعالى- هذه الأحاديث على هذا الترتيب الذي سمعتم، وهو فيه التدرج أو التدريج، وبيان هذه الأمور شيئًا فشيئًا، حتى تتضح الصورة، ويظهر عِظم الأمر، وخطر الأمر. **نعم**.

بَابٌ: يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ

الشرح:

يعني لَمَّا ذَكَر موضوع الحساب، واختلاف الناس فيه، فمِنَ الحساب الذي هو العرض على الله فقط، ويُقرر الله ﷻ المؤمن ببعض سيئاته، ويُريه الله ﷻ من حسناته ما يسره، ويستر عنه بعض سيئاته، وأن الكفار والفجار يُناقشون ويُهلكون.

بين البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن مِنَ الناس، يعني من خاصة أهل الإيمان الكُمَّلِ - جعلنا الله وإياكم منهم - مَنْ يدخلون الجنة بلا حسابٍ ولا عذابٍ، يكون الله ﷻ قد عفا عنهم وضاعف لهم الحسنات؛ لكمال إخلاصهم لله -جَلَّ وعلا-، وحسن استقامتهم على الإسلام، لكمال إخلاصهم من حيث القصد والنية، وحسن الاستقامة على الإسلام من حيث المشروعية، أصل المشروعية والأداء والكيفية، فهؤلاء يُؤْمَرُ بهم إلى الجنة على طُول؛ لأنهم من المُصْطَفَين - جعلنا الله وإياكم منهم -؛ لكمال إخلاصهم وحُسن استقامتهم، وهم أصنافٌ من الناس تَمَيَّزُوا بأوصافٍ.

سبعون ألفًا، ومع كل ألفٍ من هذه الأمة سبعون ألف، أعطى الله النبي ﷺ مع كل ألفٍ سبعون ألفًا، فيكون العدد كثيرٌ يعني سبعة ملايين وزيادة، يدخلون الجنة بلا حسابٍ ولا عذابٍ، رأسًا يعني، وهؤلاء تميزوا بأوصافٍ كاملةٍ:

فمنهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون.

سبعون ألفًا أو ثمانون ألفًا يدخلون الجنة صفًا واحدًا، لا يدخل أحدهم حتى يدخل الآخر منهم ، يدخلون صفًا واحدًا، وُجُوههم على مثل القمر ليلة البدر إضاءةً - نسأل الله الكريم من فضله -، ويُلْحِقُهم الله بأمثالهم، مع كل ألفٍ سبعون ألفًا. **نعم**.

٦٥٤١ - حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيلٍ، حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ، ح/

الشيخ: تدري ويش معنى (ح)؟

في القراءة: حاءٌ.

المعنى: تحولٌ من إسنادٍ إلى إسنادٍ، يعني فيه اشتراكٌ في السند. **نعم**.

٦٥٤١ - حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ، ح قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: وَحَدَّثَنِي أَسِيدُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، هَؤُلاَءِ أُمَّتِي؟** ...

الشرح:

يعني أن الرسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- قبل نبينا ﷺ، لم يَتَّبِعْهم -في الجملة- من أُمَمِهم إلا القليل، حتى قيل أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا قومه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مدةً طويلةً، كما ذكر الله ﷻ في القرآن ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا، ومع ذلك لم يستجب له إلا القليل، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]، قيل: أن هؤلاء القليل لا يُجاوزون أربعين رجلًا، على طول المدة وعلى الاجتهاد في الدعوة، والتفنن في الأساليب، وتحري في المناسبات، والرقة في الخطاب والتلطف، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ حتى لا يسمعوا ولا يروا! ﴿وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾؛ يُذَكِّرُهم بالنعم؛ ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ

عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾؛ ويوبخهم ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ٥ - ١٣] لا توقرون الله ﷻ، لا تعظموه، ولا تجلوه، ومع ذلك سخروا منه، وعاندوه، وتوعدوه، وتهددوه، ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ [القمر:٩]، وسخروا منه، ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون:٢٤] وعارضوه وأعرضوا عنه.

وهكذا الأمم: قوم عاد، هلكوا عن آخِرهم، ما تَبِع هودًا منهم إلا نفرٌ لا يُذْكَرون، وثمود كذلك، وهكذا قوم لوط، وقوم إبراهيم، وقوم شعيب، الرسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- الذين بُعثوا قبل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يُؤمن لهم إلا القليل، وربما أن أكثرهم أتباعًا قبل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد أن فارق أباه وقومه واعتزلهم وهاجر، فآمن له خلقٌ أكثر من ذي قبل، ومن هذا أن الله ﷻ جعل النبوة والكتاب في ذريته، ومن ذلك أنه صار له ولدان نبيين:

فإسحاق نبيٌّ من الصالحين في قوم أبيه في الشام، خَلَفَ أباه إبراهيم في الشام في فلسطين.

وإسماعيل نبيٌّ ورسولٌ خَلَفَ أباه -عليهما السلام- في مكة، فآمن بهما مَنْ آمن، واتَّبَعَهُما خَلْقٌ أكثر من ذي قبل، وهذا -والله أعلم- من كرامة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له؛ لحلمه، ولعِظَم الكتاب الذي جاء به، فصُحُف إبراهيم أعظم الكتب السابقة، يليها صُحُف موسى التي هي التوراة.

ثم بعد إبراهيم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أكثر رُسُلِ الله -عليهم الصَّلاة والسَّلام- أَتْبَاعًا؛ لأن شريعة التوراة التي هي أعظم كتابٍ قبل كتابنا القرآن، شريعة التوراة أعظم كتاب أنزله الله ﷻ، وكان من ضمن الشرائع فيه: الجهاد في سبيل الله.

فالرسل الذين قبل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقبل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كانوا يُنَاظِرون قومهم مناظرةً، ويلبثون فيهم مُددًا طويلةً، ولم يُؤْمَرُوا بالجهاد، بل يقيمون الحجة بالمحاضرة

والمناظرة، وإزالة اللبس، وكَشْف الشبهات، وتفنيد الضلالات بالخطاب، والأَخْذِ والإعطاء، ولم يُشْرَع لهم الجهاد، ولذلك ما استجاب لهم أكثر الناس.

وأشهرهم في المحاجة والمناظرة إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولذلك كان أكثر أتباعًا.

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وافهموا هذا: **إن بين آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ونوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عشرة قُرونٍ.**

وهذه القرون بأعمار أهلها، كانت أعمارهم تزيد عن ألف سنةٍ إلى ألفين سنةٍ إلى أكثر، فعشرة قرون كان الناس على التوحيد؛ لأن الأصل في الناس التوحيد، أنه الفطرة، والناس فُطِروا عليه، والشريعة شريعة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مُدَّتُها طويلةٌ، عشرة قرون، لكن كان الناس في ذاك الوقت قِلَّةٌ، فشريعة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كانت لأهل بيته، بيت واحدٍ: آدم وحواء، ثم صار يأتيهما أولادٌ: ذكورٌ وإناثٌ، فكان آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من شريعته التي اخْتُصَّ بها أنه يُزَوِّج الأخ بأخته، لكن ما تكون شقه في التوم [٣] ؛ لأن حواء تلد توأم اثنين، فيزوج ابن هذا العام بابنة العام السابق، وولد العام السابق بابنة العام اللاحق، كانت بيوتًا معدودةً والأعمار طويلة، ولا يُولَدُ لهم بسرعةٍ، حتى قيل أن شيث حفيد آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أو ابن آدم، ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه عاش مائتين وخمسين سنة ما بَلَغَ، ولما بلغ مائتين وخمسين سنة بَلَغَ يعني، ثم مائتين وخمسين سنة ما تزوج؛ خمسمائة، ثم مائتين وخمسين سنة ما وُلِد له، ما وُلِد له إلا بعد سبعمائة وخمسين سنة.

فكانوا قِلَّةً يعني ما هم كثرة، وظهرت فيهم أولًا المعاصي: كبائر الذنوب.

التي من أمثلتها: قَتْلُ أحد ابني آدم لأخيه بغيًا وعدوانًا؛ حسدًا، ظهرت الكبائر، ثم بعد ذلك ظهرت البدع، التي بسببها -البدع- عُبِدت الأوثان والأصنام.

---

(٣) أي: لا يزوج الأشقاء من بطن أو حمل واحد.

فإذًا يكون الرسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- أكثرهم ما تبعه إلا القليل، النفر اليسير، حتى رأى النبي ﷺ فيما عُرِض عليه النَّبِيَّ يعني من أنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسَّلام-، النبي معه الرجل والرجلان، وقبله النَّبي ليس معه أحدٌ، ما تبعه من قومه أحدٌ، ونبيٌّ معه الرجل والرجلان، ونبيٌّ معه الرهيط يعني العدد دون العشرة أقرب إلى الثلاثة، ونبيٌّ معه الرهط أقل من العشرة وأقرب إلى التسعة، هؤلاء الذين تبعوا الرسل.

ولذلك قال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣]، ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]، ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام:١١٦].

وقال في المقابل عن أهل الخير والصلاح: ﴿ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡ ﴾ [ص:٢٤]، ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [هود:٤٠]، ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣].

فلما بُعِث موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بشريعة التوراة، كان فيها الجهاد، نَفَعَ الله بهذه الشريعة، ودخل في دين الله خَلْقٌ كثير فئامٌ، ولذلك لما رأى النبي ﷺ السواد العظيم الذي في هيئة الظل في جهة من جهات الدنيا، من حيث المشرق أو المغرب أو اليمين أو الشمال، ظَنَّ أنهم أُمَّته لِمَا أخبره الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ من أنه سيتبعه خلقٌ كثيرٌ، كما قال ﷺ: «**ما بعث الله من نبيٍّ قبلي، إلا أتاه من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أُوتيته وحيًا أوحاه الله إلي**» يعني القرآن العظيم، «**فأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا يوم القيامة**»، فلما رأى السواد العريض في الأفق، ظن أنهم قومه، فقيل له: هذا موسى وقومه.

فدل على أن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أكثر رسل الله ﷻ السابقين أَتْبَاعًا، وهذا لأن شريعته تضمنت الجهاد في سبيل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ القتال، مع أن قوم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ نكلوا على

الجهاد في عهده، لَمَّا قال لهم: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة:٢١] التي كتب الله لكم، قالوا: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤]، لكن قادهم فيما بعدُ تلميذه يُوشع بن نون تلميذه والنَّبِيُّ بعده، فقادهم وفتح الله عليه بيت المقدس.

وشريعة التوراة استمرت في بني إسرائيل يُحْكَم بها حتى نُسِخت بالقرآن العظيم، صار كل مَنْ تَبِعه من بعد مُتَّبِعًا لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مؤمنًا بشريعته، كانت بني إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيٌّ بعث الله نبيًّا بعده، ولِعِظم شأن شريعة الجهاد، وبركة أثرها في هداية الخلق إلى الحق، قال الشاعر الحكيم:

دعا المصطفى بمكة دهرًا فلم يجب

يعني: ثلاث عشرة سنة.

دعا المصطفى بمكة دهرًا فلم يجب وقد لان منه جانبٌ وخطابُ

ما نفع هذا، ما آمن إلا قلة.

فلما دعا والسيف صَلْتًا بكفه له أسلموا واستسلموا وأنابوا

وانظر إلى الفَرْق بين غزوة بدرٍ وبين فتح مكة بالقوة، وصلح الحديبية بالقوة، كيف دخل الناس في دين الله أفواجًا، ولذلك قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥]، فبَيَّن - سبحانه - أَثَر الحديد في هداية العبيد إلى الحق، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٦]، يعني: قلة المهتدون.

ونوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو أبو الرسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، من بعد آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإبراهيم هو أبو الرسل الثالث، والنبوة والكتاب حُصِرت في ذريتهم، في ذرية آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم في ذرية نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم في ذرية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فكونه لم يستجب للرسل إلا القليل، يعني من أسبابه أنه لم يُشرع الجهاد، والله حكيمٌ عليمٌ، ربما أنه كونه لم يُشرع لقلة الناس؛ لأنه لو شُرع لأفنى الناس بعضهم بعضًا، فشُرع الجهاد في وقته وفي مناسبته، وشريعة الجهاد في الإسلام أقوى وآكد، وأعظم أجرًا منها في التوراة، ولذلك كان اتباع النبي ﷺ هم أكثر أتباع الأنبياء والمرسلين -عليهم الصَّلاة والسَّلام- على الإطلاق، ولذلك أُرِيَ ﷺ آفاقًا ثلاثة، كلها فيها ظلٌّ؛ مظللةٌ يعني، لبيان كَثْرَة أتباعه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، قيل: انظر إلى الأفق الثالث، قيل: انظر إلى الأفق الآخر. وقيل: انظر إلى الأفق الثالث. قيل: هؤلاء أمتك، ثم بُشِّر بزيادةٍ: ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة من غير حسابٍ ولا عذابٍ، ثم بُشِّر بزيادة: أنه أُعطى ﷺ مع كل ألفٍ سبعين ألفًا.

فدل هذا على فضيلة الرسالة التي بُعث بها النبي ﷺ، وعلى فضيلة الشريعة التي أُنْزِلت عليه، وعلى فضيلة شريعة الجهاد في سبيل الله؛ لأنها إلزامٌ بالتوحيد بالقوة، إلزامٌ: إما أن يُسلموا، وهذا في الوثنين، إما أن يسلموا، وإما أن يُقتلوا أو يُفرض عليهم الرِّق، في الوثنيين الذين لا دين لهم.

وأما أهل الكتاب ومثلهم المجوس: فتفرض عليهم الجزية.

هذا دليلٌ على عِظم شأن فريضة الجهاد في سبيل الله، وأن الله ﷻ خَصَّ بها النبي ﷺ لتعظيمها، وفي عِظم المثوبة عليها، وفي حُسن عواقبها، وبركة آثارها، وأنها قبل ما تكون ضربًا للرقاب والأبدان، هي ضربٌ للقلوب إيقاظ للقلوب، لكن فريضة الجهاد في هذا الزمن

أُسيء استخدامها، وعُبث بها، وأُظهرت للناس بمظهرٍ يُنفر الناس من الإسلام، فعامل الله من فَعَل ذلك بما يستحق، عامله الله بعدله، هذا تنبيهٌ مهمٌ في الموضوع هذا. **نعم**.

«فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، هَؤُلاَءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لاَ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لاَ يَكْتَوُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

يعني جَمَعُوا خصالًا عظيمةً:

أولها: تحقيق التوحيد، بالتوكل على الله ﷻ، ثقةً به، واعتمادًا عليه، يُفوضون أمرهم إلى الله ﷻ ثقةً به واعتمادًا عليه، مع مباشرة ما أباحه الله وشَرَعَهُ من الأسباب، من تحصيل المطلوب، واتقاء المكروب، هذا أول شيء.

الثاني: أنهم يتركون الشِّرك؛ لأن الشرك عَدْلٌ برب العالمين، وتسويةٌ لأحسن الخالقين بالمخلوقين، وهذا ظلمٌ وجورٌ؛ ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، ولذلك يتركون الشرك الأكبر والأصغر، مثل: التطير والتشاؤم بمرئيٍّ أو مسموعٍ أو مكانٍ أو زمانٍ أو شخصٍ، يعني أخلصوا التوحيد، وتركوا الشرك بنوعيه: أكبره وأصغره، جليهما وظاهرهما، وباطنهما وخفيَّهما.

والثالث: تركوا ما يُكره من المباحات، مثل: أنهم لا يكتوون، لا يفعلون الكَيَّ من غير حاجةٍ إليه؛ لأنه نوعٌ من التعذيب بالنار، ولأنه دواءٌ مكروهٌ، ما لم يتوقف الأمر عليه، فإذا توقف الأمر عليه، جاز استعماله، ولا يَنْقُص من التوحيد.

وكذلك: لا يسترقون: لا يطلبون الرقية من غيرهم، مع أن الرقية مباحةٌ بل مشروعةٌ، لكن يَرْقِي أحدهم نفسه، وإذا تَبَرَّع أخوه لرقيته، يُمَكِّنه، لكن ما يطلبونها بمِنَّة الخلق، فتركوا

الشرك وحققوا التوحيد، وتركوا الشرك بنوعيه: الظاهر والخفي، وتركوا ما كان وسيلةً إلى الشرك مثل: التشاؤم المبني على سوء الظن بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بِنِسْبَةِ الشيء إلى غير الله، وتركوا ما يُكْرَهُ وإن كان جائزًا، وتركوا ما فيه مِنَّةٌ وإن كان نافعًا؛ لكمال توحيدهم.

فلذلك تميز هؤلاء بكرامةٍ من الله ﷻ وفضله، وأنهم يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، أما إذا احْتِيج إلى الكي وإلى الرقية، كأن يتوقف العلاج على الكي، أو لأن الإنسان لا يُحسن الرقية لنفسه، أو أنه رقاه غيره ولا انتفع، فإنه يسترقي ولا يضر هذا فيه؛ لأنه تَوَقَّف الأمر عليها وهي جائزةٌ ومشروعةٌ كما قال ﷺ: «**إن يكن الشفاء ففي ثلاث: ملعقة عسل، وشرطة محجم، ولذعة كي**»، وأَمَرَ النبي ﷺ أن يُسترقى لبعض المرضى. **نعم**.

فَقَامَ إِلَيْهِ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ» ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ قَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ».

ولا يلزم أن لا يكون ذلك منهم، لكن النبي ﷺ أراد إنهاء الموضوع، حتى لا يتتابع الناس؛ لأنهم لو تتابعوا ربما يقوم من هو أقل منهم درجةً، فإذا قيل له: لست منهم، وإن كان يدخل الجنة، ربما أنه يُحْرَج أو يُساء به الظن أو يُعير، أو ربما يكون منافقٌ فيكشف، منافقٌ نفاقًا عمليًّا، فأراد النبي ﷺ الستر على الناس فيتتابعوا حتى لا يكشفوا، ولذلك قال كلمةً من المعاريض، قال: سبقك بها عكاشة، يعني هي فرصةٌ وانتهت. **نعم**.

ها الحين: أنتم الآن سمعتم كلامًا عن الأحاديث، أيش الشيء الذي يَحْسُن تَرْكُه مما تطرقنا إليه؟

ما فيه شيءٌ يحسن تركه؛ لأنها تنبيهاتٌ مهمةٌ يعني، لا بد منها، قد لا تكون مذكورةً في الشُّروح، وهذا يدل على أنه ما ينبغي العجلة في إنهاء الكتاب؛ لأن المقصود أَخْذ الزبدة

والفائدة، ولذلك الحين لأن كتاب الرقاق هو الأصل عندنا، و«كتاب الأربعين النووية» تكميل، نستمر في قراءة الرقاق. **نعم**.

٦٥٤٢ - حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ،

الشيخ: المسيَّب.

أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ**» وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ**» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**».

٦٥٤٣ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ** - شَكَّ فِي أَحَدِهِمَا - **مُتَمَاسِكِينَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، حَتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمُ الجَنَّةَ، وَوُجُوهُهُمْ عَلَى ضَوْءِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ**».

٦٥٤٤ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ صَالِحٍ،

الشيخ: حدثنا أبي صالح.

لو في تعليق للحافظ ابن حجر ولا في الحاشية، أبو صالح هو ذكوان تلميذ أبي هريرة.

ما في حاشية، كلكم عندكم كذا، نشوف عندكم في الفتح.

حَدَّثَنَا نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ: يَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ مَوْتَ، خُلُودٌ**».

٦٥٤٥ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ، وَلِأَهْلِ النَّارِ: يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ**».

الشرح:

وجاء في الأحاديث الصحيحة أنه «**يُؤتى بالموت في صورة كبشٍ، يُجعل بين الجنة والنار، ويقال لأهل الجنة: انظروا، ولأهل النار: انظروا، فيُذبح، فيقال لأهل الجنة: خلودٌ فلا موت، ويقال لأهل النار: خلودٌ فلا موت، فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار تَرحًا إلى ترحهم**»، يعني حزنًا وبُئسًا. **نعم**.

بَابُ صِفَةِ الجنَّةِ وَالنَّارِ

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الجَنَّةِ زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ».

﴿عَدْنٍ﴾ [التوبة:٧٢]: خُلْدٌ، عَدَنْتُ بِأَرْضٍ: أَقَمْتُ، وَمِنْهُ المَعْدِنُ.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ [القمر:٥٥]: فِي مَنْبِتِ صِدْقٍ .

٦٥٤٦ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ الهَيْثَمِ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، عَنْ عِمْرَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ».

٦٥٤٧ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أُسَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينَ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ».

٦٥٤٨ - حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ».

٦٥٤٩ - حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ

مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

الشرح:

يعنون: أفضل من دخولنا الجنة، فيقول: أحل عليكم رضائي، فلا أسخط عليكم أبدًا، وفي الحديث الآخر: يكشف لهم الحجاب عن وجهه، فما رأوا نعيمًا ألذ من النظر إلى وجهه الكريم. **نعم**.

يعني أن البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الأبواب التي سماها «**الرقاق**»؛ لأنها ترقق القلوب، تُلَيِّن القلوب، وتُقَوِّي الخوف من الله عَجَّلَ، وتُعظم الرجاء في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتحمل على مراقبة الله -جَلَّ وعلا-، واستحضار رقابته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على العباد، فلذلك ذكر في أول شيء في الدرس اليوم، ذكر:

المسألة الأولى: التي هي الحساب، والفرق بين من نُوقش في الحساب، ومن يُعرض على الله عرضًا كريما.

ثم ذَكَر الهُدى، أنَّ الله عَجَّلَ يَمُنُّ على من يشاء بهُداه، يُوفق من يشاء لقبول الحق والعلم به، والثبات عليه، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يَخْذِل أعداءه الذين أعرضوا عن شرعه، وعارضوا دعاته ورسله وأنبيائه -عليهم الصَّلاة والسَّلام-.

ثم ذَكَرَ كثرة أتباع النبي ﷺ من الناس، مُقارنَةً بأتباع من كان قبله من المرسلين والنبيين.

ثم ذَكَر من يدخل الجنة ومن يدخل النار، وكرامة أهل الجنة وما يُبَكَّت به أهل النار، كل هذا مما يرقق القلوب ويُلينها، ويحمل على الاستقامة، والحذر من موجبات دخول النار.

وذكر ما يتفضل الله ﷻ به على أهل الجنة من التكريم، من أنواع التكريم والثواب العظيم، وما يوجه لأهل النار من التَّبكيت والتقريع والإهانة، هذا من جملة ما اشتملت عليه هذه النصوص، والتي يراد منها ترقيق القلوب وإِلَانَتُهَا، وأن تُراجع نفسها، وأن تُنيب إلى ربها.

وفيه: بيان أشياء من موجبات دخول الجنة، من ذلك: القناعة باليسير من الدنيا، والاشتغال بالعمل الصالح، والتنبيه على أن أكثر من يدخل الجنة وهم الفقراء، لعدم انشغال قلوبهم بالدنيا، وسهولة حسابهم لقلة نصيبهم من الدنيا، فيكون هذا من أسباب سرعة الحساب وسرعة دخول الجنة، والذين يدخلون الجنة قبل أهل الغنى، وإن كان من أهل الغنى من يكون أرفع درجات منهم، لكن لسُهولة حسابهم، ولذلك السلف الصالح اختاروا القَنَاعة باليسير من الدنيا، وخافوا من كثرة الدنيا والتوسع فيها؛ خشية أن تعوقهم عن الجنة وتؤخرهم، ومناقشة الحساب؛ لأن الدنيا حلالها حسابٌ، وحرامها عذابٌ.

وذَكَرَ أكثر من يدخل النار، فأكثر من يدخل الجنة الفقراء، وأكثر من يدخل النار النساء، والنساء كثيراتٌ في الجنة وكثيراتٌ في النار، لا تفهمون خطأ، النساء: كثيراتٌ في الجنة، وكثيراتٌ في النار؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن لكل رجلٍ في الجنة زوجتين من نساء الدنيا، واضح غير الحور العين، فيَصِرْن أكثر عددًا من الرجال، فهن كثيراتٌ في الجنة وكثيراتٌ في النار، ومن أسباب كثرتهن في النار كفران العشرة، وكثرة الشَّكي أنهن يشكين الأزواج، وينسين المعروف والفضل، ومن أسبابه: التبرج، كاسيات عاريات مائلات مميلات، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها. **نعم**.

٦٥٥٠ - حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا، يَقُولُ: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلاَمٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ: «**وَيْحَكِ، أَوَهَبِلْتِ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ لَفِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ**».

الشرح:

ليش أنها سألت أمنه وهو شهيد؟

أمه سألت النبي ﷺ، وراجعته بجدٍّ؛ لأن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما قُتِل في المعركة، قُتِل خارج المعركة، جاءه سهمٌ غَرِبٌ -غريب يعني- طائشٌ من بعيدٍ، فأصابه فقتله، فلذلك هي صار عندها توقف يعني: هل ينال أجر الشهادة أو لا؟ ولذلك جاءت بجد سؤالٍ، وفيه تعريض قالت: إن كان في الجنة صبرت، وإن لم يدخل الجنة ترى ما أصنع، يعني أجزع عليه وأسوي وأسوي، وهذا قبل تحريم النياحة، فأخبرها النبي ﷺ أنه في الجنة، أن حارثة أصاب الفردوس الأعلى؛ لأنه على نيته، وعلى جهاده، قال: يا أم حارثة إنها جنان، يعني درجات في الجنة، وإن حارثة أصاب الفردوس الأعلى -نسأل الله الكريم من فضله-.

طيب: أنتم تريدون الجنة والشهادة في سبيل الله؟

كلنا نريد ذلك، يقول النبي ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصِدْقٍ، بلغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه**»، وهذه غنيمةٌ، إذا لم يتيسر لك الجهاد المشروع، فاسأل اللهَ الشهادة، يستجيب الله لك إذا صدقت، ويُعطيك مثل ما يُعطي الشهداء من الفضل، ودرجات الشهداء، كرم من الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولذلك عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو أمير المؤمنين، رأى أنه بحُكم مسؤوليته في الإمارة، وقد توسعت الدولة الإسلامية، وكَثُر المجاهدون، وتفرق الصحابة في البلاد المفتوحة، وأنه يلزم أن يبقى هو في العاصمة في المدينة، ما يخرج لأنه إذا خَرَج سيخرج الناس كلهن معه، وهو ما يريد للناس أن يخرجوا كلهم، لكثرة المجاهدين ووجود الغُنية، ومصلحة بقاء أكابر الصحابة للتعليم، والأسوة الحسنة للمسلمين الجُدُد، فرأى أنه يَعِزُّ الخروج في الجهاد في سبيل الله من مثله يعني، فسأل الله ﷻ الشهادة في سبيله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في بلد الرسول ﷺ، كان بعض الناس يقول: كيف يا أمير المؤمنين؟ كيف شهادة في بلد الرسول عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ؟ قال: يأتي بها الله، فطُعن وقُتل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو يصلي بالناس صلاة الفجر، فقُتل في مسجد النبي ﷺ، في محراب النبي ﷺ، فكَتَب الله له الشهادة؛ لأنه يسأل الله الشهادة في بلد الرسول ﷺ، وحقق الله له ذلك.

اللهم إنا نسألك الشهادة في سبيلك في بلد رسولك محمدٍ ﷺ، في أعلى مقامات الشهادة وأسمى غاياتها، وأحسن هيئاتها.

اللهم ثبتنا عندها، وارزقنا صِدْقَ الرغبة إليك، وحسن الإقبال عليك، وكمال الإخلاص لك، والذل بين يديك، ولا تجعلها اللهم بيد مُسلمٍ، فشهادة عمر بيد كافرٍ مشركٍ فارسيٍّ.

نعم.

فَقَالَ: «وَيْحَكِ، أَوَهَبِلْتِ، أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ لَفِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ».

جنة الفردوس؛ -نسأل الله الفردوس الأعلى - هي أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنها تفجر أنهار الجنة، وسقفه عرش الرحمن، يعني هو الأعلى، وهو الوسط، هذه خاصية الفردوس.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١٠٨].

اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى، نعم.

الطالب: ..الوسط...

الوسط جاء في الأبواب، أوسط أبواب الجنة، الوسط جاء أنه فوق الجنة يعني في أوسطها، ما هو بالأطراف. **نعم**.

٦٥٥١ - حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا الفَضْلُ بْنُ مُوسَى، أَخْبَرَنَا الفُضَيْلُ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ المُسْرِعِ**».

الشرح:

نعوذ بالله.

هذا تنبيهٌ على أن النار - أجارنا الله وإياكم منها - أنها واسعة الأرجاء، ولذلك سماها الله الهاوية، لبُعد ما بين أعلاها وأسفلها، وسمع النبي ﷺ صوت شيءٍ وقع على الأرض، فقال لأصحابه: تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجرٌ رُمِي به في نار جهنم منذ سبعين خريفا وهو يهوي، حتى وصل إلى قعرها الآن، فلذلك يُعَظَّم خَلْقُ الكافر، حتى يكون ضرسه كالجبل العظيم، يكون ما بين منكبيه: ما بين كتفيه مسافة طويلة، فيعظم خَلْقُهم من أجل شدة العذاب ودوام العذاب، كلما خبت زادها الله سعيرًا، وهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، كلما طَلبوا أن يُفَكَّ عنهم العذاب، قيل: إنكم ماكثون، ومع ذلك تضيق عليهم النار حتى تكون أشد لعذابهم.

نستجير بالله من النار، ونسأله الجنة مع الأخيار. **نعم**.

٦٥٥٢ - وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: أَخْبَرَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا**».

الشرح:

الله أكبر، الله أكبر.

هذا دليل على سعة الجنة.

وعلى كثرة من يدخل الجنة يبقى فيها مساحاتٌ واسعةٌ، فيعطيها الله ﷻ لأهل الجنة، يُورثهم الله إياها، ليش؟ لأن الله ﷻ جعل المنازل في الجنة بعدد الناس، وأكثر الناس يذهبون إلى النار، فتبقى منازلهم، فيعطي الله ﷻ المؤمن منزلته، ويعطيه المنازل التي حوله، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان:٢٠]، فيورثهم الله المنازل التي حولهم، أما أهل النار؛ لأ، ما يُورثهم الله المنازل التي حولهم؛ لأن منازل أهل الجنة في النار كانت بعدد الناس أيضًا مثل الجنة، وأهل الجنة لهم الجنة، فبقيت منازلهم، فلذلك لا يعطيهم الله عذاب زيادة عما يستحقون، بل تُضيق النار عليهم، يطأ رب العزة - جل جلاله - النار؛ ويضع قدمه عليها فتنزوي، كانت الأول تقول: هل من مزيد، هل من مزيد؟، فينزوي بعضها على بعض، وتصير على قدر أهلها.

فَرْقٌ بين هذه وهذه، نسأل الله الجنة، ونستجير به من النار. **نعم**.

ها الحين الإنسان إذا صار له قطعة أرضٍ في الدنيا يُقاتل عليها، ويُقْتَل بسببها يمكن، من الدفاع عنها وشدته، ويتركون منازلهم في الجنة، ويذهبون إلى النار، هذا عجيب، نسأل الله العافية.

المفروض الإنسان يحرص على أن يكون له المنزل في الجنة، تدرون من يحافظ على ثنتي عشرة ركعةً مع الفرائض يبني الله له بيتًا في الجنة، ومن بَنَى لله بعض مسجد مساهمةً ولو مثل اليد بنى الله له بيتًا في الجنة، كم من عملٍ جعل الله جزاءه بيتًا في الجنة، كَثِّر بيوتك في الجنة، أحسن لك من الدنيا وما فيها، ولا ترضى أنك تروح للنار مهانا والعياذ بالله مخزى، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ﴾ [آل عمران:١٩٢].

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

الدرس الحادي عشر

الشيخ لم يطلع عليه بعد.

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولشيخنا وللحاضرين والمستمعين وعموم المسلمين.

قال الإمام البخاري -رحمه الله تعالى وإيانا- في صحيحه من: **كتاب الرقاق**:

بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ

٦٥٥٢ - وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: أَخْبَرَنَا المُغِيرَةُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا**».

٦٥٥٣ - قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَحَدَّثْتُ بِهِ النُّعْمَانَ بْنَ أَبِي عَيَّاشٍ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا**».

٦٥٥٤ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ** - لاَ يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيُّهُمَا قَالَ - **مُتَمَاسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لاَ يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ**».

٦٥٥٥ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَهْلٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الغُرَفَ فِي الجَنَّةِ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ**».

٦٥٥٦ – قَالَ أَبِي، فَحَدَّثْتُ بِهِ النُّعْمَانَ بْنَ أَبِي عَيَّاشٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ، يُحَدِّثُ وَيَزِيدُ فِيهِ: «**كَمَا تَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الغَارِبَ فِي الأُفُقِ: الشَّرْقِيِّ وَالغَرْبِيِّ**».

٦٥٥٧ – حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي**».

٦٥٥٨ – حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمُ الثَّعَارِيرُ**»، قُلْتُ: مَا الثَّعَارِيرُ؟ قَالَ: «**الضَّغَابِيسُ، وَكَانَ قَدْ سَقَطَ فَمُهُ**» فَقُلْتُ لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: أَبَا مُحَمَّدٍ سَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ بِالشَّفَاعَةِ مِنَ النَّارِ**» قَالَ: نَعَمْ.

٦٥٥٩ – حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ: الجَهَنَّمِيِّينَ**».

٦٥٦٠ – حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ** – أَوْ قَالَ: **حَمِيَّةِ السَّيْلِ** –» وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُتُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً**».

٦٥٦١ - حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ، تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ، يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ**».

٦٥٦٢ - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ رَجُلٌ، عَلَى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ وَالقُمْقُمُ**».

٦٥٦٣ - حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**».

٦٥٦٤ - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، وَالدَّرَاوَرْدِيُّ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَبَّابٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ**».

٦٥٦٥ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، ...**».

الشرح:

بركة.

الحمد لله.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم علمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا.

والحمد لله رب العالمين، ونعوذ بالله من حال أهل الظلال، ومن مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

أما بعد:

فإن مجالس العلم هي رياض الجنة، ومواطن ذِكْر الله -جَلَّ وعلا-، وهي التي تتنزل عليها الرحمة وتغشاها السكينة، وتحفها الملائكة -عليهم السلام-، ويَذْكُر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أهلها فيمن عنده، ويستجيب دعائهم، ويعطيهم ما سألوا، ويجيرهم مما استجاروا.

ومن نفيس العمل الصالح في مجالس العلم، ومن بركات مجالس العلم، ومن ثمرات مجالس العلم: أن الحاضر يسمع كلام الله -جَلَّ وعلا-، وحديث رسوله ﷺ، وكلام أهل العلم من السلف الصالح ومن تبعهم إلى زمانه، فيَرِقَّ قلبه، وتخشع نفسه، وينشرح صدره، وتَقَرَّ عينه، فيؤجر، ويُفقه في دينه.

لذلك ينبغي للمرء:

أولًا: أن يخلص النية في حضور طلب العلم ومجالس العلم.

وثانيًا: أنه يستمع بعناية ويلقي سمعه، يستمع بعناية حتى يفهم النصوص على وجهها، ويفهم المراد بها، ويفهم ما فيها من الأحكام، ومن العمل، ومن الوعد والوعيد، حتى ينشط إذا سمع نصوص الوعد، ويرغب إلى الله -جَلَّ وعلا-، ويحسن الظن به، ويُعَظِّم الرجاء له، ويَرْهب من نصوص الوعيد إذا سمعها، ويخاف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويُعظمه ويُجله، ويستجير بالله عَزَّ وَجَلَّ منه.

ومن ذلك: أنه يصلي على النبي ﷺ.

ومن ذلك: أنه يدعو لمُعَلِّمه الخير، من الصحابي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي نَقَلَ الحديث عن النبي ﷺ، ثم التابعي ومن دونه، يَتَرَضَّى عن الصحابة -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين -، ويترحم على التابعين -رحمهم الله وإيانا أجمعين-، وإذا مَرَّ ذِكْرُ الجنة، يسأل الله الجنة، وإذا مَرَّ ذِكْر النار، يستجير بالله من النار.

فهذه من آداب مجالس العلم، ومن أسباب إجابة الدعاء، ومن أسباب تحصيل البركة.

وهذه الأحاديث التي سمعتم أوردها البخاري رَحِمَهُٱللَّهُ في كتابه «**الصحيح**»، الذي ضَمَّنَه كُتُبًا، منها «**كتاب الرقاق**»، يعني كتاب الأخبار التي ترقق القلوب، فيها أخبارٌ عن فضل الله ورحمته، فتنشرح لها الصدور، وتَرِق لها القلوب وتخشع، ويعظم الرجاء لله -جَلَّ وعلا-، والطمع في فضله ورحمته، ومنها أحاديث فيها الوعيد، فتخاف القلوب، وتعظم الله ﷻ وتهابه وتجله، وتبتعد عن أسباب وعيده.

وذكر -فيما سمعتم- صفة الجنة أولًا، ثم صفة النار، ثم أردف بذِكْر شيءٍ مما يكون في يوم القيامة، يوم البعث والنشور والحساب والجزاء.

فذكر من صفة الجنة:

السعة العظيمة:

فإن الخَلْق الذي ترونه والذي لا ترونه، كلما ارتفع اتَّسَع وعَظُم وشَرُف، فما بين السماء والأرض أعظم من الأرض بآلاف المرات، وسعة السماء الدنيا أعظم مما بين السماء والأرض، وسعة السماء الثانية التي فوقها أعظم من السماء الدنيا، وهكذا كل سماءٍ أعظم من التي تحتها، ثم فوق ذلك -فوق السماوات- الكرسي الذي أخبر الله ﷻ عنه أنه وسع السماوات والأرض، كل السماوات والأرض في جوف الكرسي هكذا، كأنه قبةٌ وهي في جوف القبة، ثم فوق الكرسي بحر الماء، أعظم من السماوات السبع ومن الكرسي،

فالكرسي يشبه موضع القدمين، أو هو مخلوقٌ تحت العرش وأمامه، ثم فوق ذلك العرش العظيم الكريم، معناه الذي بلغ الغاية في العِظم والسعة، واستوى الله -جَلَّ وعلا- على العرش، على ما يليق بجلاله وعظمته، وبين ذلك الجنة، فإن العرش سقف الجنة، والجنة منازل درجات، ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض هذا في الارتفاع، وفي العلو كما قال تعالى: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران:١٣٣] ، أو في السعة، فدل ذلك على سعة الجنة - نسأل الله الجنة -، ولذلك جاء في الحديث أن الراكب على الجواد على الفرس المضمر المُهَيَّأ للسباق، يسير تحت الشجرة الواحدة من الجنة مائة عام ما يقطعها وهو يجري، ما يدل على سعة الجنة.

وهي منازل:

كل منزلةٍ فوقها منزلةٌ، وبين المنازل مساحات لا يعلمها إلا الله، حتى إن بعض أهل الجنة في المنازل الدنيا من الجنة، يرون من فوقهم كما ترون الكوكب في السماء في الشرق أو الغرب، لبُعده ولسعة المنازل، ولذلك قال الله -جل وعلا-: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ يعني في الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠].

ويقال لأدنى أهل الجنة آخر من يدخل الجنة وآخر من يُخْرَج من النار، يقال للواحد هذا -والمراد الصنف يعني-: اذهب فادخل الجنة، فيدخل ويطوف فيها، فيُخَيَّل إليه أنها ملأى، فيرجع إلى الله ﷻ فيقول: يا رب، كيف أنا ما أجد مكانًا؟ كيف وقد أخذ الناس أخذاتهم؟ يعني: نزلوا منازلهم، ما بقي شيء، فيُرَدِّده الله ثلاث مراتٍ، كل مرةٍ يرجع، فيقول: يا ربي، لم أجد مكانا، يخيل إليه أنها ملأى، وهي ما امتلأت، بعد الثالثة يقول الله ﷻ له: أيرضيك أن يكون لك مثل مُلْكِ أعظم ملكٍ من ملوك الدنيا؟ يعني مثل ملك سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أو ملك ذي القرنين الذي ملك المشارق والمغارب، فيقول غير مُصدِّقٍ هو، ما يدخل في خياله: يا

رب، أتستهزأ بي وأنت الحق! فيقول: لا أستهزأ بك، فيقول: رضيت، فيقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له: لك مثله، ومثله، ومثله، ثلاث مرات، وعشرة أمثاله يعني ثلاثون مرةً، فإذا كان هذا منزل آخر من يدخل الجنة، فكيف بأول من يدخل الجنة! - نسأل الله الكريم من فضله -.

ولذا يقول ﷺ: «إذا سألتم الله الجنة، فاسألوه الفردوس» نسأل الله الفردوس، «**فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وسقفه عرش الرحمن**»، فإذا كان عرش الرحمن أعظم مخلوقٍ خلقه الله ﷻ والجنة تحته، دلك على عظم الجنة، وسعة الجنة.

وجاء في الحديث الصحيح: أن رجلان يجثيان بين يدي الله يختصمان، ظالمٌ ومظلومٌ، فالمظلوم يقول: يا ربي خذ حقي ممن ظلمني -من المسلمين-، فيقال له: خذ من حسناته قدر مظلمتك، فيأخذ من حسناته، ويأخذ من حسناته، ويأخذ من حسناته، حتى تفنى حسناته، والظلم كثيرٌ، فيسكت المظلوم، ثم يقول: يا بي خذ حقي، باقي لي حقٌّ، فيقال: كيف وقد فنيت حسناتك؟ ما يمكن!، فيقول: يا ربي، خذ من سيئاتي، فاطرح عليه، حَمِّله من سيئاتي، فبكي النبي ﷺ عند ذِكْر هذا، يعني الإنسان فنيت حسناته، ويضاف له سيئات بسبب ظلمٍ، فيقال للمظلوم بعد ذلك: ارفع رأسك وانظر إلى السماء، فيرفع رأسه، فيرى منازل عاليةً: قصورًا وجنانًا، فيعجب، ويقول: يا ربي، ألنبيٍّ هذه؟ فيقال: لا، فيقول: ألصديقٍ هذه؟ فيقال: لا، فيقول: ألشهيد هذه؟ فيقال: لا؛ لأن هؤلاء منازلهم وعطاؤهم أعظم من هذا، وهذا أدنى، فيقول: لمن يا ربي؟ فيقال: لمن عفا وأصلح، فيقول: يا ربي، قد عفوت، فيقال: خذ بيد صاحبك، فادخلا الجنة، يعني اصعدا لهذه المنازل والقصور.

فدلت هذه النصوص وما جاء في معناها على سعة الجنة، وعلى تباين درجاتها في السعة، كلما ارتفع منها عَظُم المُلك، وازداد النعيم، ولذا من كان في الدرجة العالية، وله رغبةٌ فيمن

له به صلةٌ من والدٍ، أو ولدٍ، أو زوجٍ، أو أخٍ، يشفع فيه، فيُرفع إليه، يرفع الأدنى إلى الأعلى، ما يُنَزِّل الأعلى إلى الأدنى، يُشَفَّع فيه، وفي هذا من التشويق في الجنة ما فيه.

فكل أحدٍ من المكلفين جُعل له منزلٌ في الجنة، فمنهم من أَخَذَ بأسباب تحصيل منزله من الإيمان والتقوى، ومنهم من ضيع منزله بسبب الكفر والشرك، فإذا نزل أهل الجنة –جعلنا الله وإياكم منهم– منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، تبقى فيها منازل كثيرةٌ كثيرةٌ جدًّا لا يُحصيها إلا الله، بعدد من في النار، فيجود الله ﷻ بهذه المنازل على أهل الجنة، فيُعطون أضعاف منازلهم أضعافًا مضاعفةً، فلا يحيط بذلك إلا الله –جَلَّ وعلا–، ولهذا المُسلم له خيمةٌ في الجنة خاصَّةً هذه، طولها في السماء ستين ميلًا، والميل الله أعلم يعني مثل ميل الدنيا ولا لأ، له فيها أهلون: زوجتان من الإنس، لا ترى أحدهما الأُخرى، هذا غير الحور العين، وغير الخدم الولدان.

فأمر الجنة عظيمٌ وسعة الجنة عظيمةٌ، فأهل الجنة لا يبلى شبابهم لا يهرمون، ولا يسقمون بل يصحّون، ولا يحزنون بل يفرحون، ونعيمهم متجددٌ، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥]، وكذلك قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣١ – ٣٢]، فهم في نعيمٍ مُتجددٍ، وعطاءٍ متواصلٍ، ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢٠ – ٢١].

فهذا شيءٌ من وَصْف الجنة؛ جعلنا الله وإياكم من أهلها ووالِدينا ومشايخنا وأزواجنا وذرياتنا وإخواننا، فهذا شأن الجنة عظيمٌ جدًّا.

ثم ذَكَرَ البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيئًا من صفة النار:

وأن النار -أجارنا الله وإياكم منها- أسفل سافلين: سجيل، وأنها كما ذَكَرَ الله ﷻ في القرآن العظيم: شديدة الحر، بعيدة القعر، شديدة الالتهاب والاستعار.

ولذلك سماها الله ﷻ الهاوية، لطُول ما يَهوي فيها صاحبُها، حتى إن الحجر يهوي فيها سبعين خريفًا حتى يصل إلى قعرها، سبعين عامًا والحجر يهوي من أعلى إلى أسفل.

وسُميت سقر لبُعْد ما بين جنباتها.

وسُميت السعير لشدة استعارها واحتراقها.

وسُميت الحطمة لأنه يَحْطُم بعضها بعضًا، ويركب بعضها بعضًا، ويسقط بعضها على بعض.

وسُميت الجحيم لشدة التهابها.

ومع ذلك تُضيق على أهلها؛ لأن فيها منازل لمن كان في الجنة، لكن أهل الجنة أخذوا بأسباب الجنة فنجوا منها -جعلنا الله وإياكم من الناجين-، ومن كرمه -سبحانه- وجوده أنه لا يُعطي أهل النار منازل أهل النار الذين راحوا الجنة، بل يضع رب العزة والجلال عليها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتضيق، وتقول: قطٍ قطٍ، حسبي حسبي يكفي، لا يُضاف إليَّ أحدٌ.

فدل ذلك على خطورة النار، وشدة عذابها، وتنوع عذابها وأنكالها، وأنها بئس المصير، وأنها الحطمة التي تهشم العظم من وراء اللحم، وأنها تُحْرِق أهلها حتى يكونون كأكوام الورق المحترق، مع أنهم يُعَظَّمون فيها، يكون ضرس الكافر مثل الجبل العظيم الضرس الواحد، يكون ما بين كتفيه مسافةٌ طويلةٌ جدًّا، يُعَظَّم جِسْمُه وخَلْقُه، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾

[الحج:١٩]، الحميم الشيء شديد الحرارة، مثل الزيت المحترق، ويأكلون الزقوم: وهو أَمَرُّ شجرٍ وأنتن شجر، ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [الحج:٢١]، نعوذ بالله من النار.

ووَصَف الله ﷻ أوصافًا في القرآن العظيم مخيفةً جدًّا، ومع ذلك ما لهم أملٌ في دخول الجنة؛ فإنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط، مستحيلٌ يعني، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:١٦٧] ، ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر:٤٨]، قال تعالى: ﴿ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢]، المشرك والكافر، فهم في عذابٍ شديدٍ ومتنوعٍ ومتجددٍ، ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر:٣٧] فيقال لهم: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٧]، ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر:٣٦]، ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الزخرف:٧٦]، فهذا شيءٌ من وصف النار -أجارنا الله وإياكم منها-، مخيفٌ.

ومن هذا: ما ذَكَرَهُ الله ﷻ عن أدنى أهل النار عذابًا: **أبو طالبٍ** عَمُّ النبي ﷺ مشركٌ، مات على الشرك والكفر، ولإحسانه للنبي ﷺ يَشْفع له النبي ﷺ فيُخْرَج من قعر النار إلى أعلاها، ويكون في مثل الضحضاح، يعني الماء الخفيف الذي لا يُجاوز الكعبين، ضحضاح من النار، يغلي منه دماغه، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا وإنه لأهونه.

وفي الحديث الآخر: «**يُلْبَس شراكين**» يعني نعلين «**من نار**».

وفي الحديث الثالث: «**يُجعل في أخمص قدمه**»، يعني باطن القدم المرتفع عن الأرض أسفل الرجل، يُجعل فيه «**جمرةٌ من النار**»، في كل قدمٍ جمرةٌ واحدةٌ من النار «**يغلي منه دماغه**»، نعوذ بالله من النار.

وقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه وقال لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر:٤٢] ما أدخلكم النار؟ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٤٣]، كم من الناس من لا يُصلي الآن! وهو مسلمٌ ويزعم أنه مسلمٌ، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، وهذا دليلٌ على كفر تارك الصلاة كفرًا أكبر مخرجًا من الملة؛ لأنهم صرحوا أنهم لم يُصلوا، فمن ترك الصلاة فقد كَفَرَ، هكذا قال النبي ﷺ، ومع ذلك ما يخرج من النار، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ لكُفره، فالأمر خطيرٌ جدًّا يعني، الأمر خطيرٌ.

وذكر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في وصف النار:**

ذِكْرِ مَنْ تَشْمَلُهم الشفاعة، شفاعة الشافعين، يعني من العُصاة، عُصاة أهل الإيمان، يعني مِمَّن مات ولم يعمل خيرًا قط، إنما اعتقد فقط الإيمان، لكن ما عَمِل، فأُدخل النار بمعاصيه، ومظالم من الخلق، ما عنده من الإيمان إلا مثقال ذرةٍ، أدنى مثقال ذرةٍ، مثقال حبةٍ أدنى، مثقال شعيرةٍ أدنى، فهؤلاء يُخرجون من النار بعد مدةٍ يُقيمونها في النار، خلودٌ، لكنه خلودٌ مؤقتٌ، فأهل النار الذين هم أهلها الكفار خلودهم دائمٌ أبديٌّ، أما هؤلاء فهم لا؛ هؤلاء آمنوا، لكنهم ما لهم أعمال، ما عملوا أعمالًا؛ لأن العمل يُجير اللهُ به صاحبَه من النار، بفضل رحمته، لكن هؤلاء ما لهم عملٌ.

ولذلك قال في الحديث: «**لم يعملوا خيرًا قط**».

والعمل: قول اللسان، وعقد القلب: التوكل المحبة الخوف التعظيم الرهبة الرغبة، هذه أعمالٌ قلبيةٌ، وأفعال الجوارح، فهؤلاء ما فعلوا؛ هذه الثلاث ما فعلوا بها شيئًا، إنما تلفظوا

بكلمة التوحيد ولم يعملوا شيئًا، فهؤلاء يدخلون النار، ليش؟ لأنه ما عندهم عملٌ، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى يقول: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]، وهؤلاء ما عملوا عملًا يدخلهم الجنة، وأهل النار كذلك يقال لهم: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف:٣٩]، دخلوا النار بما كسبوا، لكن هؤلاء ما عندهم عمل، صار عندهم فقط الاعتقاد، أو العلم والاعتقاد، أو النية، وهذا أقل عمل القلب، لكنهم ما عملوا، والله أعلم أنهم أُمْهِلُوا فلم يعملوا، ثم يلبثون في النار ما شاء الله، ثم يُؤذن في الشفاعة فيهم؛ لأنهم ما هم مثل أهل المعاصي المؤمنين: لهم أعمالٌ ولهم معاصي، هؤلاء ما لهم عملٌ، فبقيت عليهم معاصي، فهؤلاء يُخرجون بعد زمنٍ من النار وقد احترقوا، مثل ما تتصور مستودع ورقٍ يحترق بالنار، حتى تقضي عليه، فيخرجون ضبائر كأكوام الورق، يعني ما بقي لهم لحمٌ، وما بقي لهم عظمٌ، وإنما كوم شيء مُحترق، فيُطرحون على نهر الحياة في الجنة، فينبتون كما تنبت الحِبَّة في حميل السيل، الحِبَّة: البذر البري، الذي يَنْبُت، البذر الصغير، في حميل السيل: في الغثاء الذي مع الماء، الذي يكون أبيض منتفش، يكون معه ورقٌ ويكون معه أشياء، فهذه البذرة مع الرطوبة تَنْبُت وهي ما على الأرض، في نفس الغثاء نفسه، فتنبت يكون لها عرقٌ يحتاج إلى مدةٍ حتى يصل إلى الأرض، إذا وصل الأرض اخضرت، لكن هي الآن في الغثاء، وبعدين ولم تُصبها شمس حتى تخضر، في الظل، فينبتون نباتًا ضعيفًا يَطُول، فإذا كَمُل خَلْقُهم أُذِنَ لهم بدخول الجنة ويُسمون الجهنميون؛ لأنهم آخر دفعةٍ نجت من النار، ويُجعل لهم سِيما في وجوههم: علامة، فبَعْد مدةٍ يتضرعون إلى الله ﷻ أن يُذهب عنهم هذه السِّيما وهذا الاسم، يعني هذه العلامة وهذا الاسم، فيُزال عنهم ويصيرون مثل عامة أهل الجنة.

فدل هذا الحديث على: خطورة النار، وأنها تهشم أهلها، وإذا كان هذا فيمن عنده مثاقيل الذر من الإيمان، فكيف بمن ليس عنده شيءٌ أصلًا! فيُخرجون: صنفٌ منهم بشفاعة

الشافعين، وصنفٌ منهم أدنى من هؤلاء برحمة أرحم الراحمين، وهذا يُخَوِّف يُخَوِّف جدًّا يعني.

ودائما الله ﷻ يذكر في القرآن العظيم النار قبل الجنة، اقرأ أول ذِكْرٍ للنار في القرآن العظيم، في سورة البقرة قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٣] إن كنتم في شكٍّ من القرآن هاتوا مثله ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ مؤكدة ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤] ، أعوذ بالله، ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾، وأنت من الناس ولا ما أنت من الناس؟! يحتمل أنك منهم؛ انتبه لنفسك؛ لأنك أنت من جنس وقود النار، وقودها الناس والحجارة، وفي سورة التحريم يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦]، الناس قبل الحجارة، وقودها الناس عشان تَتَشَفَّى منهم هي، غَضَبًا لله -جَلَّ وعلا-، ووقودها الحجارة عشان يزداد حرها وعذابها؛ لأن الحجارة المُحْمَاة تزيد الحرارة، فذكر الله النار أولًا ثم قال بعدها: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [البقرة:٢٥]، أجارنا الله وإياكم من النار وأدخلنا الجنة مع الأخيار.

وفي سورة الليل يقول تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴾ [الليل:١٤]، قُدَّامكم يعني على الطريق، قبل الجنة، ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ [الليل: ١٥ - ١٧]، ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [آل عمران:١٨٥]، فالجنة بعد النار، والنار قبل الجنة، فكيف ترجو الجنة وأنت ما أَخَذْتَ حِذرك من النار؟

هذا تمني ما هو برجاء، الرجاء: حُسن الظن بالله ﷻ مع مباشرة أسباب الفوز برضاه، وحسن الظن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع ترك أسباب رضاه هذا تمني، والتمني رأس مال المفاليس والمفلسين، هذا خطير جدًّا؛ أن النار قبل الجنة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

أنت رايح للنار من الآن اعرف، أي أحد عاقل يعرف أنه متجه للنار قصدًا، ولا يمكن يميل لا يمين ولا يسار، فإن اتخذ من طاعة الله وقايةً، وقاه الله النار، وزحزح عن النار وأُدخل الجنة، وإن لم يتخذ كان عرضةً للنار، افهم الحقيقة هذه: فلا فيه وقوفٌ، ولا فيه انصراف عن يمين، ولا انصراف عن يسار، ما في؛ الطريق عن النار، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢]، ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]، جعلنا الله وإياكم من الفائزين.

فهذا خطيرٌ جدًّا يعني، خطير، ووعيدٌ خطيرٌ، ولذلك كانت ضراعة المؤمنين عباد الرحمن وأولي الألباب: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥]، ﴿سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٢].

فلا بد من التنبه لهذا، أن تعتقد جازمًا لا شك فيه أن النار قبل الجنة، وأن الطريق على النار؛ لأنه يُنصب الجسر يوم القيامة من فوق النار، ويَجُوزه الناس بحسب أعمالهم، كلما كان العمل أفضل وأصلح كان أسرع في الجَواز، كلما ساء العمل كان أبطئ، وكان عرضةً لأن

يُصاب بالنار، ولذا جاء في الحديث: إن من الناس ناجٍ مخدوشٍ أصابته النار، وناجٍ مسلمٍ، ومُكردس في نار جهنم، ثلاثة:

فناجٍ مُسلمٌ: ما أصابته النار، وهؤلاء هم المقربون، والأبرار.

وناجٍ مخدوشٌ مُصابٌ: وهؤلاء من الظالمين لأنفسهم، المُخَلِّطِين.

ومنهم مُكردسٌ في النار: من أهل الشرك والنفاق والكفر والكبائر، التي لم يَتُوبوا منها ولم يعف الله عنهم، يُصْلون النار، على قدر ذنوبهم، يُطَهَّرون بالنار من أرجاسهم، من أرجاس ذنوبهم نعوذ بالله من ذلك، هذا خطيرٌ يعني.

فهذه الأخبار الصحيحة تُرقق القلوب، تُخوف من النار، وتُرجي إلى الجنة، وتجعل الإنسان يجتهد، فمن رجا الجنة عَمِل لها، ومن خاف النار عَمِل للوقاية منها، هذا مهمٌ جدًّا.

وبعدين يقول النبي ﷺ: «**الجنة أقرب لأحدكم من شراك نعله**»، يعني سير نعله، «**والنار مثل ذلك**»، ما بينك وبينها شيء، لا تقول أنها بعيدة، فقط تَخْرُج هذه الروح بأي سببٍ من الأسباب المنتشرة اليوم: السكتة، الموت فجأة، وتروح للنار، أو تروح للجنة، لا تستبعد، لا تقول: أنا شاب في أول شبابي، أنا كهلٌ، من الناس من يموتون وهم أطفال، يموتون وهم في أرحام أمهاتهم بعد، ولذلك إذا مررت بالمساجد تجد في المسجد من كبار السن اثنين ثلاثة خمسة عشرة، وين بقية الناس؟ وينهم أقران هؤلاء وينهم؟ راحوا، ماتوا، قضوا، ما عُمِّر إلا هؤلاء الشيوخ الشِّيبان، عدد أصابع اليدين، لا تستبعد النار.

يقول النبي ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة، من سخط الله، ما يلقي لها بالًا، يزل بها في النار أبعد من بين المشرق والمغرب**»، وفي الحديث الآخر: «**يكتب الله إليه بها سخطه إلى يوم يلقاه**»، طول عمره في سخط الله، نعوذ بالله.

فهذه أمور خطيرةٌ جدًّا، لا بد للإنسان أن يتذكر.

كان بعض السلف يضع أصبعه على السراج، أو على الضوء، يقول: هه، ذُق، هل بك جَلَدٌ على النار؟، يُذَكِّر نفسه هو، لا تنس أن النار أمامك والاتجاه إليها إجباري، والضمان بالسلامة منها ما ضمن إلا المتقين، فهل أنت من المتقين؟ حققت أوصاف المتقين - جعلنا الله وإياكم من المتقين -. **نعم**.

٦٥٦٥ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا. فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، وَيَقُولُ: ائْتُوا نُوحًا، أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا عِيسَى فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ: سَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَقَعُ سَاجِدًا مِثْلَهُ فِي الثَّالِثَةِ، أَوِ الرَّابِعَةِ، حَتَّى مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ».

الشيخ: يعني الكفار المشركون.

وَكَانَ قَتَادَةُ، يَقُولُ عِنْدَ هَذَا: أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ.

٦٥٦٦ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنِ الحَسَنِ بْنِ ذَكْوَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ».

٦٥٦٧ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ، أَصَابَهُ غَرْبُ سَهْمٍ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْتَ

مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ لَهَا: «هَبِلْتِ، أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى».

٦٥٦٨ - وَقَالَ: «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ، أَوْ مَوْضِعُ قَدَمٍ مِنَ الجَنَّةِ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،

الشيخ: يعني: قدر القوس، أو موضع القدم خير من الدنيا وما فيها في الجنة، نسأل الله الكريم.

وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا، وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا،

الشيخ: يعني: طيبًا.

وَلَنَصِيفُهَا - يَعْنِي الخِمَارَ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

الشيخ: غطاء الرأس يعني، خير من الدنيا وما فيها.

٦٥٦٩ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ يَدْخُلُ أَحَدٌ الجَنَّةَ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَوْ أَسَاءَ، لِيَزْدَادَ شُكْرًا، وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ، لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً**».

الشرح:

وهذا يكون قبل فراق الدنيا، يُرى مقعده من النار، ثم مقعده من الجنة؛ المُؤمن يعني، يقول: هذا مقعدك من النار أبدلك به الله مقعدًا من الجنة، بشارةً له، ولذلك يَسْهُل عليه الموت، ويسهل خروج روحه، والكافر يُبَكَّت ويُقَرَّع فيُرى مقعده من الجنة أنه فاته بسبب كفره ومعاصيه، ويُرى مقعده من النار وأنه تَحَقَّق له، ينتظره، ويكون هذا وهو في سياق الموت، المؤمن يُبَشَّر، والكافر يُبَكَّت ويُقَرَّع، الفاجر. **نعم**.

٦٥٧٠ - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لاَ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ».

٦٥٧١ - حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا - أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا - فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي - أَوْ: تَضْحَكُ مِنِّي - وَأَنْتَ المَلِكُ» فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: «ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً».

٦٥٧٢ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ المَلِكِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، عَنِ العَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؟»

الشرح:

فهذه الأحاديث وما سبق مما فيه إشارة إلى الشفاعة في بيان الشفاعة.

والشفاعة في اللغة: مأخوذةٌ من الشفع؛ لأن الشافع ينضم للمشفوع له فيُقوِّيه، في تَحْصِيل طلبته، وانقضاء حاجته، فالشفع ضد الوتر، الوتر: فردٌ، والشفع: اثنين، فالاثنين شفع،

والأربع شفع، والثمانية شفع، والعشرة شفع، وهكذا، والواحد، والثلاثة، والخمسة، والسبعة وترٌ، وهكذا في الأعداد، وفي الأعمال وأفعال الناس.

الشفاعة من الانضمام؛ لأن الشافع ينضم للمشفوع له، فيُقويه على تحصيل طلبته، من تحصيل مرغوبه، أو دفع مرهوبه، وهي التي يسمونها الناس "الواسطة"، إذا كانت على وفق الشرع، إذا كانت فيها إعطاء الإنسان ما يستحق، أو ما ليس لغيره:

أما إعطاءه ما لا يستحق، أو إعطاءه ما هو لغيره، فهذا ظلمٌ وجورٌ، ما هو إحسان.

وذكر الشفاعة في التنزيل، ذُكِرَت مثبتةً ومنفيةً في القرآن العظيم:

مثبتةٌ بشرط إِذن الله ﷻ للشافع أن يَشْفع، ورضاه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عن المشفوع له.

هذه الشفاعة النافعة.

وما ليس بإذنٍ فهو لا يكون ولا ينفع أصلًا، بلا لا يكون، ولا يُؤذن بالشفاعة لمُشْرِكٍ، إلا من استثنى اللهُ مثل أبي طالبٍ، خاصة يشفع له النبي ﷺ.

الشفاعة في الدنيا شفاعتان:

شفاعة حسنة: وهي في إعانة الشخص في تحصيل حقه أو دفع الظلم عنه، أو إعطائه ما يَصْلُح لمثله، وليس حقًّا لغيره، هذه شفاعةٌ حسنةٌ.

والشفاعة السيئة: إعطاء الشخص ما لا يستحق، أو إسقاط ما وَجَبَ عليه من حقٍّ لله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فهذا ظلمٌ، ومن ذلك: الشفاعة في حدٍّ من حدود الله، أو الشفاعة لإعطاء الإنسان ما هو لغيره، هذه شفاعةٌ سيئةٌ، ولذا قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ [النساء:٨٥] ، وقال النبي ﷺ: «**اشفعوا، تؤجروا**»، يعني: أعينوا صاحب الحق على تحصيل حقه، أو على دفع الظلم عنه، أو إعطاءه ما يصلح له، أما الشفاعة السيئة فهي أن يشفع لإعطاء الإنسان ما لا يستحقه، أو إسقاط حق وجب عليه من حقوق الله أو حقوق

خلقه، أو إعفاءه من حدٍّ من حدود الله، قال تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء:٨٥]، والشافع لإعطاء [الشخص] ما لا يستحق، أو إعفاءه ما وَجَبَ عليه لله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أو خلقه، هذا ملعونٌ ظالمٌ مُعينٌ للظالم على ظُلمه.

والمراد هنا في الأحاديث: الشفاعة يوم القيامة، طيب ليش تُذكر هنا؟

من أجل:

أول شيء: بيان أهوال القيامة، وأن القيامة فيها أهوالٌ شديدةٌ جدًّا، تُرَوِّع، تُخيف، تحتاج إلى دفعٍ.

وفيها: إظهار كرامة الله ﷻ للشافعين، الذين يأذن الله لهم ليشفعوا، والذين يطلبون الناسُ الشفاعة منهم، لأهليتهم لذلك، لولايتهم لله ﷻ.

وأن الشفاعة من أسباب دفع الكروب والأهوال، والإخراج منها، ولذلك تتعدد الشفاعة: تتكرر يعني، ويَتنوع الشفعاء، وتَتعدد مواقف الشفاعة، وكلها لدفع الهول، والإنجاء منه، وإيصال الإنسان للشيء الذي يطمئن هو له، ويرتاح فيه.

فأول شيء هول الموقف، موقف الحشر، تُدنى الشمس من الناس على ميل، فيُصيبهم من الهول والضيق والغم ما لا يُطيقون ولا يحتملون، حتى أن العرق يأخذ بهم على قَدْر أعمالهم، فمنهم من يكون عرقه إلى كعبيه يعني قريب من الأرض، ومنهم من يكون إلى أنصاف ساقيه، ومنهم إلى ركبتيه، ومنهم إلى حقوه حقوة: أسفل الظهر، ومنهم إلى ثندوتيه: صدره يعني، ومنهم من يكون إلى شفتيه، يُلجمه العرق إلجامًا، فمع حرِّ الشمس والعرق والضيق والأهوال التي تعرض للناس، يصيبهم من الهول والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيُهدون إلى طَلَبِ الشفاعة، فيطلبوها المؤمنون، وقيل: إن الذين يطلبونها هم

الرسل -عليهم السلام- والنبيون، ووجهاء أهل الإيمان، فيُهدون لأن يطلبوها أولًا من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم من نوحٍ، ثم من إبراهيم، ثم من موسى، ثم من عيسى، ثم تنتهي إلى النبي ﷺ، فهذه الشفاعة العظمى لإراحة الناس من هول الموقف، فيبعث الله ﷻ محمدًا فيها ﷺ مقامًا محمودًا، يَحْمَدُهُ كُلَّ الناس؛ لأنه بهذه الشفاعة يُريح الناس من هول الموقف، كُرُباته وأهواله؛ لأن الناس يَبْلُغهم من الضيق -يعني حتى الكفار، وحتى البهائم، والعجماوات بجميع أنواعها- من الهول ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيودون -وهم الكفار- أن يتخلصوا من الموقف هذا ولو إلى النار، ما يدرون هم عِظم النار وخَطر النار!، لكن لشدة ما أصابهم من الهول والكرب.

هذا نوعٌ من أنواع الشفاعة خاصٌّ بالنبي ﷺ.

نوعٌ من أنواع الشفاعة: يكون قبل النار، بنهاية الموقف قبل النار، في أُناسٍ استوجبوا النار بذنوبهم، رجحت سيئاتهم على حسناتهم، فاستوجبوا النار أن يدخلونها، هؤلاء من أهل الإيمان، فتُطلب الشفاعة من الرسل الكرام، من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن دونه، وتنتهي إلى النبي ﷺ فيَشفع فيهم، يَشفع في هذه الأمة، ويَشفع في جملة الناس: أمثالهم من الأمم الأخرى، فهي في قومٍ استوجبوا النار، والنار خطيرة ولا ما هي خطيرة؟! خطيرة وهولها عظيم، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [آل عمران:١٩٢] فيشفع فيهم النبي ﷺ لتُرَجَّح حسناتهم على سيئاتهم، فلا يدخلون النار بل يدخلون الجنة، استوجبوا النار أن يدخلوها، فيَشفع فيهم ألا يدخلوا النار، بل يدخلون الجنة، فيُنجوا من النار، فهذه تكون في آخر الموقف قبل النار، هذه شفاعةٌ، فيشفع النبي ﷺ في الجملة وفي الأمة، ويَشفع غيره من الشفعاء كلٌّ فيمن يَخُصُّه ومن يليه، فالرسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- في أممهم، وأعيان الأمم في ذويهم، فهذه شفاعةٌ، هدفها إيش؟

الإنجاء من النار، أنه يَسْلَم من النار، وما يدخلها أصلًا.

والأولى: الإنجاء من هول الموقف.

الثالثة: الشفاعة بعد الصراط، قبل الجنة، في قومٍ دخلوا النار بذُنُوبهم، سقطوا في النار بذنوبهم، فيَشفع النبي ﷺ في الجملة، وفي الأمة، ويَشفع غيره من أعيان الناس في الأمم، كلٌّ فيمن يليه أن يُخرجوا من النار، وهذه في أهل المعاصي، غير الشفاعة في أهل مثاقيل الذرة، هذه بعدين، هذه آخر شيء.

فهذا نوعٌ من الشفاعة، الغرض منها إيش؟

الإخراج من النار.

١. الشفاعة العظمى للإنجاء من هول الموقف.

٢. والشفاعة التي قبل النار، لئَلَّا يدخل النار أصلًا.

٣. وهذه لمن دخل النار بذنوبه، يعني من أهل الإيمان والتوحيد، فيُخرجوا منها بالشفاعة.

هذه ثلاث شفاعات.

الرابعة: الشفاعة في دخول الجنة:

وهذه خاصةٌ بالنبي ﷺ، فما يَستفتح باب الجنة أحدٌ غير النبي ﷺ، فيَشْفَع ويُشَفَّع، فيُفتح باب الجنة، فيدخل النبي ﷺ هو وأمته، ثم يَدخل الرسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- بعدُ وأممهم.

فهذه شفاعةٌ لدخول الجنة، حتى يذهب الخوف والهم والغم.

وشفاعةٌ أخرى داخل الجنة: في رفع المنزلة في الجنة فوق ما يستحق الإنسان:

وهذه للنبي ﷺ ولغيره، شفاعةٌ تَرْفَع الناس منازلهم في الجنة، يكونوا فوق ما يستحقون، ويُرفع لقَرِيبه والخَاص به الذي هو أعلى منزلة، يُرْفَع إليه، إلى منزلته العالية، لا الأعلى يُنَزَّل، لأ، يُرْفَع للأعلى، فهذه شفاعةٌ.

يكون أعظم للنعيم، وأعظم للكرامة عند الله ﷻ، وأقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

في شفاعة أيضًا في من، بعد ما يدخل أهل الجنة للجنة، وأهل النار للنار:

في أناسٍ تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم تُؤهِّلُهم حسناتهم لدخول الجنة، ولم تُؤهلهم سيئاتهم لدخول النار، متساوية، فيحتاج إلى ترجيحٍ، ترجيح الحسنات، فيشفع النبي ﷺ في الجملة، ويشفع غيره كلٌّ فيمن يخصه، أن ترجح حسناتهم فيدخل الجنة، ولا يدخل النار، وهم أهل الأعراف.

هذه بعد أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار مُدَّةً، يُجعلون على جبلٍ مُشْرِفٍ بين الجنة والنار، حتى يحين وقت الشفاعة، فيُشْفَع فيهم ويدخلون الجنة كما ذكر الله ﷻ في سورة الأعراف، ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ [الأعراف:٤٦]، هذه شفاعة.

شفاعة أخرى خاصة بأبي طالب:

أنه يُخفف عنه العذاب، فيُخرج من قعر النار إلى أعلاها، إلى ضحضاح: مثل الماء الذي لا يُجاوز الكعبين، يغلي منه دماغه من عذاب النار، لكنه أخف من حاله الأولى، وهذه خاصةٌ بالنبي ﷺ، وخاصةٌ بأبي طالب.

شفاعة أخرى:

تكون بعدما يمكث أهل النار في النار إلى ما شاء الله، من أهل مثاقيل الذر من الإيمان، والذين لم يعملوا خيرًا قط، وهذه بعد مُدَدٍ طويلةٍ، فيُخرجون إلى نهر الحياة في الجنة، ثم يدخلون الجنة.

هذه أنواع الشفاعة.

كلها للإراحة من الهم والكرب والهول، ولحصول الطمأنينة والرضا والأنس، أو لتخفيف العذاب، بدلًا من الشديد الأول، فلذلك ذُكرت هذه متعلقةً بالجنة والنار هنا، وهذا مبحثٌ من مباحث العقائد، وأَمْرٌ يوم القيامة، وللحديث صلة إن شاء الله.

والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الدرس الثاني عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: اللهم اغفر لنا، ولوالدينا، ولشيخنا، وللحاضرين، والمستمعين، وعموم المسلمين.

قال الإمام البخاري -رحمه الله تعالى وإيانا- في صحيحه من: **كتاب الرقاق**:

بَابُ الصِّرَاطُ جِسْرُ جَهَنَّمَ

٦٥٧٣ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَعِيدٌ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، أَخْبَرَهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ح وَحَدَّثَنِي مَحْمُودٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ**»

هل تُضَارُونَ، رفع التاء وتخيف الضاد والراء، يعني: هل يلحقكم ضير، كلفة أو مشقة في النظر إلى القمر ليلة البدر؟

قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ**» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ**

جَهَنَّمَ» " قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَبِهِ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمُ المُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ المُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ، مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَمَرَ المَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا»،

الشيخ: ذُكَاؤُها، يعني: وحف النار، سموم النار، نعوذ بالله.

«فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَلا يَزَالُ يَدْعُو اللهَ، فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا رَبِّ قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُعْطِي اللهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى، حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

الشرح:

يعني: يتمنى يطلب كذا وكذا وكذا في الجنة، حتى ينتهي طلبه، كل ما في باله سأله الله ﷻ وأعطاه الله إياه، ثم الله ﷻ يبدأه، كأنه يذكره، فيقول: نعم، يقول: لك. يقول: تريد كذا؟ فيقول: نعم. يقول: لك، وهكذا.

وهذا يدل على سعة فضل الله – عز وجل –، وعلى حلمه وكرمه وجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإذا كان هذا في آخر من يُخْرَج من النار، فكيف بمن يدخل الجنة لأول وهلة؟!

نسأل الله الكريم من فضله. نعم.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا».

٦٥٧٤ – قَالَ عَطَاءٌ، وَأَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ يُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ،

يعني: يوافقه في جُمَلِ الحديث، كلما أخبر أبو هريرة بجملةٍ، يُقِرُّه عليها أبو سعيد، لا ينكرها عليه، ومعناه الموافقة، أنه هكذا أخبر النبي ﷺ. نعم.

٦٥٧٤ – قَالَ عَطَاءٌ، وَأَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ يُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: «هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ».

وأبو سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من شباب الصحابة، ما هو من كبار الصحابة، وأبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كذلك من كهول الصحابة، فيُوافق أبو سعيد ما يذكره أبو هريرة. نعم.

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: حَفِظْتُ «مِثْلُهُ مَعَهُ».

بَابٌ فِي الحَوْضِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١].

وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ**».

٦٥٧٥ - حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ**».

الشيخ: فرطكم يعني سابقكم إلى الحوض، أَصِلُ إليه قبلكم، وأَنْتَظِرُكم، **نعم**.

٦٥٧٦ - وحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ المُغِيرَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي**».

الشيخ: يعني: يمنعون من الورود على الحوض، نعوذ بالله.

«**فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**».

تَابَعَهُ عَاصِمٌ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، وَقَالَ حُصَيْنٌ: عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٦٥٧٧ - حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، حَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ**».

٦٥٧٨ - حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو بِشْرٍ، وَعَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: الكَوْثَرُ: الخَيْرُ الكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. قَالَ أَبُو بِشْرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أُنَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرٌ فِي الجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهَرُ الَّذِي فِي الجَنَّةِ مِنَ الخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ.

٦٥٧٩ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا نَافِعُ بْنُ عُمَرَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا**».

٦٥٨٠ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ اليَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**».

الشيخ: أيلة يعني بيت المقدس إلى صنعاء، بيت المقدس في شمال الجزيرة في الشام في فلسطين، وصنعاء في اليمن.

٦٥٨١ - حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، ح وحَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أَوْ طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ**» شَكَّ هُدْبَةُ.

٦٥٨٢ - حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الحَوْضَ، حَتَّى عَرَفْتُهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**».

٦٥٨٣ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّفٍ، حَدَّثَنِي أَبُو حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**».

٦٥٨٤ - قَالَ أَبُو حَازِمٍ: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا: «**فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي**».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سُحْقًا: بُعْدًا يُقَالُ: ﴿سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]: بَعِيدٌ، سَحَقَهُ وَأَسْحَقَهُ أَبْعَدَهُ.

٦٥٨٥ - وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ شَبِيبِ بْنِ سَعِيدٍ الحَبَطِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ القِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُحَلَّئُونَ عَنِ الحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى**».

٦٥٨٦ - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ المُسَيِّبِ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ، عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَرِدُ عَلَى الحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُحَلَّئُونَ عَنْهُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى**».

الطالب: ...

الشيخ: المراد أنهم يزادون، يطردون عن الحوض، يبعدون، يمنعون من الحوض، يصرفون.

وَقَالَ شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ، كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**فَيُجْلَوْنَ**» وَقَالَ عُقَيْلٌ: «**فَيُحَلَّئُونَ**»، وَقَالَ الزُّبَيْدِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

٦٥٨٧ - حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ المُنْذِرِ الحِزَامِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: حَدَّثَنِي هِلاَلُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا**

زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى. ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى، فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ».

الشيخ: همل النعم، الإبل يعني: الواحدة بعد الواحدة.

٦٥٨٨ - حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ المُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ عِيَاضٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ خُبَيْبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي».

٦٥٨٩ - حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ عَبْدِ المَلِكِ، قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدَبًا، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ».

٦٥٩٠ - حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الخَيْرِ، عَنْ عُقْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلاَتَهُ عَلَى المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

٦٥٩١ - حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ عُمَارَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ: أَنَّهُ سَمِعَ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَذَكَرَ الحَوْضَ فَقَالَ: «كَمَا بَيْنَ المَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ».

٦٥٩٢ - وَزَادَ ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حَارِثَةَ: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ: «**حَوْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالمَدِينَةِ**» فَقَالَ لَهُ المُسْتَوْرِدُ: أَلَمْ تَسْمَعْهُ قَالَ: الأَوَانِي؟ قَالَ: لاَ، قَالَ المُسْتَوْرِدُ: «**تُرَى فِيهِ الآنِيَةُ مِثْلَ الكَوَاكِبِ**».

٦٥٩٣ - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي عَلَى الحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، وَاللهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ**».

فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا.

﴿أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ [المؤمنون:٦٦]: تَرْجِعُونَ عَلَى العَقِبِ.

الشرح:

الحمد لله.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فهذه الأحاديث في بيان مواقف الناس وأحوالهم، وما يعترضهم من الأهوال في عرصات القيامة، ولهذا أوردها البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**كتاب الرقاق**»، لأنها أخبارٌ ترقق القلوب، وتجعلها تخشى الله - عز وجل - وتخاف، وترجو في نفس الوقت، فالقيامة يكون الناس فيها على أحوال، وفي مواقف، وتعترضهم أهوال وأَفْزَاع، ووَجَلٌ شديدٌ، وكُرُوبٌ.

والقيامة عرصاتٌ، والعرصة هي المكان الواسع الفسيح.

فأول عرصات القيامة: «**المحشر**» الذي يُجْمَعُ فيه الأولون والآخرون، في مكانٍ فسيحٍ، يُسْمَعُ فيه الداعي، ويَنْفُذُ مَنْ فِيه البصر، هذا هو موقف الحشر، يُحشرون يعني يجمعون من

أصقاع الأرض، فيجتمعون، فإذا أصابهم من الهول والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، ذُكِّروا بطلب الشفاعة، فيسعى فيها خيارهم ووجهاؤهم يطلبونها، فخيارهم أهل الإيمان هم الذين يطلبون الشفاعة، بمشورةٍ من رُسُلِ الله -عز وجل- وأنبياءه -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، فيُهدون لأن يطلبوها من آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ثم من نوح، ثم من إبراهيم، ثم من موسى، ثم عيسى، ثم من محمد -عليهم الصَّلاة والسَّلام-.

فهنا طلبوا الشفاعة لفصل القضاء، وإراحة الناس من هول الموقف، الذي مقداره خمسون ألف سنةٍ، يعني من أيام الدنيا، فمن شدة ما يُصيبهم من الأهوال والأفزاع والكروب، يَوَدُّون الخلاص من هذا الموقف، ولا يُفكرون فيما بعده، هل المُنْصَرَف إلى الجنة أم إلى النار؟ من شدة ما أصابهم من الأهوال والكروب والأفزاع ودنو الشمس منهم، والعرق يبلغ منهم مبالغ، فتكون شفاعة الفصل؛ يشفع النبي ﷺ، بعد أن ينتهي طلبها إليه، فيشفع أن يأتي الله -جل وعلا- لفصل القضاء، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢]، يعني مُحِيطين حلقةً من وراء أهل الموقف، ومن وراء هذه الحلقة حلقةٌ أخرى، إلى سبع حلقات، سبع دوائر، كل سكان سماءٍ يكونون دائرة، فأدناهم من الناس أصحاب السماء الدنيا، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، وكلما ارتفعت السماء وعلت، صار ملائكتها أكثر مما دونها، وأشرف مما دونها.

فيأتي الله - عز وجل - بعد الشفاعة لفصل القضاء بين العباد، فيُعرضون على الله - عز وجل -، وهذا موقفٌ آخر غير الجَمْع الذي جُمعوا فيه وحُشروا فيه، فيُعرضون على الله - عز وجل -: **ثلاث عرضات: ثنتان معاذير وكلام، والثالثة يُقِرُّون.**

ثم ينتقلون إلى عرصةٍ أخرى ثالثةٍ، وهي التي يُعطون فيها «**صحف الأعمال**»، بعد إقرارهم بالأعمال، فآخِذٌ كتابه بيمينه، وآخِذٌ كتابه بشماله من وراء ظهره.

فالمكان الذي يُجمع فيه الناس أولًا عرصةٌ، ثم المكان الذي يُعرضون فيه على الله عرصةٌ، ثم المكان الذي تُظهر فيه صحائف الأعمال فيُقرون بها عرصةٌ.

ثم بعد ذلك «**الموازين**» عرصة، لها فناءٌ ولها ساحةٌ ومكانٌ، لتظهر مقادير ثواب أعمالهم: خيرها وشرها.

ثم بعد ذلك «**الحوض**»، يعني بعد الميزان الحوض، فهم ينتقلون من موضع الحشر والجمع الذي جُمعوا فيه، إلى موضع العرض، ثم من موضع العرض إلى موضع الصحف، ثم من موضع الصحف إلى الموازين، ثم من الموازين إلى الحوض، فيُنْقلون من عرصةٍ إلى عرصةٍ أخرى، كل واحدةٍ لهم فيها ظروف وأحوال، وتعتريهم كروبٌ وشدائد.

وآخر تلك العرصات «**الحوض**»، ولذلك ساق البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الأحاديث المرفوعة، والموقوفة، والشواهد -وإن كانت على غير شرطه- ما يُؤيد ذلك.

فعند الحوض يعني بعد الموازين، وقبل الحوض، يُخاطبون بخطابٍ يسمعه مَنْ بَعُد كما يسمعه من قَرُب، يقال لهم في هذا الخطاب: لِتَتْبَع كل أُمَّةٍ من كانت تَعْبُد، فتُمَثَّل المعبودات من دون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كهيئتها يوم عُبِدَت، وهم قد وُجِّهوا أن كل أُمَّةٍ تتبع من كانت تعبد، يعني: انصرفوا من هذا المكان مع آلهتكم التي اعتقدتم إلهِيَّتِها، وتَعَبَّدتُم لها، فإذا رأوا آلهتهم التي كانوا يعبدون: المشركون عبدة الأوثان يعرفون آلهتهم، وقد مُثِّلت لهم كهيأتها يوم عبدوها، فتُمَثَّل الشمس لأهلها، ويُمثل القمر لأهله الذين عبدوه، وتُمثل النجوم والكواكب كالزُّهره والمشتري وعطارد، وغير ذلك من أسمائها، وقد أُلزموا الآن بالاتجاه إجباري خلف من يعبدون، فهؤلاء عبدة الأوثان، فإذا رأى كل قومٍ إلههم الذي اتخذوه إلهًا من دون الله، قد قيل لهم: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، تبعوا إِلَهَهُم حسب الأمر، فتذهب تلك الآلهة بأهلها إلى النار، فهي توضع في النار، ويكون أشد لعذاب النار، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ

﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني من الطواغيت ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨]، أنتم وإياها في جهنم، ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء:٩٩]، فدل على أنهم عابدون مَرْبُوبُون، لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، وأول من يُمَثَّل الشيطان إبليس، فتذهب عبدة الأوثان مع آلهتها، فيتبع عُبَّاد الشمس مِثال الشمس، وعُبَّاد القمر مثال القمر، وعُبَّاد الكواكب مثال الكواكب، وعُبَّاد الطواغيت والأصنام والأوثان من عبدوه منها، فتذهب بهم، وتتساقط بهم في جهنم، هي وإياهم، هذا لأهل الأوثان، والدهريون.

فيبقى بعد ذلك: ضُلَّالُ أهل الكتابين، اليهود والنصارى، فيقال: ما لكم؟ يعني لماذا لم تنصرفوا مثل غيركم؟ فيقولون: يا ربنا، عطشنا، اسقنا، فتُمَثَّل لهم النار -أجارنا الله وإياكم منها- كهيئة السراب، مِثال السراب يعني، يَشْعُرون لقربها، وينظرون لمَعَانَها، ويُريدون أن يشربوا من ماءها، وهي جُعلت خديعةً لهم، كما خادعوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ورسوله ﷺ، والمؤمنين في الدنيا، فيذهبون يَحْسِبُونها ماءً، فإذا وصلوها تساقطوا فيها، لأنهم كَفَرُوا وحَرَّفوا كلام الله - عز وجل - وبَدَّلوه، وضلوا، وأضلوا الخلق، لذلك يُلقون في النار، يتساقطوا في النار.

فهذه الفئة الثانية ممن يَنْصَرف من بعد الموازين وقبل الحوض، فصُرِف عبدة الأوثان وأهل الشرك، ثم صُرِف ضلال أهل الكتابين اليهود والنصارى، يعني أُجبروا أن يَتْبَعُوا معبوداتهم، فتذهب بهم معبوداتهم إلى جهنم، وتتساقط هي وإياهم.

تبقى هذه الأمة، والمعنى -والله أعلم- أُمَمِ الإجابة التي استجابت للرسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، وفيها منافقوها؛ لأن لكل نبيٍّ حوضٌ يَرِدُهُ المستجيبون له حقيقةً يعني

الإخلاص أو ظاهرًا يعني النفاق، وهنا لابُدَّ أن يُمَيَّزوا، يُمَيَّز صالحهم من طالحهم، كيف يميزون؟

بأمرين:

الأول: الوُرُد للحوض وعدم الورود، فالمؤمنون حقيقةً، بحسب أحوالهم وتفاوتهم في الإيمان، يردون الحوض، المنافقون لا يردون الحوض، وإذا أرادوا الوُرود اختُلِجُوا، صُرفوا يعني، ما أُذِن لهم بالورود.

ولذلك أخبر النبي ﷺ فيما سمعتم من الروايات إنهم من هؤلاء؛ منافقون نفاقًا اعتقاديًّا، مَنْ يُختلجون، قبل أن يصلوا إلى النبي ﷺ وإلى الحوض، يُؤخذون ويُرجعون، ويُطردون، ويُذادون بقوة، وزُجِروا، فالنبي ﷺ يتفاجأ: كيف أنهم من أصحابه، ولذلك يقول: أصيحابي! فيُقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا، إنهم ما زالوا مرتدين منذ فارقتهم، وهذه تحتاج وقفة شوي.

أيش تعريف الصحابي؟

جمع صاحبٍ، الصحابة: جمع صاحبٍ وصحابي، هذا من حيث اللغة.

من حيث الاصطلاح: **هم كُلُّ مَنْ رَأَى النبي ﷺ** وهذا أوسع.

أو لَقِيَهُ، يعني التقى به، وهذه أضيق شوي.

مؤمنًا به، يعني حقيقةً أو ظاهرًا، فلا بد أن نفهم هذه.

حقيقةً أو ظاهرًا، ومات على ذلك، يعني على صحبته الحقيقية، أو على صحبته: أحدٌ على الحقيقة وأحدٌ على الظاهر، لأن الناس يتفاوتون في الصُّحبة، يتفاوتون وإن اشتركوا في بعض معنى الصحبة، ومدلول الصحبة، لكن يتفاوتون، فأخص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالنبي ﷺ بحُسْن الصحبة: أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم بعده عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم بعده عثمان وعليٌّ

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم سادات الصحابة، ونقباؤهم وأشرافهم وأهل سابقتهم.

فهم متفاوتون في الصحبة.

ومن هؤلاء: من رأوه في مِنَى أو في عرفات، يعني رأوه من بُعْدٍ، ما خاطبوه وخاطبهم كأفراد، لأ، فهم متفاوتون في الصحبة، حسب قربهم من النبي ﷺ، وحسب اتباعهم للنبي ﷺ، وحسب منزلتهم من النبي ﷺ، فهم متفاوتون، ليسوا على درجةٍ واحدةٍ.

وهؤلاء فيهم منافقون في المدينة: كما قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة:١٠١]، ففيهم ناسٌ في ظاهرهم أنهم أَهْلُ صُحْبَةٍ وصحابةٍ، لكن في الواقع هم دون ذلك بكثيرٍ، وبعضهم كاذبٌ ومنافقٌ.

والله -عز وجل- كشف لنبيه ﷺ بعض أهل النفاق، حتى سمى النبي ﷺ جماعةً منهم، كان عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يسأل حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صاحب السِّرِّ، يقول: أسألك بالله، هل سماني لك النبي ﷺ من المنافقين؟

فإذًا هم متفاوتون في الصحبة، ومنزلتهم من ذلك بحسب منزلتهم من النبي ﷺ، كلما كان الإنسان أعلى منزلة عند النبي ﷺ، وأكثر اتِّبَاعًا له، صار أخص وأسعد بوصف الصحبة وأحظ، ومن كان دون ذلك، فله من الصحبة بحسبه.

مع أن شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ يُرَجِّح أنَّ أكثر المنافقين أو جملة المنافقين في عهد النبي ﷺ أنهم تابوا، وتاب الله عليهم، ولا اخْتُلِف إلا يُمكن في ثلاثة: ابن أُبَيٍّ، وصاحب الجمل الأحمر، وآخر، هم الذين اختلف أهل السنة والجماعة فيهم، هل هم آمنوا وتاب الله عليهم، أم لا؟.

ثم جاءت مسألةٌ أخرى: وهي الرِّدَّةُ؛ بعد موت النبي ﷺ، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران:١٤٤] ، والنبي ﷺ مات وقُتِل، فإنه قُتِل بسبب السم الذي قدمت له اليهودية في خيبر، شاةً مَصْلِيَّةً قد سَمَّتها، وضعت فيها السم، في جميع أعضائها، بل سألت: أيَّ عُضوٍ من البهيمة أحب إلى النبي ﷺ؟ فلما قيل لها الذراع والظَّهْر، زادت في سُمِّ ذلك، وقَدَّمَت شاةً مَصْلِيَّةً مشوية في الحجارة والنار للنبي ﷺ، تزعم أنها تكرمه وهي تريد أن يُهلكه الله بالسُّمِّ، فأَثَّر هذا السم في النبي ﷺ منذ سنة خيبر، يعني السنة السابعة، وبقي مع النبي ﷺ ثلاث سنين وزيادة، كان له أَثَرُ سَوَادٍ في لَهَوَات النبي ﷺ، في سقف الفم؛ أَثَرُ السم هذا.

ولما قالت له عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: واراأساه، قال: «**بل أنا واراأساه، ما زالت الأكلة التي أكلتها في خيبر تُؤرقني**»، يعني حتى الآن، هذا أوان انقطاع أبهري، يعني: هذا وقت أجلي، فهو ﷺ مات بسبب السم، لكنه مات على فراشه، ما هو في معركة، ولهذا قال تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران:١٤٤]، لأنه في الظاهر أنه مات مِيتَةً عاديَّةً، وفي الباطن والحقيقة أنه قُتِل بسبب السم، فجَمَعَ الله -عز وجل- له بين الشهادة والموت على فراشه، فهنا ما تَسْتَغْرِب يعني.

فمن الناس من ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، قاتلهم خواص الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، حتى ردوهم في الإسلام مرةً أخرى، وربما أن بعضهم ما رَدَّ عن قناعةٍ وعن توبةٍ، من أطراف الناس يعني، وأنه مات على نفاقه، والله يعلمه، فهؤلاء هم الذين قال النبي ﷺ: يذادون، وقيل: ما تدري ما أحدثوا بعدك، ويقول عنهم: «**أصيحابي!**» هذا أَمْرٌ يعني.

فلذلك يأتي الله – عز وجل –، أو يقال للناس هؤلاء الأمة هذه، أمة الإجابة يعني، التي استجابت لله وللرسول – حقيقةً أو ظاهرًا –: ما لكم لا تنصرفون؟ ما قيل لكم: لتتبع كل أمة

ما تعبد؟ فيقولون: بلى، قيل: ما لكم؟ يقولون: إذا جاء ربنا عرفناه، يعني عرفناه واتَّبعناه، حسب التوجيه، فيأتي الله ﷻ إليهم في صورةٍ غير التي يعرفون.

والتي يعرفون هي التي رَأَوْها حين جاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لفصل القضاء، أو هي التي رأوها حين قَرَّرهم الله بذنوبهم وأعمالهم، ليس بينهم وبينه ترجمان، وهي أخص من الرؤية بمجرد المجيء للموقف.

ولذلك صرح بعض أهل العلم من أهل السنة والجماعة على أن هذا التكليم من الله – عز وجل – للعبد ليس بينه وبينهم ترجمان، دليلٌ على النظر إلى وجه الله الكريم يوم القيامة.

فإذًا صاروا متفاوتين.

إذًا منهم من يَرِد الحوض، ومنهم من يُمنع من الحوض، تمنعه الملائكة تحجزه، فهم متفاوتون في الصحبة، والناس عليهم ستر الله، ما يُدْرَى، ولهذا السلف عَرَّفوا الصحابي تعريفًا دقيقًا، قالوا:

هو من لقي أو رأى النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك، ولو تخللته ردَّةٌ.

لأنه من ارتدوا كثيرٌ بعد وفاة النبي ﷺ، ولا كلهم حصل أنه يرجع، فهم متفاوتون.

إذا جاء الله – عز وجل – إليهم هنا، يعني بعد الموازين وقبل الحوض، أو عند الحوض، يسجد له كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ كانا يسجدان في الدنيا اختيارًا، يعني أصحاب الإيمان حقيقةً، وأصحاب الإيمان حقيقة يتفاوتون في إيمانهم أيضًا: فمنهم راسخ الإيمان مُتمكن الإيمان من قلبه، الذي وجد حلاوة وبشاشة الإيمان، ومنهم دون ذلك، فهم طبقاتٌ لا يعلمها إلا الله.

فعند الورود على الحوض يتميز المنافقون من المؤمنين، وعندما يرون الله – عز وجل – إذا جاءهم في الصورة التي لا يعرفون، يُنكرون ويقولون: لست ربنا، نعوذ بالله منك، إذا جاء ربنا عرفناه، فيقول: هل بينكم وبينه آيةٌ –يعني علامة– تعرفونها؟ فيقولون: الساق، فيكشف

لهم عن ساقه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ على ما يليق بجلاله وعظمته، فيسجد له كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ كانا يسجدان في الدنيا اختيارًا.

أما المنافق والمنافقة، فيذهب أحدهما كيما يسجد، فيعود ظَهْرُه طبقًا واحدًا، يعني: على رواء، كصياصي البقر.

فإذًا صار تمييزٌ هنا، تمييزٌ بالورود على الحوض، وتمييزٌ بالسجود.

كذلك عند النار عند الصراط: وأول بداية الصراط بعد الظُلمة، يُمَيَّزُون، فيُعطى المؤمنون نورًا حقيقيًّا، ويُعطى المنافقون نورًا كاذبًا مثل إيمانهم، كَذِبٌ، ولذلك يتفاوتون في هذا النور، حتى أن منهم من يُعطى من النور على قدر إبهامه، إبهام رجله، حتى أن منهم من يكون الصراط عليه ظلمة.

فإذن تميزوا في الوُرود، وتميزوا بالسجود، وتميزوا بالنور الذي يُعطون إياه، وين هذا؟ في الظلمة وقبل الجسر، والجسر مظلمٌ بَعْدُ.

إذا جاءهم الله - عز وجل - على الصورة التي يعرفون، وأَقَرُّوا له سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بإلهيته، يذهب الله - جل وعلا - على ما يليق بجلاله وعظمته، فيَتَّبِعُهُ عابِدُوه، على نفس القاعدة، فتعترضهم الظُّلمة، والظلمة دون الجسر، يعني: قبل بداية الجسر، على طرف الجسر، ولهذا يُعطون الأنوار هنا، حتى تُضيء لهم في الظلمة، وتُضيء لهم على الجسر، ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ [الحديد: ١٢ - ١٣].

فإذًا هنا يتميز المؤمنون من المنافقين، والكل يَتَّبِعُون الله - جل وعلا -، فإذا وردوا على الصراط، مَيَّزَهُمُ الصراط، فالصراط عليه كلاليب معقوفةٌ، لا يعلم عِظمها إلا الله - جل وعلا

-، تخطف الناس بأعمالهم، وفيها شوكٌ: حَسَكة، شوكٌ دائريٌّ: له حبةٌ دائريةٌ، وحبةٌ فيها شوكٌ شديدٌ، وحارٌّ اللسْعَة، فيتميزون على الصراط، حيث تستمر أنوار المؤمنين، ويدعون الله - عز وجل - أن تستمر وتثبت، ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم:٨]، والمنافقون تنطفأ أنوارهم لأنها خَدَّاعةٌ مثل إيمانهم، فتكون سببًا في أن تَصْلِيَهُم النار، وأن يتساقطوا فيها، كل بحسب نفاقه، كلما كان النفاق أشد، صار حظه من النور أقل وأدنى وأضعف، وكلما كان الإيمان قويًّا شديدًا راسخًا، صار حظه من النور أقوى وأشد وأبين.

وهذا موقفٌ فيه هولٌ شديدٌ جدًّا، لأن الناس أمامهم كما قال النبي ﷺ: «**ما منكم إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر شماله فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أمامه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**»، يعني تتصدقون به، فإنه ينفع بحسبه.

فهؤلاء يُمَيِّزُهم الصراط، هم المنافقون نفاقًا عمليًّا، ما هو اعتقادي، هؤلاء تصيبهم النار، ومنهم من يُلقى في النار، ويُخرج منها، ويُلقى، ويُخرج منها.

أما المنافقون نفاقًا اعتقاديًّا: فإنهم يتساقطون في النار أصلًا لأول وهلةٍ، فلا بد أن نفهم هذا.

فالذين يُذادون عن الحوض منافقون ماتوا على النفاق: إما أنهم كانوا منافقين في عهد النبي ﷺ، واستمروا على نفاقهم، أو المراد الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، ولم يرجعوا إلى دينهم، وقُتِلوا على الكفر، والنبي ﷺ يعرفهم بعلاماتٍ، ومن ذلك أنهم يَرِدون غُرًّا محجلين من آثار الوضوء.

فهذه مسألةٌ يعني فيها أمورٌ تحتاج على تفصيل مثل ما سمعتم.

المسألة الثانية: وهي التي أكثر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ سياق الروايات فيها: **في الحوض**.

فذَكَر معنى الحوض، وأنه حوضٌ تَرِدُهُ الأمة، أمة الإجابة، وأنه يُمَدُّ هذا الحوض من نهر الكوثر، وأن مكانه عند منبر النبي ﷺ في مسجده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، في روضة من رياض الجنة.

وذَكَر سعته: وأن طوله شهر وعرضه شهر، وأنه مثل ما بين أيلة وهي بيت المقدس القدس، وصنعاء.

والرواية الأخرى التي جاءت: مثل ما بين مكة وصنعاء، أو مكة وأيلة، يعني من اليمين مثل ما بينها وبين صنعاء، ومن الشمال مثل ما بينها وبين أيلة.

وأن طوله شهر وعرضه شهر.

وأنه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج.

وأن أنيته عدد نجوم السماء؛ كيزانه، أكوابه التي يُشرب بها.

وأنه يَرِدُه خلقٌ كثيرٌ من الأمة.

كل هذا ذكره المؤلف البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الروايات.

وأطال شوي فذَكَرَ ما يُفيد أن الحوض قبل الصراط، وذَكَر ما يُفيد أن الحوض بعد الصراط، والورود على الحوض وطرد للمنافقين هذا قبل الصراط، لأن من جاوز الصراط جاوز النار، ما يُطرد عن الحوض، أفضى إلى القنطرة، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥] ، جعلنا الله وإياكم من المزحزحين عن النار.

فلذلك البخاري أورد روايات في هذا، يعني: **هل الحوض ممتدٌ من بعد الموازين إلى بعد الصراط والقنطرة؟ أم هو قبل الصراط؟ أم هو بعد الصراط؟**

ذكر شواهد تُؤَيِّد هذه الاحتمالات.

والصواب: الذي تجتمع عليه النصوص أن الحوض واسع -جعلنا الله وإياكم من الواردين عليه-، وأنه قبل الصراط، له طرفٌ قبل الصراط، يشربون منه قبل وُرُود الصراط استعدادًا، وأن له طرفٌ بعد الصراط، فيشربون بعدما يجاوزون الصراط، لأنهم اطمأنوا على مستقبلهم، جاوزوا الصراط، وإنما الكروب والأهوال قبل الصراط وحال الورود عليه، فلا بد أن نفهم هذه المسألة.

لذلك أكثر البخاري من إيراد الروايات، والشواهد، والأحاديث التي ليست على شرطه، ليبين هذا الأمر، وأنه فيه خلافٌ يعني: هل الحوض قبل الصراط أو بعده؟،

وكما سبق أن الراجح أنه ممتدٌ من قبل الصراط إلى ما بعده، فهذا بحثٌ يعني مُهِمٌّ هذا البحث.

فالصراط ما يمرون عليه الكفار عبدة الأوثان، ولا ضُلَّال اليهود والنصارى، وإنما يمر عليه المستجيبون لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ورسله -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، حقيقةً أو ظاهرًا، وهو يُميز بينهم بما جعل الله فيه من التمييز، وهذه الأشياء: الكلاليب، والحسكة، التي تخطف الناس بأعمالهم، فتخطف أهل النفاق الاعتقادي، وتخطف أهل النفاق العملي، وأهل الكبائر، مَنْ أَذِنَ الله أن تخطفه.

وهذا هو الأقرب: أن الحوض ممتدٌ مما قبل الظلمة وهي أول الجسر، إلى نهاية القنطرة.

فهذا: الورود على الحوض، والسجود، والنور الذي في الورود على الصراط، والورود على الصراط، كل هذا مما يُميز هؤلاء المستجيبون لله ورسله، حقيقةً أو ظاهرًا.

وهذه مسألة الورود، أو تتبع كل أمةٍ من كانت تعبد، ومسألة الورود على الحوض، وأحوال الناس فيه، ومسألة الورود على الصراط، هذه من المباحث الدقيقة يعني في مسائل العقيدة، والتي فيها خلافٌ حتى بين أهل السنة.

الفهرس

هو الشيخ العالِم الرباني عبد الله بن صالح بن محمد القصير رحمه الله تعالى، نشـــأ على ملازمة أهل العلم، فكان شـــابًّا مع العلماء، ونشأ مع العلماء، ومات من العلماء. توفاه الله وقد بلغ من العمر ٧٥ سنة.

أخذ العلم عن كبار العلماء، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، إذ لازمه قرابة ٣٠ ســـنة، كمـــا كانت له علاقة وثيقة ممتدة مع الشـــيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله لأكثر من ٥٠ سنة، وأخذ كذلك عن: الشـــيخ صالح البليهي، والشـــيخ صالح الخريصي، والشـــيخ صالح الســـكيتي، والشـــيخ صالح الأطرم، والشـــيخ علي الضالع وغيرهم من العلماء.

وكان رحمـــه الله كثير العلم، كثير العبادة، حريصًا على الدعوة إلى التوحيد والســـنة ومنهج الســـلف الصالح، مـــع العناية بالتحذير مـــن الجماعات والأحـــزاب الضالة، وقد مكث في ذلـــك أكثر من ٥٠ ســـنة، فكان الإمام الخطيب، والداعية، والمعلّم، والمرشد.

كما اســـتمر رحمه الله في خطابـــة المسجد لأكثر من ٥٠ ســـنة، وفي إمامة المسجد لأكثر من ٤٥ ســـنة، وقد كان من عنايتـــه بالتوحيد أنه شرح كتاب التوحيد لأكثر من ٥٠ مرة.

وله رحمه الله تعالى نتـــاجٌ علميٌّ غزير؛ فقد خلّف أكثر من ٣٠ كتابًا مؤلَّفًا، وأكثر من ٣٠٠ مقـــالٍ محرَّرًا، وأكثر من ١٠٠٠ خطبةٍ محرَّرة، وأكثر من ٤٠٠٠ مادةٍ صوتية، وغير ذلك من الآثار العلمية النافعة، رحمه الله رحمةً واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.